٥١٢

512

دار م. النحاس

HARLEQUIN

www.elromancia.com

مرمورية

عدوي العزيز

أليسون يورك

عدوي العزيز

أليسون يورك

«طالما أنت موظفة لدي، فأنا مسؤول عنك.»
ماركوس ويكفورد لم يخف مشاعره الجامحة واللامسؤولة تجاهها. وبينما كانا مسافرين معاً في الريف الفرنسي الجميل تعمّد ان يراقبها عن كثب مثل صقر. ولكنه، كان رجلاً قاسياً جرح قلب شقيقتها دون رأفة، وأدركت اليكس ان عليها ان تبقيه بعيداً عنها مهما كلف الأمر.. أو ان تنجرف وتقع في حب عدوها اللدود.

ثمن النسخة
٢٠٠٠ ل.ل
2000 L.L

قال ماركوس ببرودة: «من الواضح ان فن الخداع يجري في عروق العائلة.»

أجابته اليكس: «أنت حقير!»

«و أنت قد نسيت أمراً.»

نظرت إليه نظرة يتطاير منها الشرر، وقالت: «لكني متأكدة انك ستخبرني ما هو.»

«لقد سبق لك و عقدت اتفاقاً معي. ما من شيء قد تغير. هل تقولين لي انك تتراجعين الآن بعدما كشفت خديعتك الرخيصة؟»

٥١٢

khouloub Abir 512

عدوي العزيز

اليسون يورك

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

اليسون يورك

ولدت اليسون يورك قرب مورز وديلز التابعة ليوركشير، لكنها تعيش الآن في واروكشير. تخرجت من جامعة فرنسية، لها ثلاثة أولاد، فتاتان وشاب، جميعهم متزوجون، وهرتان سياميتان، تحب الكتابة في الفرص المناسبة التي تحرك فيها المشاعر والحوافز. كتبت بالإضافة إلى الروايات، قصصاً قصيرة وقصائد شعر. انها قارئة نهمة، وعدم توافر الكتب هو بمثابة مجاعة لا تحتملها، كما انها تحب المشي، والعمل في الحديقة، والمسرح، والموسيقى والفن، وكل ما يبدعه الآخرون!

www.elromancia.com

الفصل الأول

نهضت الفتاة فجأة من وراء حاجز نبات الشعار الذي ما زال يخفي الجزء الأسفل من جسمها، كانت بشرتها البرونزية اللون تتلألأ تحت انعكاس الضوء على المياه العذبة التي تغطيها من الجدول الذي يصب في البحيرة عند تلك النقطة.

الراكب، الذي اقترب بسكون إلى ضفة البحيرة، دون أن يرى أو يسمع، كبح جماح حصانه، وأخذ يراقبها عبر جدول المياه الضيق الذي يفصل بينهما. فكّر وطيف ابتسامة يعلو شفتيه... أوندين. إنما أوندين من لحم ودم، وليست حورية الماء التي تتحدث عنها الأسطورة. كانت حقيقة، وامرأة بكل معنى الكلمة.

كانت هناك إلى جانبها شجرة مقطوعة نحيلة الأغصان، وكان جذعها وأغصانها المشوهة تؤكد على جمال ذراعي الفتاة الذهبيتين والمستديرتين اللتين رفعتهما لتبعد شعرها عن وجهها الذي كشف عن عنق جميل جداً، ثم تركته يتراخى مجدداً. كانت الشمس تظهر من خلال ضباب الصباح الرقيق مشرقة بأشعتها النحاسية اللون، ضاربة النار المنبعثة من الشلال الكثيف، النحاسي الداكن اللون المتساقط بوفرة فوق الأكتاف الهيفاء.

استبد به شعور قوي وسريع لرؤية الوجه الذي يحيط به ذلك الشعر النابض بالحياة، والساقين اللتين تساويان بالتأكيد جمال هذين الذراعين. لكنه كبح ذلك الشعور بسرعة. لم يكن

في نيته أن تستدير هذه الأودين الحقيقية وتراه يتلصص عليها. ستبقى تلك اللحظة على ما كانت عليه، إحدى الصور الأبدية في الكامارغ التي سيحملها معه إلى موطنه. إلى سوسكس. ساق حصانه، ثم استحثه ليعدو بسرعة، غير آبه لرذاذ المياه الناجمة عن وقع حوافر حصانه فيها.

استدارت اليكس ليوارد باتجاه الشمس وراءه، باحثة عن سبب الصوت المفاجيء الذي أثار انتباهها وظللت عينيها الخضراوين بيدها الرطبة. وظهرت على شفتيها ابتسامة عفوية عندما رأت سروال الجينز الأبيض، القميص البيضاء، الحصان الأبيض وشعر عنقه وذيله الأبيض المتطاير. فكرت... الراكب الأبيض، ودون وعي منها أسمته كما أسماها. أجفلت سرعته النُحام عند ضفة الماء البعيدة. فنهضوا من أعشاشهم الطيبة وهم يصيحون بصوت أجش، وأخذوا يدورون في توتر، ثم طاروا باتجاه البحر، أعناقهم ممدودة، أرجلهم متدلية، وريشهم الزهري اللون قد بدا مشرقاً بشكل رائع مقارنة مع زرقة السماء.

إنطلاقهم الصاخب تسبب بدوره في إزعاج مجموعة من الأحصنة البرية التي، حتى تلك اللحظة، كانت ترعى بأمان. فشقوا طريقهم في المياه الضحلة حيث الكثير من القصب، وأخذوا يعدون بسرعة في اتجاه الفتاة حتى بلّلها رذاذ المياه نتيجة لعدوهم. كان منظراً لا ينتسى حيث الأمهرة تركض بين حوافرهم المسرعة. وشعر أعناقهم وذيولهم تتطاير كما شعر عنق وذيل حصان الراكب الأبيض، وأنوفهم المتسعة المتوهجة.

كان الراكب، الذي بدا الآن كظل صغير في الأفق، قد اختفى

عن الأنظار تقريباً. وكانت قبعة الحارس السوداء التي كان يرتديها، الشيء الوحيد المغاير في ملابسه البيضاء، قد انزلقت لتستريح على كتفيه. فرأت الفتاة وميض شعره الأشقر بينما كان يستقيم باتزان فوق سرج حصانه.

وكان لبضع لحظات قصيرة جزءاً من سحر هذا المكان المقفر، جزءاً من شيء افتتنت به. لكن ذلك كان كافياً لنسج أحلام اليقظة. إن شخصاً في بلد غريب ومن دون مال كما هو حالها، حيث أن مالها وتذكرة السفر الخاصة بعودتها إلى انكلترا قد سرقا منها، يجب أن يتعامل مع الأمور العملية، وليس مع رحلات على متن التخيلات.

عادت بعزم إلى كوخ الحارس حيث أمضت ليلة غير مريحة إطلاقاً. ما عليها القيام به الآن هو الانتهاء من ارتداء ملابسها ثم المباشرة بالعمل على مخطط النجاة الذي اقترح عليها الليلة الماضية عندما أحضرت إلى الكوخ. إن نجح المخطط، ستتمكن من العودة إلى انكلترا. وإن لم ينجح، فذلك يعني العودة إلى التقشف. حيث أنها بالتأكيد لن تتصل بوالديها هاتفياً. فهما بالكاد تخطيا صدمة من إحدى بناتهما ويستطيعان الاستمرار بدون مشاكل من الأخرى. قد تساعدها السفارة، لكن، كيف ستتمكن من الوصول إليها وهي لا تملك من المال شيئاً، ولا حتى ثمن فنجان من القهوة وقطعة كرواسان لتناول فطور هذا اليوم؟

كانت اليكس، بعد نحو ساعة، واقفة تتفحص اللائحة على مدخل النادي، وقد ارتدت سروالاً من الجينز وقميصاً أخضر اللون، وحملت حقيبتها الصغيرة وقد تدلت من فوق كتفها الأخرى حقيبة من الدَّفيل. نعم، هذا هو، نادي مالمونت.

وكان من الواضح أنه يهتم كثيراً بأعمال السياح، لأن اللوحة تشير أنه يتم التحدث باللغات الإنكليزية، الألمانية والإسبانية من أجل راحة الزوار الذين يشاركون في ركوب الخيل خلال العطلة، الأمر الذي يتخصص به النادي.

كان يحدّ الطريق الفرعية سياج أبيض اللون نظيف. ورأت اليكس خلف السياج، وعلى بعد مسافة، مجموعة من ثيران الكامارغ السوداء، ومن حجمها توقعت أنها تبلغ نحو السنة من العمر، وعلى الأرجح أنها مجموعة في انتظار أن توسم. كانت تخور خوفاً من شر وألم مرتقبين. ارتعشت قليلاً، وشاركتها ألمها بينما كانت تسير.

تمنت أن تبدو انيقة. حيث أنها قامت بارتداء ملابسها وتوضيب نفسها معتمدة على التخمين بما أنه لم يكن هناك من مرآة أو ما شابهها في الكوخ المهجور. لقد نظفت سروالها جيداً، وكانت قميصها نظيفة. كما أنها غسلت شعرها في الفندق حيث أمضت الليلة التي سبقت حصول الكارثة، وقد كان من المبهج جداً أن العناية به لا تتطلب الكثير بعد قصة جميلة. على أية حال، لم يكن هناك من شيء تستطيع القيام به حيال مظهرها، لذا عليها أن تتكيف مع الأشياء وتنساها.

كانت الأشجار تحيط بالمكان. أخذت تسير بينها فوجدت نفسها في فناء مركزي حيث بناء المزرعة الجميل يحيط بها من ثلاثة جوانب. كانت هناك علامة تشير إلى وجود مكتب على الجهة اليمنى. وضعت اليكس حقيبتها وحقيبة الدّفيل قرب الحائط، شعرت بومضة صغيرة من الخشية، وقرعت الباب ثم دخلت.

رفع الرجل الفرنسي الأسمر ذو الشعر الرمادي الذي كان يجلس إلى الطاولة، نظره نحوها وسألها كيف يمكنه مساعدتها. وعندما سألت عن السيد مارك، الزائر الإنكليزي كما قالت لها ليز، التي لم تعرف اسم عائلة الرجل، نهض وفتح نافذة الجهة المقابلة من المكتب بعيداً عن الفناء، ونادى باللغة الفرنسية التي لم تجد اليكس صعوبة في فهمها.

«أنت، يا مارك! إنك محظوظ جداً! هنا شابة جميلة ذات شعر أحمر تسأل عنك.»

ثم، ابتسم لها ابتسامة عريضة، استأذن وخرج عابراً الفناء ليدخل إلى المبنى المقابل عبر باب في الزاوية البعيدة، تاركاً اليكس وحدها مع خوفها مما يحدث.

كان الهدوء يخيم على المكان، وكانت الإسطبلات في الجانب الآخر من الفناء خالية، وأبوابها مفتوحة على مصراعيها. كان هناك رجل برونزي البشرة يبدو قوياً ومرناً، يرتدي رداءً تقليدياً أزرق اللون يزيل الروث بروية. لا بد أن الركاب خلال العطلة قد غادروا في وقت مبكر في رحلتهم اليومية. كانت متوترة حيث أنها أصبحت قريبة جداً من النجاة أو العودة إلى الفراغ. شغلت اليكس نفسها في عدة أحواض نبات الجرندس المزهرة على الحائط المقابل، ثم بدأت تعد قطع الزجاج في نوافذ المكتب. كان عليها القيام بأي عمل لتبقى هادئة. وأخيراً سمعت وقع أقدام تقترب وبدأ باب المكتب يفتح.

أحد ما تكلم، فتراجع الذي يفتح كان الباب إلى الفناء ليجيب عن سؤال طرحه عامل الاسطبل، فتمكنت من مشاهدته عبر النافذة. تمكنت اليكس من رؤيته بشكل

واضح ورأت شعره اللامع الجميل معقوصاً عند مؤخرة عنقه البرونزي اللون. رفع يده ليمرر أصابعه من خلاله، فرأت وميض الذهب ذاته يتوهج فوق ذراع قوي العضلات برونزي اللون. وأدركت على نحو لا يقبل التصديق أن عينيها كانتا تنظران ببطء نحو قميص ناصع البياض وقد أدخل طرفه تحت كمر أنيق لسروال جينز أبيض اللون. كان من غير المحتمل في هذه الأرض من الشرق الأوسط حيث معظم الناس يمتازون بشعر أسود وبشرة ذهبية اللون، أن يتواجد شخصان بهذا اللون، وكليهما معتاد على ارتداء اللون الأبيض. وأدركت. من خلال شعور وهمي أدخلها إلى عالم الخرافات الخيالي، أنها تنظر إلى الراكب الأبيض. كانت متأكدة من ذلك. وشعرت أن تلك المعرفة جعلت نبضها يتسارع وراحتي يديها تتعرقان بينما اتسعت عيناها الخضراوان، دون أن تتمكن من رفع نظرها بعيداً عنه.

ثم استدار، فرأت من خلال أوراق نبتة التين المتدلية، التي كانت تنظر إليه عبرها، وجهه لأول مرة. وخطفتها تلك الرؤية الوشيكة من العالم الأسطوري إلى أكثر الكوابيس كآبة.

لقد عرفته! ليس من اللقاء الذي حصل في وقت مبكر من ذلك الصباح، والذي لم يكن لقاءً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، إنما من ترابط عائلي قريب جداً وذي تأثير كبير ومرهق جداً للأعصاب. وكأن اليد القوية أسرته ثانية، لأنها لم تكن تستطيع التكلم، فلقد صعقتها رؤيته مما جعل عضلات حنجرتها تتحجر تماماً.

إنه الرجل الذي نبذ أختها إيلين، والذي تسبب في تمزيق حياتهم العائلية الأمر الذي كاد أن يودي بحياة والدها، لأن

الألم والصدمة تسببا بذبحة قلبية لجون ليوارد، الذي كان محظوظاً بالشفاء منها ببطء.

الرجل الذي أتت لتطلب منه خدمة كان من عائلة ويكفورد، وعائلتا ويكفورد وليوارد كانا قد قطعا أي علاقة إجتماعية بينهما منذ جيلين مضيا. بالطبع، اكتشافه أن إيلين هي من عائلة ليوارد التي يمقتها كان السبب في جعل هذا الرجل يترك شقيقتها وكأنها جمرة مشتعلة. لم تلتقه اليكس فعلياً من قبل، لكنها كانت قد رأت صورة له. لقد أطلعتها إيلين عليها وجعلتها تقسم بأن تحفظ ذلك سراً، متظاهرة بالشجاعة من ناحية، ومن ناحية أخرى خائفة من ردة فعل العائلة على علاقتها النامية مع أقل رجل جدير بها في العالم من وجهة نظر عائلة ليوارد.

اتجه نحو الباب ثانية، وتلاشى الشلل الذي جمد اليكس من هول الصدمة في موجة من الخوف المشتعل. أحنت رأسها خوفاً وتظاهرت بانشغالها بشرائط قميصها، غير قادرة على تأجيل مواجهته وجهاً لوجهه. لقد رأت ما يكفي لتعرف أنه لم يتغير كثيراً. كان هناك من الناحية الجسمانية المحضة ذات لمعان شعره المتموج الأشقر، حتى أنه بدا أكثر استقراراً من تعرضه لأشعة شمس بروفانس. وكانت القوة تظهر في ملامحه الطبيعية بالإضافة إلى الوسامة التي يتحلى بها، كانت خطوط وجهه الحازمة وذقنه العريض تعطي انطباعاً ايجابياً عن شخصيته. بدا أنه رجلاً يعرف ماذا يريد وإلى أين يتجه. وأنه عرف أيضاً لماذا هو لا يريد شقيقتها وجعلها تدفع ثمن ذلك. كانت عيناه تعكسان شخصيته أكثر من أي جزء آخر في جسمه. عينان رماديتان

هما نافذتان لروح كان من الحكمة أن لا تنظر إليهما.

تمنت اليكس أن تكون مخطئة. إن طرفت عينيها ببطء، هل ترفعهما لترى وجه رجل آخر أمامها؟ شخص يبدو وكأنه من عائلة ويكفورد، إنما هو شخص آخر يشبههم كثيراً فقط؟ تمنت لو يكون الأمر كذلك. رأت قدميه وقد انتعل حذاءً طويلاً مصنوعة جيداً وقد أصبحتا على مقربة منها فأدركت أنها ما عادت تستطيع تأجيل تلك اللحظة أكثر.

تكلم، وبدا خطأ أن يكون صوته عميقاً، صوت لو أنها لم تعرف من هو لكانت انتابتها أفكار سارة. فقال: «سيدة البحيرة، على ما أعتقد!»

فقالت: «نعم؟» نهضت على قدميها ببطء، ودفعت إلى الوراء بعفوية شعرها المتوهج الذي كشف عن وجهها.

سار نحو طاولة المكتب. وقال: «لقد رأيتك تستحمين في البحيرة في وقت مبكر من هذا الصباح. لا يمكنك أن تزعمي أنك لم تشاهديني بعد الجلبة التي أحدثتها طيور النحام. أعتقد أن انزعاجك يعود في الواقع إلى أنك قد قضيت ليلة في الكوخ من دون أن تدفعي أي أجر؟ حسناً، إنك بالتأكيد لست أول شخص يستفيد من المالمونت بتلك الطريقة، ولا أعتقد انك ستكونين الأخيرة. على أية حال، ما من حاجة لأن تفكري في عذر لذلك. فذلك أمر لا شأن لي به.»

ابتلعت ريقها وتكلمت بثبات أكثر مما تعتقد انها تستطيع. وقالت: «لقد أمضيت الليلة هناك. ليلة واحدة فقط، ولدي سبب مقنع لذلك. لقد تركت المكان كما وجدته تماماً. لم يكن مقفلاً.»

قال: «كما قلت، ذلك أمر لا شأن لي به.»

جلس على حافة طاولة المكتب، وقد جعلتها نظراته تشعر

بالإرتباك. أصبحت نظراته باتجاه نظراتها مباشرة. وأخذت تفكر بسرعة، محاولة أن تجد جواباً مناسباً. ما قد تستطيع تحمل القيام به قد يكون الشيء المطلوب. كانت شبه متأكدة أنه لا يوجد سبب يجعله يدرك أنها شقيقة إيلين. لم تكن تشبه إيلين إطلاقاً، وشعرها الذهبي اللون كان بعيداً كل البعد عن شعر إيلين القصير البني اللون. ربما أنه لا يعرف أن لإيلين شقيقة. لكنها متأكدة أنه لن يرغب في الكلام معها ان عرف من هي. كما هي متأكدة من أن حواء هي من أعطت آدم التفاحة. إنه لن يرغب بذلك أبداً، وسيعتبره أمراً مقيتاً. لذا إن استطاعت أن تتحمل هي بدورها استغلاله، فعليها بطريقة ما أن تسير بخطوات يقظة.

حثها على الكلام قائلاً: «حسناً! لقد عرفت انك طلبتني باسمي. إذاً ما الذي أستطيع أن أفعله لك؟ وبكلمات أكثر دقة، ما الذي يجعلك تعتقدين أن في إمكاني أن أفعل أي شيء لك؟»

جالت ثانية في رأسها المشاكل التي عليها مواجهتها لتتكمن من العودة إلى لندن وهي لا تملك من المال شيئاً. ابتلعت اليكس ريقها، واتخذت قراراً حاسماً. إن استطاعت تجنب ذلك، يمكنها استغلاله ومن ثم نبذه.

قالت: «علمت انك عائد إلى لندن مع زوج من أحصنة الكامارغ؟»

رفع حاجبيه السوداوين قليلاً بدهشة. وقال: «صحيح.» بدا وكأن عينيه الرماديتين تقولان لها، وأي شأن لك بهذا؟

قالت: «إني سمعت أنك قد تحتاج إلى شخص ليساعدك في العناية بهما خلال رحلتك. في إطعامهما، ووضعهما في الاسطبل وتمرينهما. شيء من هذا القبيل.»

قال: «أخشى أن معلوماتك خاطئة. لقد تمت كل الترتيبات منذ أيام. ليس هناك من وظيفة شاغرة. إن كان هذا ما تقصدينه.» أضاف وهو يتأملها: «يبدو أن شخصاً ما يحاول وضعك في هذا الموضع، من هو؟»

«ليز، عندما أرشدتني إلى مكان الكوخ الليلة الماضية.»

استحوذت الآن على اهتمامه. نهض واقفاً، وتغضنت جبهته تجهماً. وقال: «إذاً، لقد رأيت ليز. ربما في إمكانك إعطائي بعض المعلومات عن مكان وجودها؟ كان من المفترض أن تكون هنا في الصباح الباكر لتهتم بالجياد. ليس عندي راكب للجواد الآخر.»

فقالت بلهجة تهكمية حاقدة: «عندما رأيتها آخر مرة، كانت تركب الدراجة النارية الخاصة بصديقها، وكانا متجهين نحو سانت ماري دو لامير.» فقال بصوت هادىء لدرجة مخيفة: «كانت ماذا؟ هل صدف أن توقفت لوقت كاف حتى تخبرك متى تنوي العودة من هذه الرحلة الصغيرة غير المتوقعة؟»

التقت عينا اليكس الخضراوان بعينيه. وقالت: «لا أعتقد أنها ستعود. في الحقيقة، انها لن تعود. ولهذا السبب أنا هنا. لقد أخبرتني بأنك ستكون في حاجة للمساعدة.»

تجمدت عيناه الرماديتان، وقال: «هل تقولين لي انها انسحبت من الترتيبات التي كنا قد أعددناها؟»

أجابته: «ليس تماماً. لقد... أجرت تبديلاً بسيطاً فقط.»

قال: «تباً لها! كيف فعلت ذلك؟» خطى خطوتين باتجاه النافذة وقد نفد صبره، ثم استدار نحو اليكس، مما تطلب منها أن تستجمع كل سيطرتها على نفسها كي لا تجفل. وسألها: «ومن أقنعها بذلك؟ أنت؟»

أجابته بشجاعة: «بالتأكيد لا. ربما أدركت فجأة أن البقاء هنا أمر ممكن، فور معرفتها اني مستعدة لأحل محلها. لم أحاول إقناعها بذلك. إنما الرغبة في البقاء هنا كانت موجودة داخل نفسها. فلديها صديقها الفرنسي، وكانت الأمور معه تتخذ منحىً جدياً. وارادت فعلاً أن تمضي المزيد من الوقت معه، تفهم ذلك بالطبع!»

قال بصوت متهدج: «على العكس، إني بالتأكيد لا أفهم ذلك إطلاقاً. الأمر الوحيد الذي أفهمه في الوقت الحالي أن ليز قد عقدت اتفاقية للعودة معي، والقيام بعمل مهم بالطبع. والآن، ودون أي إيضاح، قد اختفت عن وجه الأرض. إني اؤمن بذلك المبدأ القديم، الذي لا يفهمه الأطفال الذين هم في مثل عمرك، انه يجب المحافظة على الوعود، ويجب أن لا تنكث. وإن كان هناك تغيير في الخطة، إني بالتأكيد لا أتوقع أن يعلمني به شخص غريب تماماً، لا دخل له في هذه المسألة لا من قريب ولا من بعيد.»

فكرت اليكس بامتعاض شديد، كان الحديث عن الوعود أمراً مضحكاً، خاصة لأنه نابع منه حيث أن وعوده لإيلين قد نكثت.

من هو ليتكلم عنها كطفلة؟ من يظن نفسه؟ مصلح؟

وقبل أن تفتح فمها وتتكلم، سألها ثانية: «من أنت، على أية حال؟ ولماذا علي أن اصدق ان هذا ما حدث فعلاً؟»

عندما تعرّف إلى إيلين، كان إسم اليكس والذي هو الكسندرا قد اختصر إلى إسم ساندي، إسم كان يناديها به رفاقها في المدرسة. لذا فإن اسم اليكس يناسبها تماماً الآن.

فقالت: «اليكس» وسقط عليها الإلهام للحظة فاضافت: «اليكس وارد.» الإسم المختصر لعائلتها والذي يتناسب مع

اسمه المختصر الذي يطلقه على نفسه الآن. لقد كانت إيلين دائماً تتحدث عنه باسم ماركوس ويكفورد. إن كان في إمكانه اختيار إسم مارك فقط، ففي إمكانها إذاً أن تختصر اسمها ليصبح اليكس وارد. كان الإسم بعيداً جداً عن إسم ساندي ليوارد لتضليله، فيما لو أن إيلين قد حدثته صدفة عنها. وأضافت بوقار متزن: «وفيما يختص بتصديقك لما أخبرتك به، فذلك لن يكون ضرورياً. لقد أخبرتني ليز بأنها تركت لك رسالة توضح فيها كل شيء في غرفتها هنا. لقد توقعت ردة فعلك.»

قال بفظاظة: «ردة فعلي الطبيعية كلياً.» وهرع نحو الباب بسرعة، وتوقف فقط ليقول لها: «إنتظري هنا، من فضلك. أريد أن أتحقق من أننا نتحدث عن مشكلة موجودة فعلاً قبل تضييع المزيد من الوقت.»

عندما غادر المكتب، فكرت بحماس في من اذى اليكس. يمكنها ان تتدبر أمرها من دون الخوض في هذه المشاحنة كلها. لقد كان من السوء كفاية لأن تبقى معزولة هنا، إنما ليس سيئاً جداً، ربما، لتخوض معركتها ضد حقد هذا الرجل، وليس حقده فقط. لأن حقدها عليه كان يوازي حقده قوة. وماذا عندها لتنتظره؟ إمضاء أيام مع شخص من عائلة ويكفورد؟ وليس أي شخص من تلك العائلة، إنما ذاك الذي معاملته لإيلين تعني أن حقدها عليه أكبر من حقدها تجاه كل أفراد تلك العائلة مجتمعين. بالنسبة إلى اليكس، جرائم عائلة ليوارد قد دفنت مع الماضي، إنما جريمته هو فلم تنسها بعد. بل هي مطبوعة في ذاكرتها بقوة.

اتخذت قراراً سريعاً وغادرت المكتب. التقطت حقيبتها

وسارت بسرعة بين الأشجار واتجهت إلى بقعة رائعة إلى جانب الطريق الفرعية، وشعرها الذهبي اللون يتطاير كالشلال وراءها. ليجد ذلك الرجل نفسه في مأزق كما وجدت هي نفسها. ليبدأ في حل مشاكله كما ستفعل هي مع مشاكلها. إنها لا تريد منه شيئاً، لا الرينج روفر الذي يقوده، ولها جياده لقد تمنت له المرارة في عودته إلى انكلترا. أي عمل متبجح، بأية حال، القدوم إلى جنوب فرنسا من أجل شراء جوادين. بالتأكيد هناك جياد رائعة جداً في انكلترا.

لم تكن قد وصلت بعد إلى الطريق الرئيسي، عندما مر من أمامها بسرعة الرينج روفر وتوقفت فجأة مما جعل عجلاته تزعق، ثم استدار بسرعة على الطريق الفرعية. ونزل منه مارك ويكفورد. وقال: «امرأة أخرى تغير قراراتها بشكل دائم كما تغير ملابسها، ألست كذلك؟»

فأجابت: «اعادة النظر في الأمور هي ميزتي.»

فهم قصدها وتحرك إلى إحدى الجهات ليمنعها من محاولة المرور وتركه. سألها: «هل لي أن اسأل إلى أين تفكرين في الذهاب؟»

أجابته: «بعيداً من هنا. ذلك أيضاً، من مميزاتي.»

قال: «اعذريني إن وجدت ذلك مدهشاً. فمنذ خمس دقائق كنت مهتمة جداً في القيام بعكس هذا تماماً.»

قالت: «كان ذلك حينها. وليس الآن.»

«ألا تعتقدين أن هذا كله عمل طفولي؟ لقد اعتقدت أن تصرف ليز غير المسؤول قد يكون اعطاك دافعاً لتظهري أن بعض النساء قادرات على التصرف بشكل واع...»

قاطعته اليكس قائلة بلهجة ساخرة: «لقد صُنفت هناك في المكتب كطفلة. شكراً على التشجيع.»

فتابع كلامه، متجاهلاً ما قالته: «لم أنه حديثي معك بعد. لقد تقدمت لي بعرض لم أرفضه ولم أقبله. كان في امكانك أن تمنحيني لطف انتظارك لمعرفة جوابي.»

قالت: «ليس من الحكمة دائماً أن تتعامل مع المجهول بتقديم عرض. لدي أفكار ثابتة فيما لا أريد اختياره لتعريض نفسي له، وأخشى أن اسلوبك يقع تحت تلك النقاط.»

فقال بازدراء: «شخص أحمر الشعر تقليدي! مزاج يتناسب ولون شعرك.»

التقطت اليكس الحقيبة التي كانت قد وضعتها ارضاً وقالت: «لقد قدمت إلى هنا بحسن نية، معتقدة اني قد استطيع أن أوفر عليك المشاكل حين أعمل في المكان الذي تركته ليز شاغراً. لقد جعلتني ابدل رأيي. وليس هناك المزيد ليقال.»

مد يده، وأخذ الحقيبة منها ووضعها بقوة على الأرض ثانية. وقال: «بل اعتقد ان هناك. إهدأي واستمعي إلى ما سأقوله. دعينا لا نكون أغبياء لننهي كل شيء قبل أن نعرف إن كان في إمكاننا تسوية الأمر من أجل مصلحتنا المتبادلة. لقد نقلت إلي مفاجأة غير سارة بما أخبرتني به بشأن ليز. ربما انفعلت أكثر من اللازم قليلاً.»

قالت اليكس بلهجة ساخرة: «قل الأمر ببساطة أكثر، اتوقع أن ذلك يعني ان الوقت لا يسمح لك لتدرك أن من الصعب ايجاد شخص لمساعدتك في العناية بالجياد.»

قال: «فسري ذلك كما يحلو لك. لدي احساس يقول لي ان رغبتك في أخذ مكان غيرك يعني أن أمنيتك في العودة إلى انكلترا لا تقل قوة عن حاجتي لمن يساعدني في العناية بالجياد.»

هزت كتفيها وقالت: «ربما لكن ليس بأي ثمن.»

أومأ برأسه قليلاً. وقال: «إذاً ربما نكون كلانا أكثر تعقلاً في أخذ الوقت الكافي لإعادة النظر في الأمر.» استدار وفتح باب الرينج روفر، وبطريقة ما، رغم أنها لم تقصد فعلاً القيام بشيء كهذا، وجدت نفسها تصعد إلى الرينج روفر بينما وضعت حقيبتها على المقعد الخلفي.

حاولت اقناع نفسها بأن رحيلها من المكتب ربما كان تصرفاً انفعالياً قليلاً، بينما كان مارك ويكفورد يقود الرينج إلى الطريق العام ليتمكن من الإستدارة بدورة كاملة والاتجاه عبر الطريق الفرعية نحو المزرعة. لم يكن هناك من ريب أنها إن استطاعت أن تتخطى تحفظاتها بشأن العمل معه، ولو بشكل مقتضب، فقد تستفيد منه كثيراً. وكانت متأكدة أيضاً أنها تستطيع القيام بالعمل الذي كان على ليز أن تقوم به وبالمهارة ذاتها التي كانت لتقدمها.

وقاد هذه المرة سيارته مباشرة باتجاه الجهة الخلفية لبناء المزرعة، وعندما نزلا من الرينج روفر ارشدها إلى طاولة تحت تعريشة كثيفة من البوغنفيلية وازاح لها مقعداً لتجلس عليه.

سألها: «إن ذهبت لأعد بعض القهوة، هل تعتقدين أنه في إمكانك قمع الدافع للهرب ثانية؟»

فأجابته: «لا يمكنني الهرب إلى أي مكان، أليس كذلك؟ فقد أقفلت على أمتعتي في سيارتك.»

ابتسم ابتسامة صغيرة بطريقة تدل على أنه منتبه جداً لما فعله، ولماذا فعل ذلك.

قال: «لقد فعلت ذلك. يا لشدة ملاحظتك. لن أتغيب طويلاً.»

أخذت تنظر إلى الثيران على بعد مسافة منها بينما كانت

ترمى أرضاً لتوسم، وشعرت بالسرور لأنها لم تستطع أن ترى تماماً ما كان يحدث بالتفصيل. بدا ذلك عملاً قاسياً. كان ينتابها إحساس صعب أن هناك شيئاً رمزياً في ذلك، لكنها لم تكن ترغب في التفكير كيف بالضبط.

قال: «ها نحن هنا.» ووضع صينية على الطاولة. واضاف: «إنني أتناول قهوتي ثقيلة، مع حبتين من السكر.»

سكبت اليكس القهوة، ووضعت بعض الحليب في فنجانها. وسال لعابها عندما رأت طبقاً من الكعك المحلى بالشوكولا. توقعت أن يهدىء أول فنجان لها من القهوة هذا اليوم مزاجها، وتوقعت أن يتحسن أكثر عند تناولها الكعك المحلى.

قال مارك ويكفورد بتأمل: «يجب أن أقول انني قد وجدت صعوبة في فهم السبب الذي جعل ليز تقبل بمرافقتي ومساعدتي في العودة مع الجوادين إلى انكلترا للحظة ومن ثم تذهب مع فاتن النساء الفرنسي هذا في اللحظة التالية.»

قالت: «لم تكن تلك نزوة مفاجأة. إنما هي توافر الظروف الملائمة. قالت انها أصبحت مغرمة جداً بفرانسوا خلال الأيام القليلة الماضية، وحالما أدركت انني مستعدة لأن أحل مكانها، حيث أن لي سبباً هاماً للقيام بذلك، في الواقع، لقد وضع كل شخص في مكانه.»

قال: «كان يجب أن تتمتع بالكياسة لتخبرني شخصياً ما تنوي القيام به.»

قالت: «اعتقد أنها شعرت بأنك قد تحاول نصحها بالعدول عن ذلك.»

قال: «كانت محقة.» وضع فنجانه على الطاولة، رافضاً

عرضها في أن تسكب له فنجاناً آخر. وأضاف قائلاً: «على أي حال، لقد علقنا بما قامت به الآن. لذا دعينا نتحدث عن العمل. كائناً من كانت الإنسانة التي سترافقني يجب أن تعرف على ماذا ستقدم. قبل أن تتحمسي كثيراً لكي تأخذي مكانها، دعيني أقول لك ماذا يتضمن عملك.»

قالت: «في الواقع، لقد أخبرتني ليز.»

قال: «رغم ذلك، يجب أن أخبرك ذلك ثانية. تتضمن الخطة الانطلاق بالرحلة عبر فرنسا بثبات قدر الامكان، دون القيادة أكثر من ثلاث إلى أربع ساعات في اليوم، ومنح الجوادين الوقت الكافي من الراحة والكثير من التدريب. أرى أن الرحلة قد تستغرق على الأقل ثلاثة أيام للوصول إلى ضفة القناة، وربما أكثر.» وأخبرها بشكل منظم بكل التفاصيل التي سبق ان أخبرتها بها ليز، منهياً كلامه بتحذير فظ، حيث قال: «لن تكون نزهة. لا أعرف كيف ستكون ردة فعل الجوادين تجاه السفر، لذا فإني لم أحجز مقدماً. قد نضطر إلى قضاء ليلة غير مريحة حيثما نصل.»

قالت بلا مبالاة: «ذلك ليس بالأمر الذي قد يقلقني.» وعندما رأت أن تعابير وجهه قد تغيرت إلى تعابير لم تفهمها جيداً، أضافت: «هل هناك خطب ما في ذلك؟»

أجابها: «كنت أفكر فقط أن كلتاكما، أنت وليز، عرضة لاتخاذ قرارات فجائية وسريعة. لقد رحلت هي إلى مكان مجهول فجأة مع رجل لا أعتقد أنها تعرفه جيداً. وأنت تصرحين بأنك جاهزة لتمضية أكثر من ثلاثة أيام، وليال... مع رجل لا تعرفينه تقريباً. لا يمكن للمرء ألا يشعر بأنكما أنتما الاثنتان يجب أن تكونا أكثر حذراً في عالم اليوم.»

«إني أعرف نفسي. وذلك كافٍ بالنسبة إلي.»

قال: «لا رغبة عندي في مناقشة نقاط ثانوية في الوقت الحاضر. إذاً... ما هو السبب المقنع الذي أشرت إليه؟ ذلك الذي جعلك متحمسة جداً لتأخذي مكان ليز؟»

قالت: «لقد سرقت كل أموالي في الإحتفال في سانت ماري دولا مير. كل أموالي، وشيكات السفر، وتذكرة العودة. التقيت ليز واصدقاءها في وقت مبكر من النهار وبقيت معهم لمشاهدة موكب الغجر. لقد كان هناك جموع كثيرة من الناس على الشاطىء، وعندما اكتشفت أنني قد فقدت محفظتي عرفت على الفور أنه من المستحيل إيجاد الشخص الذي أخذها. فأخذني ليز وشريكها إلى مركز الشرطة، حتى أنهما قدما لي العشاء فيما بعد. والبقية... حسناً، أنت تعرف ماذا حصل بعد ذلك.»

فقال بطريقة جافة: «آه، أجل. واعرف تماماً ماذا تتوقعين أن يحدث الآن. إن دوافعك واضحة جداً. إنك تتوقعين أنني سوف أهرع في الحال للقيام بدور الشخص الذي سيزودك بالطعام وتذكرة السفر في الوقت المناسب.»

فأجابته بسرعة: «مقابل الخدمات التي سأقدمها. افترض أن ليز ما كانت لتقوم بعمل ليومين أو ثلاثة دون مقابل. يجب أن يستحق ذلك أجرة راكب عبر القناة.»

«لا تقلقي. إن استخدمتك، سأدفع لك أجرك. إن...»

«لن ألمس أي قرش، عدا المصاريف الضرورية.»

قال: «هكذا؟ وافترض إن وقع سكين بين يديك فستقطعين ذلك الأنف الصغير الجميل لتغيظي وجهك.»

قالت بفظاظة: «أرجوك لا تكن راعياً.»

قال: «إنك تأخذين الأمور بجدية.»

قالت: «بقدر ما تظهره من جدية، فقط.»

دفع فنجانه عبر الطاولة. وقال: «سأتناول ذلك الفنجان الآخر من القهوة الآن.»

ملأت فنجانيهما، وقد تضرج وجهها، وفكرت، لماذا لم يكن مجرد غريب تماماً يعود بالجياد إلى انكلترا، شخص من دون أصداء مؤلمة، وحزينة من الماضي؟ تناولا قهوتهما في صمت يتخلله خوار الثيران البعيدة فقط.

قال مارك ويكفورد أخيراً: «بالطبع إن كنت لا تستطيعين الإهتمام بجواد، فلن أكون في حاجة إليك.»

قالت: «لست خائفة في أن أضع قدراتي تحت الإمتحان. لقد امتطيت الجياد طوال حياتي.»

قال: «لكن هذين الجوادين لم يمتطيا طوال حياتهما. لقد أمسك بهما حديثاً تقريباً. لا أريد أن يحدث لأي منهما مكروه في طريق العودة.»

قالت بسخرية: «ولا أريد أن يحدث لي أي مكروه.»

قال: «ذلك أيضاً، على ما أعتقد. إذاً هذا ما أقدمه. تبقين هنا لبقية هذا النهار، خلال الوقت الذي اقنع فيه نفسي بمرافقتك كممتطية للجياد. إن اقتنعت بذلك، فسوف ننطلق كما خططت غداً. ما رأيك؟»

اجابته بتحفظ: «يبدو لي ذلك عادلاً جداً.»

قال: «اذاً لنتفق على ذلك. من الأفضل أن تأتي وتتعرفي إلى هنريت مالمونت. ستسمح لك باستعمال الغرفة التي كانت تستعملها ليز...» ونظر إليها مباشرة وهو ينهض، ثم أكمل كلامه قائلاً: «... إذاً مهما حدث ستحصلين على ليلة

أكثر راحة من الليلة الماضية. وإن لم ينجم شيء عن تجربة اليوم، فعلى الأقل ستحظين بمزيد من الوقت قد يبدو ضرورياً لتجدي حلاً آخر لمشاكلك.»

نهضت ونظرت إليه بتحد: «يبدو لي ذلك عادلاً جداً.»

لوى شفتيه بتهكم. وقال: «لا أشك بذلك. احدى نساء اليوم... جاهزة للقيام بأي شيء، مهما كان يفتقر للحكمة.»

استدار ومشى، وتبعته إلى داخل المنزل، وعيناها تتأملان القميص الأنيق المشدود فوق كتفيه العريضين، وهي تفكر، أكان الأمر يستحق حقاً أن ترمي بنفسها في هذا الخضم من المشاعر الحزينة، فقط لتحصل على تذكرة عودة إلى الوطن؟

ستكون ممثلة بارعة إن استطاعت أن تفعل ذلك، لأن آخر شيء على الأرض يجب أن يعرفه ماركوس ويكفورد، إن استطاعت أن تحمل نفسها على العمل لديه، أنه بالفعل يقدم خدمة لشخص، وربما الأسوأ من وجهة نظره، تقديم خدمة إلى عائلة ليوارد.

الفصل الثاني

كانت هنريت مالمونت، المرأة السمينة، ذات الشعر الداكن اللون، والمحتشمة المظهر، مشغولة في القيام بعدد من الأعمال في المطبخ. استمعت إلى قصة رحيل ليز. وكانت ردة فعلها مجرد ابتسامة ارتسمت على ثغرها، وهزة استهجان هادئة من كتفيها، وعلّقت قائلة: «انها شابة صغيرة! يجب أن تتوقع أي شيء من شابة صغيرة، عندها، لن يدهشك أي تصرف قد تقوم به، أليس كذلك!» وقالت ان اليكس تستطيع بكل سرور أن تستعمل الغرفة التي كانت تشغلها ليز، وأخبرتها بأنها سترشدها اليها بعد لحظة قصيرة.

تركهما مارك، بعد ما اتخذ الترتيبات الضرورية التي تشعره بالارتياح، قائلاً انه سيحمل متاعها إلى غرفتها في ما بعد. بعدما أنهت إعداد فطيرتين بالتفاح، رافقت هنريت اليكس عبر غرفة الطعام الطويلة ذات الشكل البروفانسي التقليدي حيث الطاولة الضخمة تتسع لجلوس ثلاثين شخصاً على الأقل حولها، قادتها بعدها إلى زاوية الفناء الخارجي. وهناك، انعطفتا نحو درج غير ظاهر يؤدي إلى الغرف الموجودة فوق الاسطبل. أخذت هنريت ملاءة من خزانة على أعلى السلم، وسألت اليكس ان كانت تمانع في ترتيب سريرها بنفسها.

قالت لها شاكرة: «يسعدني أن أقوم بأي عمل للمساعدة، لطف منك أن تسمحي لي باستعمال الغرفة.»

أجابتها هنريت ببساطة: «واحد يذهب وآخر يأتي... هذه هي طريقة الحياة هنا.» ثم، وبعد أن أعطتها القليل من المعلومات عن مكان الحمام وغرفة الغسيل، استأذنت وعادت مسرعة إلى المطبخ. نظرت اليكس بامتنان في أرجاء مسكنها لهذه الليلة. كانت غرفتها واحدة من نحو ستة غرف تفتح على ممشى، أرضيتها الباردة مكسوة برقاقات من الفلين ذات لون داكن، مصراعان ضروريان لا بد منهما على النافذة، وأثاث بسيط ومريح من خشب الصنوبر. نزعت الملاءة عن السرير وأعادت ترتيبه بالملاءة النظيفة. عادت بعد أن أخذت الملاءة الوسخة إلى نهاية الممشى لتتكىء على حاجز نافذتها المفتوحة، وأخذت تنظر إلى الفناء الخارجي المهجور. ظهر ماركوس ويكفورد، فاجفلها ظهوره مما جعلها تتراجع قليلاً إلى الوراء. كان يحمل مجموعتين من الحبال، وشعرت اليكس، عندما نظرت نحو شعره اللامع وخطواته الرشيقة، باحساس ينتابها بعيد كل البعد عن العدائية. واعترفت لنفسها بحزن انها تستطيع ادراك سبب تورط ايلين معه تماماً. رغم معرفة اليكس بما فعله والنتائج التي ترتبت على أعماله، كان في امكانها أن تدرك انه من الرجال الذين يلفتون نظر أي امرأة ويطلقون مخيلتهن المستكينة السريعة التأثر بالاغراء.

وضع الحبال إلى جانب باب الاسطبل، ونظر حوله، في كلا الاتجاهين. لاحظت اليكس انه كان يشعر بأنه مراقب، احتقرت نفسها لحماقتها التي جعلتها مأخوذة لجاذبية مظهره الرائع، تحركت بسرعة لتبتعد عن النافذة قبل أن

يرفع عينيه ويراها، ثم جلست على السرير. لم تخالجها الشكوك حيال قدرتها على أن تسوس جواداً، انما لمسايسة رجل من عائلة ويكفورد، وخاصة هذا الرجل بالذات، كان أمراً مختلفاً كلياً.

لقد أعاد لقاؤها بماركوس، أو مارك كما يسمي نفسه الآن، إلى نفسها كل التوتر الذي شعرت به على ايلين منذ عامين. لم يكن في امكانها التحرر مما حدث في ذلك الوقت، فما زالت كل الأحداث المؤلمة التي حصلت حينها راسخة في ذاكرتها.

كانت اليكس تتمرن في آخر سنة لها في علوم معالجة الأمراض بواسطة المداواة الطبيعية، وبدأت تكتشف عندما عادت إلى المنزل لقضاء عطلة الفصح، المصيبة التي يمكن أن تحل في حياة شقيقتها.

كانت حياة ايلين العاطفية قضية خاضعة لاهتمام حكيم من قبل جميع أفراد عائلتها، بعد فشل زواجها الأول المبكر. كان واضحاً ان ايلين في مزاج جيد منذ أن رأتها اليكس نهار الاربعاء قبل الفصح، وسرعان ما تبين ان صديقاً جديداً هو السبب في ذلك. لكن الحيرة انتابت اليكس من الطريقة الغامضة التي تتحدث بها ايلين عنه.

سألتها: «هل هو مهم؟»

فأجابتها: «يستطيع أن يحقق أمراً مهماً فعلاً. في الحقيقة، لست متأكدة أنه لم يفعل ذلك حتى الآن.»

سألتها اليكس بفظاظة: «إذاً، كيف حدث اننا لم نره؟ انك لا تنشرين عادة هذا النوع من حجاب السرية حول حياتك العاطفية.»

أجابتها: «آه، لكن هذه مختلفة.» ونظرت ايلين نظرة تردد

إلى شقيقتها، ثم بدت وكأنها قررت شيئاً ما، فقالت: «ان لم أخبرك أنت، فمن أخبر؟ سأريك صورة لم يرها أحد سواك.»

مررت إليها ايلين الصورة بكل تبجيل تقريباً. نظرت اليكس إلى وجه الرجل في الصورة. وانتابها ارتياح للوهلة الأولى. فلم يكن يبدو رائعاً فقط، بل بدت على ملامح وجهه أيضاً قوة وعزم ينمان عن الاطمئنان.

قالت: «حسناً، يا لك من محظوظة! انه رائع لا عجب ان احتفظت به لنفسك! ما اسمه؟ أدونيس؟»

لم تضحك ايلين لذلك وكان جوابها جدياً تماماً.

قالت: «هل تقسمي على أن لا تخبري أحداً حتى أقول لك انك تستطيعين القيام بذلك؟ إن لم تفعلي لن أخبرك شيئاً.»

أجابتها: «هيا، يا ايلين! سأقسم على أي شيء ترغبين به فقط أخبريني ما هو السر.»

قالت ايلين محذرة: «إني جادة.»

أجابتها: «وأنا كذلك، لن أنبس بأي حرف لأي كان، والآن هيا! أخبريني!»

قالت: «إذاً، حضري نفسك لصدمة. اسمه ماركوس. ماركوس ويكفورد.»

احتجت اليكس بصوت عال وحاد: «ويكفورد! رجل من عائلة ويكفورد؟ هل أغرمت حقاً برجل من عائلة ويكفورد؟ اوه... لا! ذلك سيكون بالنسبة للعائلتين كوضع الهر أمام اللحم.»

قالت ايلين بكآبة: «لا يهم ما يظنه أهلنا، أولاً عليّ أن أخبر ماركوس بأنه كان يخرج مع فتاة من عائلة ليوارد طوال الشهرين الماضيين.»

قالت اليكس، وقد غار قلبها في صدرها: «هل تقصدين

أنه لا يعرف ذلك؟ بالطبع. لن يعني اسمك شيئاً، أليس كذلك؟»

ورمت بنفسها على السرير. لقد تزوجت ايلين عندما كانت لا تزال في المدرسة، وتطلب الأمر أقل من سنة لتشعر بالندم. وهي الآن مطلقة، لكنها لا تزال تستعمل اسم عائلة زوجها، ويعود سبب ذلك، لأنها ما زالت تشغل ذات الوظيفة التي شغلتها كإيلين فيكرز.

التقت عينا اليكس الخضراوان بعيني شقيقتها الزرقاوين القلقة. قالت لها: «أوه، يا ايلين! لقد أوقعت نفسك في مأزق كبير، أليس كذلك؟»

قالت ايلين باكتئاب: «أعرف. كان الأمر في البداية مجرد تسلية لي، لكن الآن ما عدت أشعر أن الأمر كذلك أبداً. سوف أخبره الحقيقة، لكن عندما أرى أن ذلك مناسباً، ودون أي تدخل من العائلة حتى أكون قد سويت الأمور مع ماركوس. كونه ينتمي إلى عائلة ويكفورد هو أمر تافه بالنسبة إلي. كما قلت، انه رائع. وليس هذا فقط، فهو شخص مذهل. انه لطيف جداً جداً. أعرف فقط ان الأمور ستكون على ما يرام.»

اكتراث اليكس لعداء العائلة لا يزيد عن اكتراث ايلين له. حيث يعود ذلك لجيلين مضيا عندما منع أحد رجال عائلة ويكفورد بطرق ملتوية زواج جدهما ليوارد، زواج حب وثروة في آن معاً، وانتزع منه تلك العروس وثروتها المحلية وتزوجها. كانت المسألة في تلك الفترة مسألة حياة أو موت، لقد فقد جدهما الثروة، لكنه لم يهنأ له عيش حتى استرجع المرأة. كان ذلك انتصاراً وجيزاً جداً، رغم كل شيء. وأدت محاولات فرنسيس ويكفورد القاسية لاسترجاع زوجته وشعورها بالكآبة والاضطراب نتيجة

للخطيئة الأخلاقية التي ارتكبتها إلى الانتحار. وكان كلا الرجلين يشعران بالظلم، مما جعل المصالحة بين العائلتين في ذلك الوقت أمراً مستحيلاً. استطاعت اليكس ادراك ذلك. وعندما كانت هي وايلين تتحدثان في ذلك الموضوع، كانتا تسلمان بأن رؤية رغد عيش عائلة ويكفورد نتيجة للأرض التي استولوا عليها عنوة فيما تعيش عائلة ليوارد حياة متواضعة، قد تثير في نفس والدهما شعوراً بالمرارة تجاه ما كان ليكون ملكاً له. لكن لم يكن لذلك الأمر تأثير في نفسيهما. أما جدهما فقد تزوج في آخر الأمر من جديد، وعاش بسعادة، وكان والدهما ثمرة ذلك الزواج. ثم مات جدهما قبل أن تولدا، وهكذا فانهما لم تتعرفا على أي من الشخصين المتضررين. لقد حان الوقت بالتأكيد لنسيان تلك الحادثة المؤسفة! على أية حال، لقد انتقلت عائلة ويكفورد إلى مكان بعيد عن منطقة جنوب سوسكس الصغيرة حيث عاشت العائلتان لعدة أجيال، لذا فإن ذلك الحقد قد خفت حدته إلى حد ما. إنما من الأفضل عدم النوم بين القبور كي لا تأتي الكوابيس.

سألت اليكس شقيقتها: «أعرف اننا نعتقد ان ذلك حدث في الماضي، لكن الموضوع هو... هل تتصورين ان ماركوس سينظر إلى تلك المسألة كما ننظر نحن؟»

أجابتها ايلين بثقة كاملة تقريباً: «اني متأكدة أنه سيفعل. أعتقد ان علاقتنا قد وصلت لدرجة تجعل أي أمر آخر غير مهم... يجب أن أقول، يا ساندي، إن مسألة هذه الأرض المحرمة قد تضيف بالتأكيد بعض الاثارة للأمور.»

بينما كانت اليكس على أهبة الخروج قالت لها بقلق

وكأنها تتنبأ: «لا تلعبي بالنار لوقت طويل كي لا ينتهي بك الأمر بحرق أصابعك.»

تطلب ايضاح الأمر لماركوس أسابيع عديدة من ايلين، وعندما فعلت ذلك في آخر الأمر كانت النتيجة، كما خشيت اليكس، كارثة، وبالرغم من ذلك، لم تتوقع ما قد تحمله من نتائج قبل وقوعها.

كانت أول معرفتها بالأمر في الليلة التي سبقت عودتها إلى المنزل بعد أن أنهت امتحاناتها النهائية في المستشفى، عندما تلقت اتصالاً هاتفياً كئيباً من ايلين أخبرتها خلاله بأنها في المطار بانتظار أن يحين موعد اقلاع رحلتها إلى أميركا.

لقد انتهى الأمر بينها وبين ماركوس. كان صوتها متهدجاً، تكتمه الكآبة والدموع المخنوقة. لم تكن راغبة في الحديث عن ذلك الموضوع. فقد كانت تشعر بعدم الفخر بنفسها اطلاقاً. كل ما كانت ترغب به هو الرحيل بعيداً. سوف تراسلها، لكن ليس لتتحدث عما حصل بينها وبين ماركوس. كل ما كانت تريده هو نسيان ما حدث. لقد انتهت تلك العلاقة. ولا ترغب بأن يطرح عليها أحد أية أسئلة. أرادت فقط حياة جديدة. سوف تتمكن من ايجاد وظيفة من الخبرة التي اكتسبتها من وظيفتها السابقة.

قبل أن تتمكن اليكس من مقاطعة دفق الكلمات المثيرة التي كانت تتلفظ بها شقيقتها، سمعت من المطار الاعلان باقلاع الطائرة، وبسرعة قالت ايلين: «طائرتي ستغادر.» ورحلت.

عرفت اليكس، عندما وصلت المنزل، ان الأمر قد تُرك لها لتشرح لوالديها. استمعت السيدة ليوارد، الكئيبة والمرتبكة

لمغادرة ابنتها الكبرى المنزل والبلاد، بشكل مفاجيء، إلى تفسيرات اليكس لسلوك شقيقتها.

قالت: «آوه، يا ايلين المسكينة! الفتاة الحمقاء! لا بد انها صُدمت عندما اكتشفت انه ما زالت موجودة تلك الهالة الكبيرة لمشكلة سخيفة رغم مرور كل تلك السنين. ما لا أستطيع فهمه هو، لِمَ كان هذا التكتم الذي أحيط به هذا الصديق الأخير؟ لكنك تعرفين ما آلت اليه الأمور بعد زواجها الأول المشؤوم. كنا جميعاً حذرين وخائفين. كأننا نمشي على البيض. آوه يا ساندي! كيف سنخبر والدك؟»

قالت: «لنفترض ان ذلك الرجل من عائلة ويكفورد لم يأبه للعداء القديم... كيف كنتما أنت ووالدي ستواجهان الأمر؟»

نظرت والدتها بعينين غائمتين من شدة الحزن، وقالت: «لم يكن لي شأن بذلك العداء بأية حال. اني مجرد دخيلة عليه. لكنني بصدق أعتقد ان والدك لا يضمر شيئاً تجاهه حتى هذه الأيام، اني متأكدة انه كان ليتقبل الأمر إن كان ماركوس هذا رجلاً صالحاً. أنا كنت لأفعل ذلك. أما الآن، فانني أفضل قتله.»

قالت اليكس: «من الواضح انه ليس صالحاً اطلاقاً. لقد أظهر انه عدائي ومتحيز كأي شخص من عائلة ويكفورد.»

كانت السيدة ليوارد محقة في خوفها من اخبار زوجها. فقد قضى ليلة مروعة نتيجة لنوبة قلبية، اتبعت انفجار غضبه المرير ضد عائلة ويكفورد، عانى منها في ساعات الصباح الأولى. وتعافى انما جزئياً فقط، مما أجبره على التقاعد في وقت مبكر، الأمر الذي لم يكن مهيأ له مادياً بعد. كان عليه أن يبيع منزل عائلة ليوارد القديم الذي توارثه

أفراد العائلة منذ ثلاثة أجيال. أما الآن فإن والدي ايلين واليكس يعيشان في منزل صغير يمتلكانه، دون أن يتذمرا، لكن الفتاتين كانتا تدركان ان أفضل ما يمكن قوله انهما يتحملان ذلك. حيث أن الأيام الخوالي قد رحلت.

مرت سنة قبل أن ترى العائلة ايلين مجدداً، حيث كانت، كما أخبرتهم في رسائلها ومكالماتها الهاتفية، قد خطبت إلى شاب أميركي استطاعت اقناعه بالمجيء للتعرف إلى عائلتها. لذا لم يكن من المناسب القيام بأية محاولة لنبش الماضي. وخاصة على ضوء ما آلت إليه صحة السيد ليوارد. كانوا رغم كل الصعاب، فرحين عندما وجدوا أن ايلين قد وجدت أخيراً، الرجل المناسب حسب رأيهم جميعاً. أما الآن، بعد مرور عامين، تعيش بسعادة مع زوجها، وطفلها الأول، الذي أسمته على اسم والدها.

لم يذكر اسم ماركوس ويكفورد مرة ثانية، لكنه بقي في ذاكرة اليكس ذلك الرجل الذي بدّل مسار حياة شقيقتها، وتسبب بابتعادها عن عائلتها، وأنهى تقريباً حياة والدهما.

أعادتها طرقة على باب غرفة نومها من افكارها الكئيبة إلى الواقع، فوجدته واقفاً هناك، حاملاً حقيبتها.

قالت باقتضاب: «شكراً.»

قال: «انتظري لحظة...» ومنعها من اقفال الباب في وجهه، وأضاف: «أريد أن أتكلم معك.»

أعادت اليكس بتذمر فتح الباب قليلاً، لكنها لم تدعه للدخول. وسألته: «نعم.»

أجابها: «لقد أعددت ترتيبات لبقية النهار. سنأخذ حصانين في نزهة. وهكذا تتاح أمامك فرصة كبيرة

لتظهري ما تستطيعين القيام به.» نظر إليها بتمعن من رأسها إلى أخمص قدميها، وأضاف: «تستطيعين البقاء بهذه الملابس، واعتقد اننا نستطيع أن نتدبر لك قبعة من أحدهم.»

«لا حاجة لأن تفعل ذلك. لدي واحدة كما اني أفضل ارتداء سروال خاص لركوب الخيل. لقد أحضرته معي أيضاً.»

قال: «ذلك مناسب جداً. أعتقد انك استعرتها من ليز.»

قالت: «لا، انها لي، لقد أمضيت الجزء الأول من عطلتي أمتطي الجياد في فيركور.»

إلا ان ذلك لم يجعله يذعن، فقال: «يبدو ذلك واعداً، لكنك ما زلت ملزمة باقناعي انك تجيدين ذلك. انزلي إلى الأسفل بأسرع ما يمكنك.» ثم استدار واتجه عبر الممشى بخطوات واسعة. أقفلت اليكس الباب وهي تشعر بالانزعاج، وسحبت السروال الخاص بركوب الخيل من داخل حقيبتها.

كان ذلك السروال بحق هو الأنسب لأي شخص يرغب في اخفاء أماكن البدانة من جسده، لكنه بدا على جسم اليكس المتناسق وكأنه يضيف على الجمال جمالاً. استبدلت قميصها الأخضر اللون بكنزة قطنية رقيقة لونها يشبه لون الحجارة، وضمت شعرها الذهبي الكثيف بعقدة كأنه فراشة تنزلق خلف عنقها، ثم انتعلت حذاءها واتجهت إلى الأسفل حيث الفناء، وقبعتها الخاصة لركوب الخيل تتأرجح في يدها.

رأت ولداً صغيراً يمسك بالجوادين ويتحدث إلى الرجل ذي الشعر الرمادي اللون الذي سبق وان التقته اليكس في المكتب. كان أحد الجوادين أصهب وضخماً بينما كان الآخر أرقط وأصغر حجماً بقليل.

خرج مارك من إحدى الاسطبلات وسار نحو الرجال

لينضم اليهم. وبينما كانت اليكس تقترب كانت عيونهم جميعاً تنظر اليها، كانت البهجة جلية في نظرات الرجلين الفرنسيين، بينما بدت نظرات مارك ويكفورد غامضة.

أشارت اليكس إلى الجوادين قائلة: «ما هذا؟ اعتقدت انك ابتعت جوادين من الكامارغ.»

أجابها بهدوء: «لقد فعلت وسوف تبرهنين لي ان استطعت امتطاء هذه. أخبرتك ان جواديّ قد روضا إلى حد ما حديثاً، تذكرين ذلك. لقد وافق اندريا بالسماح لنا بامتطاء اثنين من أفضل جياده عدواً. لك زيزي...» صفع الجواد الأرقط على ردفه، ثم تابع كلامه قائلاً: «ولي بابن انهما معتادان على نوع الركوب الذي سنقوم به اليوم.» قال تلك الكلمات الأخيرة ونظر نظرة ذات مغزى إلى الرجلين الآخرين، اللذين أشارت ابتسامتهما العريضة إلى وجود نكتة ضمنية، تجاهلت اليكس ذلك، وركزت على مصادقة زيزي، التي بدت ودودة جداً.

سألها اندريا مالمونت: «أترغبين بامتطاء الجواد، يا آنستي؟» ثم جمع كفيه إلى بعضهما البعض وقدمهما إلى حيث وضعت اليكس احدى قدميها عليهما وارتقت برشاقة فوق سرج زيزي، حيث تمهلت قليلاً لتضع قبعتها قبل أن تقود الجواد إلى الطرف الآخر من الفناء هناك ركزت ركابها، ثم عادت إلى مجموعة الأشخاص الذين يراقبونها.

قال مارك: «لا مشاكل حتى الآن.» وقفز بسهولة فوق سرج بابن وربت على عنقه. ثم أضاف: «والآن، دعينا نرى ما تستطيعين حقاً القيام به. لن نتأخر في العودة يا اندريا.»

أجابه بلغة انكليزية متأنية: «تمتعا بوقتكما جيداً.»

قاد مارك جواده إلى محاذاة جواد اليكس، حيث رأت انه يرتدي قبعة الحارس السوداء تلك ثانية.

فقالت: «لن تؤمن لك هذه الحماية الكافية فيما لو سقطت.»

قال بهدوء، انما بثقة رجولية تامة: «لن أسقط.» كانا، في ذلك الوقت، ينعطفان ناحية الجهة الشمالية من المزرعة، ويدخلان إلى حقل طويل مسيج. حث جواده على الاسراع وناداها قائلاً: «افعلي كما أفعل تماماً.»

تبعته اليكس وانعطفت، كما فعل، عند الطرف البعيد من الحقل ثم لحقت به من جديد عبر امتداد الأرض الوعرة. وهمز الجواد ليضاعف سرعته ويندفع عبر الأرض الفسيحة، حتى أصبحا في المسافة المتبقية في الحقل يعدوان عبر غيمة من الغبار ارتفعت كالضباب من جراء حوافر جواديهما.

بدلاً من أن يخفف سرعته عند المنعطف، ضاعفها وقفز فوق السياج دون أي حذر. وفعلت اليكس الشيء نفسه بشكل مرضٍ، حيث قفزت زيزي فوق القضبان بسهولة. سألها بلهجة ساخرة: «أما زلت على صهوة الجواد؟»

أجابته بذكاء بكلماته ذاتها التي قالها منذ لحظات فقط: «لن أسقط.»

همزت زيزي بنعلي حذائها، تستحثها لأن تسبقه، لكنه لاحظ ذلك، وبلهجة آمرة قال: «لا حاجة للتفاخر.» فسارت إلى جانبه بتمهل وهدوء.

قال باقتضاب: «حسناً، أرى انك تعديت مرحلة الفشل.»

قالت: «قلت لك، انني أستطيع امتطاء الجياد.» كانت اليكس لا تزال تستشعر وخز الظلم من القفز فوق السياج،

الأمر الذي اعتقدت انه غير عادل حتى انه عمل خطير تماماً من قبله.

نظر إليها نظرة جانبية وقرأ على ملامحها ما فكرت فيه، وقال: «إن كانت القفزة تثير انتقادك، فانسي الأمر. تستطيع زيزي القيام بذلك وهي مغمضة العينين. لم نقم بما هو غير متوقع بعد.»

قالت ببرود: «إذاً، عليّ أن أتأهب وأنتظر غير المتوقع.»

مرا بالزريبة حيث يتم وسم الحيوانات. كانت عملية الوسم قد انتهت وأطلقت الفلول لتذهب إلى مأواها المعتاد. لكن رائحة الشعر المحروق كانت لا تزال تملأ الجو. مما جعل زيزي وبابن يهزان آذانهما بقوة ويصهلان بصوت منخفض.

سألها مارك ويكفورد فجأة: «خلال رحلتك لركوب الخيل، هل كنت بمفردك؟»

أجابته: «لا، كان معي أصدقاء.»

قال: «هل أضعتهم كما أضعت مالك؟ ذلك يبدو وكأنه عدم اهتمام.»

نظرت إلى وجهه الساخر، وقالت: «لا، لقد كانت فترة عطلتهم أقل من عطلتي. بقيت هنا لبضعة أيام كي أتعرّف على المنطقة. هل يوضح هذا ما تريد معرفته؟»

قال: «هذا مقنع جداً. هل كان يستحق ذلك، أعني أن تبقي؟ هذا المكان لا يستسيغه أي كان.»

قالت: «أعتقد انه رائع.»

سألها: «رغم كل ما حصل؟»

أجابته: «رغم كل ما حصل. عندما طارت طيور النحام

هذا الصباح وجعلت الجياد تعدو مسرعة... حسناً، ماذا تستطيع أن تقول عن منظر كذلك المنظر؟»

قال: «لقد رأيته.»

«قالت: «كان منظراً لا ينسى.»

«انك تتحدثين إلى المتسبب به.»

رمقته بنظرة سريعة، وقد جفلت قليلاً بما كان تقريباً حديثاً عادياً بينهما. كان يجلس منفرج الساقين بلباسه الأبيض على صهوة جواده وكأنه أحد نبلاء الغرب، وكان شعره الأشقر يلمع تحت أشعة الشمس. بدا واثقاً جداً من نفسه... وكأنه أحد أبناء الحياة المفضلين.

أجابته بفظاظة: «من الواضح، ان المجيء للتبضع هو صعب نوعاً ما.»

قال: «آه، لكن هناك سيدة في عائلتي تملك طرقاً مقنعة جداً. لقد شاهدت فيلم الحصان الأبيض، هل تعرفينه؟ ولن تقبل بأي حصان آخر إلا حصان الكامارغ.»

قالت اليكس: «انها محظوظة ليكون عندها زوج ينصاع لتحقيق رغباتها.»

«السيدة التي أتحدث عنها، ربيكا، تبلغ السابعة من عمرها فقط. بالطبع، لن أنكر على أية امرأة أتزوجها سعادة ركوب احدى جياد الكامارغ ان رغبت في ذلك.»

أخذت اليكس تقوم بحسابات. وكان الجواب الوحيد الذي توصلت إليه، انه قد يكون تزوج من امرأة لديها ابنة. أو انه كان على علاقة مع امرأة ما قبل أن تظهر ايلين في حياته، وعاد إليها مع عزمه الذي جاء متأخراً للقيام بما هو صالح تجاه ابنته. مهما كانت الحال، لا بد ان ابنة السبعة أعوام

التي تطلب هكذا طلبات، وتجعل هذا الرجل يسافر عبر الأراضي الفرنسية ليحقق لها رغباتها، بالتأكيد هي طفلة أفسدت شخصيتها من شدة التدليل.

قالت بصوت ينم عن عدم الاستحسان: «انك والد متساهل جداً.»

وصلا إلى الطريق الرئيسي حيث اقتربا من عربة للجياد متوقفة تحت الأشجار. توقفا إلى جانبها، حيث سألت اليكس توضيحاً: «هل هذه لنا؟»

أجابها: «تنبؤ جيد.»

قالت: «لكنها ليست لك؟»

قال: «تلك التي أحضرتها؟ لا. خاصتي من النوع الذي يُقطر. هذه للنادي.»

ترجلت مثله عن صهوة الجواد، وأمسكت بعنان بابن بينما فتح هو الباب في مؤخرة العربة. وقالت: «بما اننا نستطيع بسهولة العودة إلى النادي، أعتقد اننا نقصد مكاناً آخر.»

«أصبت مرة أخرى. ما كنت تعتقدين ذلك حقاً، أليس كذلك؟»

«لا. انني طوع يديك. إذاً إلى أين نحن ذاهبان؟»

قال: «صبراً. ستعرفين ذلك في الحال.» قفز من العربة، وسوى آذني زيزي. ثم أضاف: «لندخلها أولاً. ابق بابن بعيداً لحظة.»

أدخلت زيزي وكوفئت ببعض من التبن. تبعها بابن بهدوء وحصل على نصيبه هو أيضاً. أقفل مارك باب العربة، ثم استقل هو واليكس في المقدمة.

سألت ببراءة متعمدة: «هل المكان بعيد؟»

قال: «ليس كثيراً... لكننا نريد أن نُبقي الجوادين نشيطين ولطيفين لبعد ظهر هذا اليوم. وسيكونان على

الأرجح سعيدين في العربة حتى آخر النهار.» كلمات تتضمن الكثير لكنها تفصح عن القليل.

قطعت اليكس عهداً على نفسها بألا تطرح عليه أي سؤال بعد ذلك مما يتيح له مبارزتها، ومضت فترة طويلة قبل أن يقطع الصمت بينما كان يقود العربة عبر الطرقات المنبسطة.

قال: «أخبريني، ماذا تفعلين عندما لا تقعين في مواقف محرجة خلال سفرك؟»

أجابته: «اني أعمل في حقل المداواة الطبيعية.»

قال: «طبيبة في المعالجة الطبيعية؟ ما كنت لأتنبأ بهذا.»

قالت: «ليس هناك من سبب يدعوك لذلك. اننا لا نوسم باختصاص عملنا.»

«هكذا اختصاص عملي جداً. عمل ذو مسؤولية كبيرة. أنت لا تبدين لي انك من النوع الذي قد يجد ذلك سهلاً.»

سألته: «كيف لك أن تعرف؟ لم يمض على لقائنا سوى ساعة أو أكثر بقليل.»

قال: «قلما أخطىء في شأن الاختلاجات التي تظهر على وجوه الأشخاص.»

تسارعت خفقات قلبها منذرة بالخطر. لقد عرف بحقدها فهي لم تكن حذرة بشكل كاف. إلا انها تظاهرت بالابتسام.

قالت: «ربما هذه هي المرة الأولى. على أية حال، المداواة الطبيعية هي عملي، وأنا أحبه كثيراً. ربما لا خبرة لديك عن النتيجة التي يؤدي إليها.»

قال: «مجرد مناقشة صغيرة حول ذلك الموضوع مع مدرب رياضي، والتي هي مختلفة عن الرضوخ لملاطفة فتاة ذات شعر ذهبي. قد تعتقدين الآن ان تلك كانت عبارة غير عادلة أبداً تجاهك.»

قالت: «حسناً، ألم تكن كذلك؟»

قال: «أعتقد انها واقعية، لكن فوق ذلك انني لا أهتم لهذه الأمور كما تفعلن أنتن النساء.»

أجابته بسرعة: «ربما يعود ذلك لأنك لم تكتشف الهدف.»

تركا طريق آرلس الرئيسية، وتخطيا اشارة الطريق، فلم تتمكن اليكس من قراءتها، لذا بقيت تجهل المكان الذي يتجهان إليه. لكنها رأت فجأة، عندما انعطفا حول منعطف في الطريق حيث كانت الأرض مكسوة بنبات أكثر طولاً مما تكون عليه عادة، جموع من الناس في حقل فسيح أمامهما، وبعد لحظات توقف مارك فيه وسحب عربة الجياد ليضعها في خط مع مجموعة من العربات الأخرى.

كان هناك ثيران في الطرف الآخر من الحقل، غير مقيدة، مجموعة كبيرة منها تدور بشكل دائري وكان الناس يحتشدون على أقدامهم وعلى صهوة جيادهم في كل مكان، ولاحظت اليكس عندما قفزت إلى الأرض ان الجو كان يعبق برائحة الشواء التي يسيل لها اللعاب.

قال مارك: «أعتقد ان علينا احضار شيء من الطعام لنتناوله أولاً. وستكون أكياس التبن كافية لاسعاد الجوادين. هل أنت جائعة؟»

كانت اليكس تشعر بجوع شديد، لكنها كانت تعرف انها لا تملك من المال شيئاً. فأجابته: «ليس تماماً. اذهب أنت.»

نظر إليها بقساوة وقال: «توقعت أن أقدم لك الطعام، تعرفين، ان كان ذلك الجواب ناجماً عن كبرياء ضائع.»

«لا يمكنك أن تتصور كم أن هذا الوضع يثير غضبي.»

«آه، بلى يمكنني، فانني أنظر إليك. لا تكوني سخيفة،

انك في الواقع، تتضورين جوعاً. كما انك سوف تكونين في حاجة لكل قوتك بعد ظهر هذا اليوم.»

قالت: «ان كنت حقاً ترغب في أن تقدم لي خدمة، يمكنك التوقف عن هذه الملاحظات التي تشير إلى ان شيئاً خطيراً سيحدث. عليك أن تخبرني عاجلاً أم آجلاً عما نتحدث. يمكنني الانتظار حتى ذلك الحين.»

قال: «لكن ذلك يجعلك تتحرقين، أليس كذلك؟» وابتسم ببرود ثم أمسك بذراعها وبدأ يسير بها بين الجموع. وأضاف: «تعالي وتصرفي بعزم وتصميم فقط.»

أخذا بعض الشواء الشهي المنظر، ضلوع غنم شهية الرائحة، علبتي سلطة، خبزاً محمصاً وزجاجة من المرطبات، وأخيراً وقبل أن يعودا إلى جواديهما أخذا بعض حبوب الخوخ. فتح مارك الصندوق ووضع بطانية حصان مطوية عليه. ثم نشرا طعام الغداء عليه، وبدآ بتناوله.

كانت زجاجة المرطبات ساخنة بسبب تعرضها للشمس لفترة طويلة من الزمن. كان اللحم قد نُقع في مزيج لذيذ من الزيت والأعشاب، كما وان السلطة كانت تحتوي على زيتون ريّان محلي. واستسلمت اليكس إلى اغراء وليمة من الأطعمة المختلفة النكهات.

سألها مارك: «هل يعجبك الطعام؟»

قالت: «انه رائع. شكراً جزيلاً.»

كان هناك الكثير حولهما ليشاهداه، مما جعل التحدث ليس ضرورياً حقاً، كما ان متعة تناول الطعام وأشعة الشمس المشرقة كانتا أكثر من كافيتين لتجعلها تتغاضى عن شخصية مرافقها غير المرغوب فيها. كانت قد اكتفت

تماماً عندما حمل الكؤوس والزجاجة ليعيدهما. فقالت له بكل تهذيب: «شكراً، يا مارك.»

قال لها: «ان اسمي بالفعل هو ماركوس.» وتسبب لها الاسم الذي أكد شخصيته، خيبة أمل حمقاء. تابع كلامه قائلاً: «لقد اختصرته هنا لأنني ورغم حبي إلى مالمونت، لا أستسيغ الطريقة التي يلفظون بها اسمي، وهي ماركويز. أعرف، قبل أن تقولي لي ذلك، اني أفسدت لغتهم أيضاً، لكن الطريقة التي يلفظون بها اسمي تجعلني أشعر اني أحمق تماماً. انهم كما أي شخص آخر، يستطيعون لفظ الاسم المختصر بشكل رائع. سنخرج الجوادين عندما نعود. لقد حان الوقت تقريباً.» وبعد ما نظر إليها نظرة ذات مغزى كي يثيرها، انطلق بين الجموع.

نهضت بتبرم واتجهت إلى حيث الحمام. وعندما عادت، كان ماركوس يخرج بابن، وكانت زيزي قد أخرجت وربطت إلى عقيفة إلى جانب العربة.

قال: «أتساءل ان كنت تقومين بدور العدّاء.»

قالت: «انني في وضع لا يسمح لي بذلك، أليس كذلك؟»

قال: «ذلك يعني انك تقومين بذلك ان استطعت. أتشعرين بالقلق؟»

قالت ببرودة: «في الواقع، الأمر يثير اهتمامي.»

قال: «في هذه الحالة، سأزودك ببعض المعلومات. ستشتركين في الابريفادو. أتعرفين ما هو ذلك؟»

قالت: «لا، لكنني أراهن على ان أصدقاءنا الزنوج المتواجدين في الطرف الآخر من الحقل مشتركون فيها.»

قال: «وستكونين بخير، سوف تتعلمين ماهية العمل في الانتقال بهم من مكان إلى آخر. كل ما عليك القيام به هو

البقاء على مقربة من بقية العدائين، بقدر ما تستطيعين، ومرافقة الجماهير. لن يكون أمامك خيار لتقومي بأي شيء آخر. لكن ليس هناك ما يدعوك للقلق. لقد قامت زيزي بذلك عدة مرات من قبل. ركزي فقط بكل أحاسيسك على ألا تسقطي عن ظهرها. ان كنت ستشتركين في اللعبة، أعتقد ان الوقت قد حان. أتريدين مساعدة؟»

رفضت اليكس عرضه وفكت زيزي قبل أن تمتطيها من دون مساعدة.

كانت الجموع تصنف نفسها كل إلى مركزه المعد سابقاً، وكأنما إشارة خفية قد أعطيت لهم، فكان المترجلون يتجهون إلى نهاية الحقل، والعداؤون يتجهون إلى الوسط، وكان جو الاثارة يخيم على المكان بشكل فعلي تقريباً.

توجهت مجموعة من الحراس بلباس متميز وهي تحمل الرمح الثلاثي الشعبي التقليدي، عبر الحقل إلى حيث الثيران تتحرك باستياء.

قال ماركوس: «سوف يختارون الحيوانات التي يريدونها، اننا غير مشتركين في هذه المرحلة.»

بطريقة ما، استطاع الحرس أن يفصلوا سبعة أو ثمانية ثيران من القطيع، وأعيد السياج إلى مكانه لابقاء البقية محتجزة في آمان. شكّل العداؤون حلقة محكمة حول الحيوانات، وقادوها إلى الحقل، وبينما اقتربوا من الفرسان. تحرك العداؤون واحداً تلو الآخر وانضموا إليهم حتى أصبحت مجموعة متراصة تحيط بالثيران المتواجدة في الوسط.

كانا اليكس وماركوس قد اندفعا بخفة وانضما إلى البقية وزادت المجموعة من سرعتها بينما هم يجولون

الحقل مرتين وسط هتاف المتفرجين. ثم فُتحت البوابة التي تؤدي إلى الطريق التي أقفلت حتى بدء الابريفادو، واندفع حشد الفرسان بطاقتهم المشحونة على الطريق.

كانت اليكس تقبع منحنية على ظهر زيزي، وقد نسيت قبعتها الخاصة بركوب الخيل في غمرة الاثارة الغريبة التي انتابتها لهذه المناسبة. وجدت نفسها تطلق نفس صرخات الحماس التي يطلقها الفرسان المحيطون بها.

كانت هي وماركوس في آخر المجموعة تقريباً عندما دخلوا إلى أزقة القرية. كان وقع حوافر الخيل الهادر وخوار الثيران وصرخات الفرسان يتردد صداها عالياً عبر الجدران الحجرية السميكة للمنازل. وسرعان ما أضيف إلى الهرج صرخات المتفرجين الذين احتشدوا عند مداخل الأبنية والنوافذ.

فجأة ظهرت مجموعة من الشبان من طريق فرعي وامطروا الفرسان بوابل من السهام. واصطدم شيء ما بوجه زيزي، لينفجر مطلقاً غمامة بيضاء، مما جعلها تثب مذعورة. فيما جاهدت اليكس لتسيطر عليها وتبقى فوق ظهرها. ولكانت استطاعت ذلك، لولا صوت دوران محرك الدراجة في الطريق الفرعي وقد عمد صاحبها إلى اطلاق عنانها بأقصى قوتها.

شبت زيزي ثانية، وهي تصهل وأخذت تضرب ساقيها الأماميتين في الهواء على نحو خطر من فقدان التوازن. قامت اليكس بالعمل الوحيد الذي يمكنها اتخاذه حيث تركت نفسها تنزلق فوق ردف الحصان نحو الأرض. ارتطمت بالأرض وقد سقطت على مؤخرة ظهرها، لكنها نهضت في طرفة عين محاولة الامساك برسن زيزي مطلقة سيلاً من

الشتائم إلى الصبية الذين كانوا واقفين يضحكون عليها. في الواقع، لقد جعلها انفعال تلك اللحظة تتكلم الانكليزية وتتجاهل اللغة الفرنسية تماماً، لكن ما كانت ترمي اليه من خلال كلماتها كان واضحاً. ورغم ذلك لم تنجز شيئاً. فلقد استمروا في الضحك.

أجبر ماركوس على التقدم تحت قوة الهجوم، إلا انه استدار وعاد إليها في الوقت الذي كانت قد نهضت فيه على قدميها.

سألها: «هل أصابك مكروه؟» وترجل عن ظهر جواده، وبدا للحظة مهتماً قليلاً، وبالرغم من ذلك، لم يستمر ذلك طويلاً. كان قميصه ملتصقاً بصدره وجبهته تتصبب عرقاً. وكانت قبعته متدلية من سيورها على ظهره. وكانت اليكس قد شعرت عندما صبت جام غضبها عليه، بالخزي لملاحظتها أنه يتمتع بجاذبية رجولية صارمة. ثم سرعان ما غاب ذلك، كما غاب اهتمامه. وشعرت ان غضبها منه لا يقل عن غضبها من الصبية الذين جعلوها تسقط عن جوادها.

قالت بحدة: «لم أصب بأذى، انما أنا غاضبة!» وأشارت بيدها الطليقة نحو المتفرجين وأضافت: «هؤلاء الأوغاد رموا شيئاً علينا. أنظر إلى زيزي، لقد غطاها الغبار الأبيض. مغفلون!»

ابتسم لهم ماركوس ابتسامة عريضة وأشار لهم بيده لينصرفوا. قال لها بلهجة مسترضية تقريباً: «انها المرة الأولى لك يا آنستي.»

قالت له بحدة: «وأي فرق تحدثه المرة الأولى؟» وأخذت تنظّف عنق زيزي مما جعل غباراً أبيض يتطاير، الأمر الذي

جعلها تسعل، فاستطردت قائلة: «طحين! هذا ما رموه.»

استدار نحوها وقال بود: «توقفي عن ذلك. انك لا تعرفين عما تتحدثين. هل أنت خائفة من امتطاء زيزي ثانية؟»

كانت قد امتطت ظهر الجواد قبل أن ينهي جملته. فاعتلى بسهولة فوق سرج بابن. وقال: «تعالي، إذاً. أعتقد اننا فوتنا على أنفسنا نهاية هذا السباق الخاص، لكن في امكاننا أن نرى نهاية سباقنا.»

كان هذا هو السبب إذاً، فكرت اليكس بمرارة، انه غاضب منها الآن كما من زيزي. لقد سقطت عن جوادها. سيعتقد انها غير مؤهلة لتعتني باحدى الجياد الخاصة، ان لم يكن في استطاعتها التعامل مع جواد مدرب جداً. انها تُضيع الوقت من الآن وصاعداً في البقاء برفقته. لكن ماذا تستطيع حيال ذلك؟ رمته بسهام عينيها على ظهره بينما كانت تنعطف إلى الشارع وراءه حتى بدءا يلتقيان بالفرسان الآخرين وهم يتأهبون لسباق ثانٍ.

لم يستدر ماركوس بحصانه، مؤكداً رأي اليكس انها قد حذفت من رحلة العودة إلى انكلترا. وترجل عن جواده وربط رسن بابن إلى سكة أمام جدار عالي. وفعلت اليكس الشيء نفسه بمرارة. ثم لاحظت انهما خارج حلبة الثيران.

قالت بحزم: «لا شأن لي في مقاتلة الثيران. فأنا أعتقد انه عمل همجي، ولا أحبذه اطلاقاً.»

قال لها ماركوس بثبات: «اهدأي أيتها المنفعلة. أنت في الكامارغ حيث تدلل الثيران وتعمر طويلاً. تعالي وتناولي منشطاً بعد تجربتك غير المحظوظة، وسأشرح لك الأمر.»

اتجها بين الجموع إلى حلبة الثيران ودخلا مقهى على

زاوية قريبة، حيث تركها ماركوس جالسة إلى طاولة حجرية تحت الأشجار عندما عاد كان النادل يلحق به عن قرب ليضع كوبي عصير الليمون البارد على الطاولة.

قال لها: «الآن، دعيني أخبرك ما هي قصة كيس الطحين.»

قالت اليكس: «لا تزعج نفسك، أعرف لقد فشلت في الامتحان. لا حاجة لأن تعيّرني بخطأي.»

قال: «ليس في نيتي أن أعيّرك بشيء. لقد رأيت ما حدث. كنت هناك أتذكرين؟ لكن لا تستمري في وضع اللوم على الصبية الذين كنت توبخينهم بعنف. لقد كانوا يقومون بما يفترض أن يقوموا به تماماً في الابريفادو.»

قالت اليكس بدهشة: «كانوا ماذا؟»

«الفكرة هي ان يبذل المشاهدون قصارى جهدهم لكي يحطموا دائرة الفرسان ويجعلوا أحد الثيران يفرّ. انهم يستعملون عدة وسائل مهما كانت، أصوات، قذائف غير مؤذية، مواجهات شخصية ان كانوا مجازفين حمقى. لقد كان ذلك مجرد كيس من الطحين، يا اليكس وليس بالأمر الهام. لقد تفاجأت زيزي. هذا كل ما في الأمر. ولم تصب بأذى.»

سألته ببرود: «لماذا لم تحذرني إذاً؟ ألم يكن ذلك نوعاً من اهمال للواجب؟» أظهرت جملة. «نوع من اهمال للواجب.» ضبطاً كبيراً للنفس. كانت جملة «أيها الأبله اللعين.» هي التي ترددها في نفسها.

«لم يكن كذلك على الاطلاق. أردت أن أرى كيف تتعاملين مع الأحداث المفاجئة. وتحذيرك كان سيمنع تلك الفرصة. وما كان ذلك ليبعد نوعاً من المفاجأة ما كنت لتتوقعي ما حدث تماماً، حيث ان زيزي كانت ستتعرض لتلك الطلقة.»

«الآن رأيت كيف أتعامل مع الأحداث المفاجئة.»

رشف قليلاً من عصير الليمون وقال: «لقد فعلت، والآن دعيني أخبرك عن الحدث التالي.»

وبجهد كبير استطاعت أن تبعد تفكيرها عن خيبتها الكبيرة وتتبع ما كان يقوله.

لن يكون هناك سيوف، ولا زهق دماء متعمد في حلبة الثيران. وعلمت اليكس ان الهدف من المنافسة بين الانسان والحيوان هو نزع عقدة شريط القبعة وهي راية حمراء مثبتة إلى سلك بين قرنيّ كل ثور. لكن ذلك لم يكن انجازاً بأي شكل من الأشكال. كان الأمر يتطلب أقصى درجات اللياقة البدنية، وان كان ذلك غير كافٍ، فالشبان الذين في الحلبة هم من سيتأذون وليس الثيران.

جلسا إلى ان علا الغبار من جراء عدو الجياد والثيران في جولة ثانية، ثم شقا طريقهما نحو حلبة الثيران. هناك، وبالرغم من شعورها بالاحباط، وجدت اليكس نفسها وقد حملتها الاثارة إلى مراقبة الجموع فيما دخل المتنافسون إلى الحلبة، وقام كل واحد بدوره بأكثر المحاولات استعراضاً وجرأة لاسترداد عقدة شريط القبعة. كان هناك حاجز مزدوج حول الحلبة. وقد اندفع ثور مهتاج مرة أو مرتين وقفز إلى الحاجز الداخلي وراء المتباري ليقوم بدورة داخل الممر الضيق قبل أن يعود ثانية إلى ساحة المواجهة.

كان الهواة يُدعون لتجربة مهاراتهم بعد المحترفين، وكان الشبان الذين استطاعوا انزال اليكس عن ظهر حصانها هم أول الوافدين إلى الحلبة.

قال والماركوس بصوت عالٍ: «وأنت أيضاً، أيها الانكليزي.»

فرد عليهم قائلاً: «هل هذه دعوة؟» ونهض وسط بهجة الجموع.

اعترضت اليكس قائلة: «انك بالتأكيد لن تقبل ذلك الاقتراح المجنون؟»

قال لها وهو ينصرف: «انها دعوة وديّة. أين اعتزازك القومي؟» وفي خلال لحظات كان قد أصبح داخل الحلبة، وقد أعطي صنارة حديدية يستعملها كل متبار في محاولته لانتزاع عقدة شريط القبعة.

سرعان ما ظهرت بوضوح مقدار براعة الخبراء الكبيرة. ووجدت اليكس نفسها تمسك بحافة مقعدها وهي تراقب. وانهزم الهواة واحداً تلو الآخر وقفزوا إلى خارج الحلبة. بقي هناك فقط ماركوس ورجل آخر. كان ماركوس هو الذي استحوذ على أنظار جموع المشاهدين بينما كان يلوّح وينحرف جانباً في كل حركة يخطوها بدقة متناهية.

فجأة نمت عن الجموع صرخة بهجة. لقد انتزع عقدة شريط القبعة! وقفز في لحظة فوق الحاجز الداخلي ملوحاً بغنيمته، ثم عبر بخطوات واسعة الممر إلى الحاجز الخارجي وقفز من فوقه، وأسقط عقدة شريط القبعة بين يدي اليكس.

قال: «الغنائم للسيدة.» فيما كانت بشرته المتلألئة شاهداً على الجهد الذي بذله، كما كان حال شعره الرطب.

كانت اليكس تصفق وتبتهج بصوت عالٍ مثل الآخرين، وعندما صرخ الشبان الذين أثاروا غضبها بشكل كبير قائلين: «يحيا الانكليز!» أخذت تلوح بعقدة شريط القبعة وضحكت معترفة بذلك قبل أن تستدير نحو ماركوس

وانتابتها صدمة اشمئزاز حيث التقت عيناهما، حيث أدركت كم جرفتها الحماسة بعيداً. لقد أرادته أن يربح... فقد كانت فخورة به. عند ذلك سقطت على مقعدها، مدركة انها للحظة نسيت أمرين من تكون هي ومن هو ماركوس. وبدت صورة والديها وأختها الذين يتهمونه بصمت يقفون حائلاً بينهما.

قالت بتهذيب مفرط: «أحسنت صنعاً.»

أجابها ببساطة: «انه الحظ، أعتقد أنه من الأفضل أن نعتزل ونحن ذائعو الصيت.»

قالت: «ذلك أفضل من البقاء في المؤخرة.» نعم، كان ذلك أفضل. جعلتها هذه الطريقة بالتحدث معه تشعر بالارتياح.

قال: «تماماً. وهناك أيضاً الوجبة الصغيرة التي سنتناولها عندما نعود إلى النادي. لا أريد أن أتسبب بمزيد من الازعاج لمالمونت.»

لم يتحدث عن مخطط اليوم التالي اطلاقاً وهما في طريق عودتهما إلى حيث تركا العربة، ومن هناك عادا إلى النادي. وعندما جلسا، إلى طاولة الطعام الضخمة مع ضيوف آخرين لتناول الطعام اللذيذ الذي أعدته هنريت والفطيرة المحلاة بالتفاح، تنبهت اليكس لأصوات الثرثرة عندما بدأ ماركوس يتحدث إلى الشخص الذي يجلس إلى جانبه. ولاح الغد لها بمثابة علامة استفهام كبرى. بدا كلامها الشجاع عن التعاون هذا الصباح فارغاً. الآن بينما هي تعتزم استدانة المال لتصل إلى بلدها وممن؟ أي شخص أفضل من ماركوس ويكفورد. لكنها لم تكن تتوق تماماً للاختيار.

استدار ماركوس ناحيتها في نهاية الوجبة. سألها: «حسناً، ألم يحن الوقت بعد لتبدأي الاهتمام بمسؤولياتك؟»

غاب عنها للحظة معنى ما قاله. فقالت: «ليس هناك الكثير لفعله، أليس كذلك؟» ثم توقفت لقد قال «مسؤولياتك» وبرقت عيناها الخضراوان بالأمل. لكنها هل تجرؤ على تصديق ما اعتقدت انها سمعته؟

قالت: «لقد قلت مسؤولياتي. هل يعني ذلك...»

قاطعها قائلاً: «ذلك يعني الجوادين اللذين تساعدينني في الاهتمام بهما حتى الوصول إلى انجلترا. ماذا أيضاً؟»

غمرها الارتياح. سوف تكسب رحلة العودة ولن تكون في حاجة للاستجداء. قالت: «لكني سقطت عن ظهر زيزي.»

أجابها بتذمر: «لقد فعلت ذلك بالتأكيد. لو لم تفعلي ذلك وتتراجعي كما فعلت، لكان وزنك أسقطها أرضاً.»

«كان في امكانك أن تخبرني في الوقت الملائم.»

«لم أعتقد قط انك لم تلاحظي ان ذلك ما كنت أعتقده. تعالي!» وأمسك بذراعها وأخذها بعيداً عن الطاولة.

في الحقل الصغير الظليل، بدا جوادا الكامارغ بلونهما الأبيض كالطيف. لكنهما تقدما نحو السياج حالما سمعا ماركوس يناديهما. وبدا انهما متشوقان للاستجابة لندائه.

قال: «هذا هو لاسكو، لقد سمي كذلك بعد اكتشاف كهوف لاسكو حيث صور أسلافه تزين الجدران.» فرك ماركوس اذني الحصان الكبيرة ملاطفاً اياه، وقد اعتلت وجهه ابتسامة مليئة بالرقة. ثم أضاف: «وهذه الفرس الوسيمة هي ميسترال.»

كأنما هو الحب من أول نظرة قد وقع بينهما عندما ربتت اليكس على أنف الفرس الصغير الناعم. هزت الفرس رأسها وكأنها ترحب بها، ثم نظرت بعينين تشعان ذكاء إلى كل حركة تقوم بها. كان شعر عنقها ونيلها الأبيض الطويل

ساكناً، لكن اليكس تخيلت كيف سيتطاير عندما تعدو. لقد أحبت الجوادين بسرعة.

عندما لجأت إلى فراشها تلك الليلة. وأخذت تعيد وتعيد في رأسها ما حدث خلال النهار وكأنه فيلم مصوّر. وكان مشهد حلبة الثيران وماركوس بقامته الرشيقة وجسمه الرياضي ملفتاً للانتباه بشكل آسر. سمعت صوته ثانية... حيث قال: «الغنائم للسيدة.» كفارس من القرون الوسطى بعد مبارزة السيوف.

قالت لنفسها، كانت تلك دعابة. لم يكن فارساً مستعداً لأن يتكبد المشاق من أجل حب جليل لن يموت. كان الرجل الذي يفرّ بعيداً، الرجل الذي يختفي الحب عنده، عندما يرى أنه ازهر في أرض غير ملائمة.

كانت عقدة شريط القبعة الحمراء على الطاولة إلى جانب سريرها تلمع تحت ضوء أشعة القمر التي تدخل عبر النافذة. نهضت اليكس من فراشها وقد ضاقت ذرعاً بأفكارها المفرطة ورمت قطعة القماش الحمراء في صندوق النفايات. يكفي هذا الهراء.

رغم ذلك، كانت بعد نحو ربع ساعة من الأرق تحاول وهي تكتم خجلها أن تسترجعها. انها في آخر الأمر مجرد ذكرى من مناسبة وليس من رجل. ليس هناك بالتأكيد أي ضرر من الاحتفاظ بها في ظل هذه الاصطلاحات.

الفصل الثالث

جلست اليكس في غرفة الطعام، وقد أثارت شهيتها رائحة الخبز المحمص الطازج. وكانت تشعر بنوع من القلق لما قد تحمله الأيام القليلة القادمة. فوجودها مع ماركوس بمفردهما خلال طريق العودة سيكون مختلفاً جداً عن وجودهما هنا، لوجود أشخاص قد يزيلون أي توتر ينشب بينهما.

كان شريط القبعة الأحمر يشعل ضميرها. لقد استرجعته من سلة المهملات هذا الصباح، لأنها استسلمت من جديد بدافع الاحتفاظ به. قالت لنفسها انه سيكون بمثابة تذكير بأن من فاز به قد أشير اليه بالأحمر لخطورته.

سُئلت ان لم تكن قد تناولت الطعام، فأجابت انها تنتظر قدوم أحدهم. عند الساعة الثامنة تماماً، دخل ماركوس الغرفة، رجل قوي البنية بكل معنى الكلمة، مرتدياً سروالاً من الجينز وقميصاً قطنياً كحلي اللون، واتجه إلى المطبخ دون أن ينظر حوله، وعاد منه حاملاً فنجاناً من القهوة، واتخذ لنفسه مكاناً خالياً قرب باب المطبخ.

شعرت بالخزي لانتظارها شخصاً من الواضح أنه لم يفكر بها قط. انتظرت اليكس للحظة أو إثنتين، ثم اتجهت إلى المطبخ لتحضر لنفسها بعضاً من القهوة. لم ينتبه لها عندما مرت به، لكنه كان ينظر إليها مباشرة عندما خرجت.

ألقى بنظرات ثاقبة إلى عقارب ساعة الحائط، والتي

كانت تشير في حينها إلى الثامنة وخمس دقائق، وسألها: «ألا يوجد عندك ساعة منبهة؟»

تورّدت بشرة اليكس وقالت: «اني هنا منذ بعض الوقت.»

قال: «اذاً، لماذا لم تتناولي فطورك بعد؟ عليك احضار الفطور بنفسك هنا، حيث المالمونت لديهم الكثير من العمل للإهتمام بالجياد خلال هذا الوقت من النهار.»

قالت: «اعتقدت انه ربما علي أن أنتظرك.»

قال: «لا حاجة في أن تسرفي في اتباع قواعد السلوك المهذب الصارمة.» نهض وسحب الكرسي المقابل له، ثم اضاف: «أجلسي، سوف اراجع معك وجهة سيرنا لليوم.»

قالت بعناد: «لقد سبق واتخذت لنفسي مقعداً هناك.»

قال: «اذاً، استبدليه.» وكانت نظرات عينيه الرماديتين الحادة تهدد بالمتاعب ان لم تطعه. فجلست وقد شعرت بالغضب يملأ نفسها.

جلس قبالتها يرتشف قهوته وهو ينظر اليها، بينما شغلت نفسها بوضع الزبدة على قطعة من الخبز لتمسح فوقها قليلاً من مربى الكرز، محاولة في الوقت ذاته أن لا تشعر بالتوتر الشديد.

قال أخيراً: «أعتقد أنه لا بد منه.»

نظرت إليه وسألته: «ما هو الأمر الذي لا بد منه.»

قال: «ان يكون هناك أمزجة تتناسب ولون الشعر.»

وضعت اليكس السكين محدثة قعقعة، والغضب يغلي في داخلها ثانية. قالت: «لو انك تعرف كم هو ممّل أن تسمى حسب لون شعرك. أتمنى لو...» وتوقفت فجأة عن الكلام والعرق البارد يتصبب منها. كادت تقول، أتمنى لو أني ولدت

سمراء مثل ايلين، كانت على بعد أنملة من كشف سرها، الا أنها أنهت كلامها قائلة بفتور: «أتمنى لو أن الناس لا يفعلون ذلك. قد أغيره إلى أي لون في العالم!»

سألها باقتضاب: «أخضر، مثلاً؟ لا تكوني حمقاء. لو أنك منحته لون اوراق الزّان في الخريف فذلك لن يكون فقط نذير شؤم، بل ستكون أعلى درجات الغباء ان تظاهرت بأنك تريدين استبداله بهذا اللون.»

قالت: «أوراق الزّان في الخريف! اعتقد أنك تقصد أنه جاف ومتكسر!»

نظر إليها بعبوس وقال: «اعتقدت ان نساء القرن العشرين لا يتأثرن بكلمات المجاملة.»

قالت: «وأنا اعتقدت أني في حلّ من هذه الصفة.»

نظرت عيناه الرماديتان في عينيها للحظة وسألها: «هل سبق ان دعيت بالفتاة المغرورة؟ أو هل علي أن أقول اليكس المغرورة؟» وقبل أن تتمكن من اجابته، نشر خريطة على الطاولة بشكل مائل كي يتمكن كلاهما من قراءتها، وأضاف: «يكفي الكلام من دون جدوى. لقد حان الوقت لنبدأ بالعمل. هذه هي الطريق التي أتمنى أن نقطعها اليوم.»

اشار إلى الطرقات عبر آرلس وأفينيون إلى حيث يصلان إلى الطريق الرئيسي، ثم نحو الشمال قليلاً. وقال: «وفي حال سارت الامور على خير ما يرام، سوف نخلّف وراءنا الطريق العام من هنا في لوريال.»

لاحظت أنه يملك يدين جميلتين، ونحيلتين، وأن أصابعه طويلة ومستدقة الأطراف. كانت أظافره مقلمة جيداً وقد أحسن الإعتناء بها جيداً أيضاً. ثم تنبهت لما كانت تفعله ونكّرت نفسها بحدة من يكون هو. قد تكون يداه جميلتين،

لكنه يملك قلباً فاتراً وحقيراً. وأعادت انتباهها إلى ما كان يقوله وأخذت تحث تركيزها ليستعيد حيويته.

قال: «لقد اعطاني المالمونت عناوين لاتجه نحوها. ومن حسن الحظ أن اتصالاتهم الخاصة بركوب الجياد منتشرة في قسم كبير من فرنسا، لذا ان التزمنا بالبرنامج فاننا لن نجد أنفسنا مضطرين للبحث عن مكان نضع فيه الجوادين أو أنفسنا. لا أريد منك أن تقودي، لكن في امكانك الانتباه للخريطة والتأكد من أننا لم ننحرف عن الطريق المرسوم عندما نخرج عن الطريق العام.»

قالت: «حسناً.»

قال: «هل حزمت امتعتك؟»

قالت: «جاهزة بالتأكيد.»

قال: «اذاً، سأنزل حقائبك.»

قالت: «لا حاجة لذلك. فليس عندي حمّال في كل مكان اذهب إليه.»

قال: «كما ترغبين. أحضريهم إلى الإسطبل. لاحاجة لك لأن تبحثي عن المالمونت. سيكونون هنا.»

كان الرينج روفر قد حُمل برزم من التبن وأكياس من العلف الخاص بالجياد، ومطرات بلاستيكية مملوءة بالماء. وضعت اليكس أمتعتها في السيارة ببعض الصعوبة، متنبهة إلى أن العينين الرماديتين تراقبانها، وهي تعرف أن ماركوس، الذي رأى بوضوح أن القليل من المساعدة قد يكون مناسباً، ما كان ليعرض عليها ذلك مرة ثانية.

سألها: «أتريدين امتحان ميسترال قبل الرحيل؟»

اجابته: «إن لم تكن على عجل.»

قال بصبر: «ما كنت لأقترح ذلك، لو كنت على عجل.»

تحوّلا عن الرينج روفر واتجها نحو الحقل حيث اسرجا ميسترال ولاسكو اللذين بقيا هادئين.

عندما كانت اليكس على وشك امتطاء الجواد، قال ماركوس: «إشارتين...»

تورّد لونها وقاطعته قائلة: «هيا! اعتقدت أني أثبتُ نفسي بالأمس.» وارتفعت فوق صهوة الجواد بخفة.

نظر إليها، وقال: «انطلقي، اذاً.»

ضغطت اليكس بركبتيها على جانبي الفرس الصغير. وعلى الفور، انطلقت ميسترال بسرعة البرق، كما لم يفعل أي جواد امتطته اليكس من قبل، متجهة نحو السياج وعادت بسرعة نحو ماركوس، الذي تراجع بحذر انما ليس بسرعة بعيداً عن طريق الزوبعة. شدت اليكس الرسن وعلى نحو مفاجيء لا يقل عن مفاجأة انطلاقها، توقفت ميسترال بطريقة جعلت عدم طيران راكبها من فوق رأسها معجزة.

قال ماركوس بنوع من الحنق: «الإشارتان هما: شد الرسن بهدوء وضغط الركبتين برفق. قد يكون من الحكمة في المستقبل أن تأخذي الوقت الكافي لتصغي وتفكري قبل أن تتصرفي.»

قفز ماركوس إلى ظهر سرج لاسكو وسار به، بنعومة كالحرير وكانت انطلاقة اليكس الثانية أفضل بكثير من انطلاقتها الأولى.

قال لها: «إن جياد الكامارغ سريعة الاستجابة حيث أخف لمسة تعكس ماذا تريدين. لا حاجة لأن تكوني قاسية عليها كما قد تكونين قاسية على بغل عنيد.»

قالت اليكس بحزم: «أعتقد أني سأتذكر هذا.»

بعد جولة لا بأس بها. دخل كلا الجوادين إلى العربة من

دون اعتراض. شعرت اليكس أنها قد بدأت تفهم ميسترال. وتعهدت ألا تكون متسرعة في تولي الأمور في المستقبل.

ودّعا المالمونت شاكرين وانطلقا متجهين نحو آرلس.

سألها ماركوس بعدما قطعا مسافة لا بأس بها: «متى عليك العودة؟ لقد فكرت ان بضعة أيام من التأخير قد تعني أنك ستتأخرين في العودة إلى عملك. هل يجب عليك الإتصال بالمستشفى؟»

أجابته: «ليس هناك من مشكلة في الواقع، ليس هناك مستشفى في الوقت الحالي.»

نظر إليها مستفهماً. قالت بحزن: «المستشفى حيث كنت أعمل قد أقفل منذ وقت قريب. القصة القديمة ذاتها... الإفتقار إلى الموارد المالية.»

قال: «إذاً أنت من دون عمل وكذلك خالية اليدين.»

أجابته: «لست خالية اليدين. اني فقط لا أملك الوسائل التي تمكنني من الحصول على المال في الوقت الحاضر. لكن نعم، إني لسوء الحظ من دون عمل.»

أحست بنبرة الإستهجان في صوته عندما قال: «مستحيل! لقد فقدت عملك، وتنطلقين في رحلة وكأن لا هم عندك.»

قالت اليكس ببرود: «ليس تماماً. لقد فكرت ملياً قبل اتخاذ القرار. لكني كنت قد حجزت لهذه الرحلة مسبقاً، ولم أجد سبباً حقيقياً لإلغائها، أو لأخيب أمل أصدقائي الذين كنت أرافقهم. وبينما أنا بعيدة فكرت كثيراً في مستقبلي. وما زلت غير متأكدة مما سأفعله. ففي مجال اختصاصي قد أجد فرصاً مناسبة في حقل الصناعة، الألعاب الرياضية والتمارين الخاصة وأيضاً الخدمة الصحية. لا أنوي التسرع في أي عمل، طالما أن تغييراً قد فرض علي.»

بقي صامتاً للحظة، يفكر، ثم قال: «اذاً تستطيعين فعل ذلك.»

قالت اليكس بحيرة: «فعل ماذا؟»

قال: «التفكير أولاً، ثم التصرف. وان تعطي جواباً منطقياً دون أن تفقدي السيطرة على نفسك.»

استطاعت ببعض الصعوبة أن تجيبه بكلمات مشاكسة وأخذت تنظر بتصميم إلى الخارج من خلال النافذة.

قال لها بوجه جامد: «افتحيه إن كنت تشعرين بالحر الشديد.» أدركت اليكس، رغم أنها قد تكون سيطرت على كلماتها، أن احتقان الغضب في وجنتيها قد فضح أمرها.

سألته: «هل هذه آرلس التي نراها في البعيد؟ إذا كانت كذلك وجب علينا التركيز كثيراً، فالخريطة تبدو معقدة.»

قال لها ببرود: «أتمنى أن يكون في امكانك إعطاء تفسير يدل على اطلاع أكبر للخريطة.»

قالت: «اسم المكان مذكور فوق الوسط. لا أستطيع فعل شيء حيال ذلك. إني في حيرة ولا أستطيع سوى أن أقول يجب أن تتبع الخط ٥٧٠.»

قال: «اذاً، من الجيد أن أحدنا ليس كذلك.»

اقتربا من آرلس، المدينة الدائرية الحمراء الجميلة. وساد الصمت بينهما بينما كان ماركوس يقود بثقة عبر المدينة التاريخية. وأخيراً، أصبحا على الطريق المؤدية إلى أفينيون.

قالت باقتضاب: «آسفة. لم أكن بذي فائدة كبيرة.»

قال لها بهدوء: «على الأقل، كان لديك الحسّ لتبقي صامتة ولا تقدّمي إلي تعليماتك الجنونية الخاطئة. إني أعرف آرلس على أية حال. لكن في امكانك إن رغبت أن تركزي على أفينيون قبل أن نصل إلى هناك.»

انحنت اليكس فوق الخريطة، للتركيز عليها، وقد انسدل شعرها إلى الأمام ليحجب وجهها. قالت بحذر: «أعتقد أنها تبدو سهلة جداً، على أي حال... سيكون هناك اشارات للطريق العام، أليس كذلك؟ وكل ما علينا هو أن نتبعها.»

مدّ يده ليبعد شعرها، ونظر إليها بشفقة قائلاً: «إنسي أمر الخريطة. لم التقِ امرأة في حياتي تستطيع قراءة واحدة، لنأمل فقط أنك تستطيعين القيام بأفضل من ذلك مع الجوادين، يمكنك أيضاً أن تلقي رأسك إلى الوراء وتتركينني أتدبر أمري. سنتوقف عند أول محطة استراحة على الطريق العام لنستريح.»

القت اليكس برأسها إلى الوراء وفكرت، أيّ قدر سيىء جمعها بماركوس. أيمكن أن يكون هناك هدف ما؟ وجال في خاطرها امكانية القيام بأي نوع من الإنتقام من أجل ايلين. لن تحظى ثانية بمثل هذه الفرصة، لكن المشكلة كانت أن ماركوس ممسك بكل الأوراق. انه الرئيس. هو من يملك المال، ووسائل العودة إلى إنجلترا، بينما هي تعتمد عليه في كل شيء. لن يتردد، دون شك ان هي أغضبته كثيراً، أن يتركها على قارعة الطريق. تلوّت وقد أحبطتها تلك الفكرة.

سألها: «متضايقة؟»

فتحت عينيها دون ان تنظر إليه وقالت: «لا، أبداً. إنني متعبة فقط.»

كان عليهما أن يتوقفا في موقف الشاحنات عند محطة الاستراحة، تبادلا الأدوار في الذهاب لتناول وجبة طعام خفيفة كي لا يتركا الجوادين دون حراسة.

ذهب ماركوس أولاً، تحت اصرار اليكس. فيما فتحت

الباب على مصراعيه وجلست على درج الرينج روفر، وقد رفعت رأسها نحو الشمس المشرقة وأغمضت عينيها.

«تأخذين جواديك في رحلة معك، أليس كذلك؟»

فتحت عينيها لترى سائق شاحنة شاب بريطاني الجنسية يفتح غطاء العربة المتوقفة إلى جانبهما.

قالت: «لست آخذهما بل إني أعيدهما معي. انهما هدية من الساحل.»

قال: «هدايا رائعة!»

قالت: «ساحل رائع!»

ابتسم لها ابتسامة عريضة وقال: «لا بأس بذلك لبعض الوقت. كل ما أقوم به هو نقل حبوب الفطور.»

قالت مشيرة بيدها إلى السماء الزرقاء والشمس المشرقة: «أفضل من توزيعها في انجلترا تحت المطر.»

قال: «صحيح.» واتكأ على غطاء عربته مهيئاً نفسه للكلام: «ما اسمك؟ أنا أدعى غاري.»

قالت: «اليكس.»

ردّد متأملاً: «اليكس... اسم جميل. أتريدين قطعة من الشوكولا؟» مدّ يده إلى الصندوق وأخرج لوح شوكولا بريطاني الصنع معروف، وكسر منه قطعة.

نظرت اليكس إلى حيث مدوّن مكان الصنع وقالت: «لا أصدق هذا! أيهما جاء أولاً تفضيل الماركة أو الدعاية التلفزيونية؟»

كانت تتناول القطعة المقدمة لها وهي تضحك، عندما ظهر ماركوس إلى جانب مقدمة الرينج روفر وتعابير الإستهجان تظهر على وجهه.

قال بفظاظة: «لقد عدت، يمكنك الذهاب الآن.»

قالت دون مبالاة: «سأفعل في غضون دقيقة، ريثما أنتهي من تناول قطعة الشوكولا. هل سمعت عن سائقي الشاحنات الصغيرة وألواح شوكولا يوركي؟ هذه هي الأصلية.»

قال بلهجة جارحة: «حقاً؟ لن تتأخري كثيراً، أليس كذلك؟»

تجمدت اليكس. وبدأت عينا السائق تتنقل بينهما من واحد إلى آخر، وقد انفرجت أساريره لاستهجان ماركوس.

قالت لماركوس: «سأعود بسرعة بقدر ما أستطيع.» أدارت له ظهرها لتستثنيه، طالما أن اهتمامه الوحيد على ما يبدو هو وضع حدٍ لهذا المزاح المتبادل الودود. وقالت: «كم من الوقت تأخذ معك الرحلة إلى الشاطىء، يا غاري؟»

أجابها: «ان سار كل شيء على ما يرام، سأعبر آخر تقاطع من كالايس الليلة. هذا يذكرني، أنه من الأفضل أن أنطلق ان كنت أريد القيام بذلك.» وتنحى جانباً بلباقة وهو يلوح بمرح.

انتظرت اليكس لتلوّح له مودعة، فقط لتصر على موقفها، ثم اتجهت إلى مبنى الاستراحة. عادت الى السيارة بعد نحو خمس عشرة دقيقة.

كان ماركوس يقرأ صحيفة لا بد أنه ابتاعها من المحل.

عندما صعدت الى السيارة، مررها اليها، مشيراً إلى موضوع ذي عنوان شنيع عن قاتل هاجم مرة الطريق العام ويُعتقد انه قد يكرر جريمته.

قال باقتضاب: «أخبريني ان احتجت إلى ترجمتها.»

قالت: «لغتي الفرنسية كافية لتجعلني أعرف عما تتحدث، ولا رغبة لي لأن أقرأها بالتفصيل.»

«عليك ذلك. فقد تقنعك انه ليس من المستحسن ان تدعي غريباً يقلّك عندما تكونين على قارعة الطريق.»

قالت: «لم تكن المسألة ان يقلّني من مكان إلى مكان. غاري مجرد سائق شاحنة بريطاني ودود وغير مؤذٍ أبداً. أراد فقط أن يلقي التحية على مواطن من بلاده.»

صحح لها بلهجة ذات مغزى: «مواطنة. وحتى أشنع قاتل عُرف عنه انه يتحدث بمودة إلى جاره، تذكري.»

«لقد كان يقدم لي قطعة من الشوكولا فقط!»

«ألم يحذرك أحد من قبل ألا تقبلي الحلوى من الغرباء؟»

قالت: «نعم... عندما كنت طفلة، انما لربما فاتك أنني لم أعد طفلة.»

نظر اليها وقال باقتضاب: «لم يفتني ذلك.»

قالت: «ان استمريت بالتحدث في هذا الموضوع لمدة أطول سأبدأ بالتفكير ان يكون لدي سبب كافٍ لأن أحذر منك كما تعتقد انه يجب أن أحذر من غريب بريء تماماً.»

قال: «قليل من التعقل الحذر لن يكون خطأ. لقد سبق وأخبرتك بأني أعتقد انك تفترضين ان الأمور أسهل مما هي فعلاً. قد يناسبك ذلك جداً. لكن في الوقت الحالي أنت في عهدتي، وساكون ممتناً ان لم تتحدثي لكل رجل يكون على مقربة منك.»

سألته بحدة: «وهل تدرك كم يبدو ذلك فظاً؟»

قال: «بالطبع. لقد قصدت ذلك ليكون له تأثير معين.»

«حسناً، لا ضرورة لكل جهودك هذه. انني أعرف كيف أعتني بنفسي. انني متأكدة من ذلك.»

سألها: «وماذا يعني ذلك؟»

«ذلك يعني، أنني تدربت على سلسلة من صنوف الدفاع عن النفس، وان أي شخص يحاول التفكير في أن يجعلني موضوع مقالة كتلك المقالة الفظيعة التي اريتني اياها سوف يفاجيء حقاً. انني أؤكد لك ذلك.»

قال: «يبدو ذلك جيداً. لكني أفضّل الا أرى برهاناً على ذلك.» أدار المحرك، مشيراً إلى ان الموضوع في ما يعنيه هو، قد سويّ وانتهى. ابتعدا عن الموقف واتجها نحو الطريق العام ثانية بهدوء تام وقد بدا مهتماً في تفكيره بسلامتها كما هو مهتم بسلامة الجوادين.

سألته بعد دقائق: «ألن يجد ميسترال ولاسكو الحياة مقيدة قليلاً كمهرين أليفين. أعني... جياد الكامارغ معتادة على العمل، أليس كذلك؟»

أجابها: «سيعملان عندي. انني أقوم بتربية الماشية.»

سألته: «هل أنت مزارع؟»

قال: «تبدين مندهشة.»

لقد كانت كذلك. فقد أخبرتها ايلين انه كان محاسباً، لكنها لم تستطع اعطاء تفسير لذلك.

قالت بلهجة غير واضحة: «توقعت أنك تملك اختصاصاً.»

قال: «حسناً، انني مزارع لبعض الوقت فقط. انها في معظمها هواية، تطلب جمع الماشية والتنبه لها عندما تكون منتشرة في الساوث دونز، سيكون عملاً كافياً لمنح ميسترال ولاسكو احساساً بالعزم.»

«إذاً، ان كانت هذه هوايتك، فما هو عملك الحقيقي؟»

أجابها: «الحسابات أو أحرى بي القول، التأكد من ان الناس الآخرين يقومون بالحسابات بشكل صحيح. لدي شركة محاسبة ولها فروع منتشرة في جنوب الشرق.»

قالت: «ذلك يتناسب أكثر ونوع العمل الذي تخيلت انك تشغله.»

قال: «جاف وغير واضح؟»

سألته برقة: «من منا الذكي الآن؟»

رمقها بنظرة باردة وقال: «لا ذكاء في ذلك. انني أفهم كيف تفكرين ليس إلا.»

كان ذلك نوعاً من المواضيع التي لا تساعد على الارتياح. فعادت اليكس إلى الموضوع الأكثر أماناً، الحديث عن الخريطة، قالت له: «مفرق واحد بعد، نصبح بعدها في لوريال.»

قال: «في هذه الحال، أقترح عندما نصل إلى فرع المالمونت في هذا المكان، أن نتوقف لتناول الغداء، وان كان متأخراً، بدلاً من التوقف على قارعة الطريق.»

قالت: «ذلك يناسبني.»

قال: «حالما نغادر الطريق العام، احرصي على الانتباه إلى دكان يمكننا شراء بعض المعلبات منه من أجل صباح الغد. فستفي بالغرض اذا لم يكن علينا الدوران كثيراً قبل العودة إلى الطريق مجدداً. لدينا ما يكفينا لليوم، لقد اعطتني هانريت سلة مليئة، يبدو وكأنها تكفي لإطعام اثني عشر شخصاً.»

قالت: «أنت لا تعرف مدى شهيتي!»

قال: «لو كانت تتعدى شهية متعافية، لما استطاع سروالك الخاص بركوب الخيل ابقاء نتائج ما يترتب عن ذلك مخفية.»

طرفت اليكس عينيها، انما لم تتكلم، لم تنتبه بالأمس إلى انه كان يراقب أي شيء سوى قدرتها على الامتطاء.

وصلا أخيراً إلى مراكز امتطاء الخيل حيث كان عليهما ان يمضيا تلك الليلة هناك.

لقد استقبلا استقبالاً ودياً، وأرشدا إلى حقل حيث يمكن لميسترال ولاسكو أن يتركا بأمان لينطلقا في عدوهما على حريتهما. اعتذر صاحب المكان عن عدم توافر غرف نوم

خالية، لكنه عرض عليهما استعمال أي واحد من الحمامات الموجودة في المنزل للمدة التي يريدانها بين الساعة السابعة والثامنة في أثناء تناول النزلاء وجباتهم في غرفة الطعام، وأخبرهم عن عدة مطاعم في المنطقة، كما عدّد لهما أماكن التسلية فيما لو رغبا في الذهاب لرؤيتها، ثم هرع إلى الداخل ليتركهما يهتمان بالجوادين ولينصبا خيمة.

فكرت اليكس، عندما شرعا القيام في أعمال مختلفة، في أنه من الأسهل الاسترخاء عندما يكون هناك عمل يجب القيام به. راقبا بمرح الجوادين اللذين كانا سعيدين لخروجهما من العربة ثانية، وقد أظهرا ابتهاجاً مفاجئاً وأخذا يعدوان في الحقل تغمرهما فرحة الحرية. كانت اليكس في الوقت الذي تبسط فيه طعام الغداء، قد بدأت تشعر بالراحة أكثر من أي وقت مضى. ووجدت نفسها فعلياً تتحدث إلى ماركوس دون أن تتمعن في كل كلمة تتلفظ بها.

لا بد أن هانريت ذهبت إلى المدينة عندما حضّرت طعام هذه الرحلة. فقد كان هناك فطيرة لذيذة بالبصل مع الكثير من عصير البندورة، والكثير من الخبز المحمص وأنواع متعددة من الجبن وسلة ملأى بالفاكهة. أخرج ماركوس من حقيبة مبرّدة زجاجة شراب، وكانت أشعة الشمس المنبعثة من خلال أوراق الشجرة التي جلسا تحت ظلها عند نهاية الحقل، جعلت اليكس تتكلم على سجيتها.

لذا عندما قال ماركوس فجأة: «تعرفين، انك تذكرينني بشخص ما، لكن علي اللعنة ان كنت أذكر من.» كانت كلماته كصدمة رهيبة. عرفت اليكس، على الرغم من أنها لا تشبه شقيقتها كثيراً، أن هناك التشابه المحتوم في التعبير، طريقة

العائلة المشتركة والمميزة في السلوك. هكذا أمور من الممكن أن تفضح المرء بسهولة كما التشابه في الشكل الخارجي.

قالت بسرعة لتخفي ذلك بقدر ما تستطيع: «لا بد أني أمتلك وجهاً من النوع الجميل عالمياً، فلطالما قيل لي ان هناك من تشبهني في مكان ما.»

كان يحدق بها بتجهم وبدت في عينيه الرماديتين نظرة تأمل. قال: «لا، الأمر لا يتعلق بمظهرك. انه أكثر من ذلك، انه نوع من السلوك الذي تتصرفين به، ان لم يبد ذلك سخيفاً يمتلكني شعور أننا قد التقينا من قبل... لم يسبق أن التقينا. أعرف ذلك، إنني متأكد. والا ماكنت لأنسى هذا الشعر.»

قالت: «لا، لم يسبق أن التقينا. لقد ولدت ونشأت في سوسكس. هل أنت كذلك؟ ربما هو مجرد تشابه في النشأة.»

قال: «ربما كذلك.»

الموضوع بدا غير مقنع لكنه لحسن حظها غير الحديث. وسألها: «أتريدين المزيد من الفاكهة؟»

أجابته: «لا أستطيع تناول شيء بعد.» وقفزت على قدميها، سعيدة للفرصة التي أتاحت لها التحرك من جديد وأضافت: «سأنظف هذه الأشياء.»

قال لها: «هناك زبدية وماء في صندوق الرينج روفر. سأتدبر أمر أماكن نومنا بينما أنت تقومين بذلك.»

لم تعر اليكس اهتماماً كبيراً لهذه النقطة، وبينما كانت تنظف الصحون، عرفت انها لا يمكن أن تتشارك الخيمة مع هذا الرجل. إن كانت هذه فكرته فعليه أن يعيد النظر فيها ثانية. في إمكانها أن تفرغ السيارة من كل بالة شعير وكيس بندق خاص بالجياد وتنام هناك، أو تحت الشجرة. كانت

مستعدة لعدم التسبب بخلق صعوبات إلى حد معين، إنما مشاركته الخيمة فاق قدرة احتمالها.

لكن ما رأته عندما دعاها لم يكن خيمة، بل أرجوحتين شبكيتين مشدودتين من إحدى الأشجار إلى طرفي السيارة المتعاكسين.

دفع إحدى الأرجوحتين دفعة صغيرة مما جعلها تتأرجح بقوة وقال: «ها نحن هنا. من يحتاج لغرف منامة؟»

قالت له بحذر: «أولاً، ماذا سيحدث ان أمطرت السماء؟ وثانياً، لم يسبق لي أن نمت في أرجوحة شبكية.»

أجابها: «حسناً، انها فرصتك الليلة لتكتشفي كيف تكون. أما بالنسبة لتوقع سقوط الأمطار، ففي إمكانك نسيان ذلك. فإن الصحيفة التي اشتريتها، عن تعقل، تؤكد لي أن الطقس سيستمر مشمساً والسماء صافية حتى نعبر القنال.»

قالت: «لقد جعلني سماع هذا أشعر بالإرتياح. لكن أمراً ثالثاً خطرني الآن. ماذا يحدث ان تقلبت في النوم؟»

أجابها: «إما عليك أن تفعلي ذلك بطريقة صحيحة أو تسقطين.» وابتسم لها ابتسامة صغيرة. فكرت بدهشة، إنها المرة الأولى التي يبتسم فيها لي مباشرة، ثم تابع قائلاً: «لم يسبق ان سقطت عن السرير، أليس كذلك؟»

أجابته: «لا، لكن السرير يعلو نحو أربعة أقدام عن الأرض، آه، حسناً، سوف نرى!» كانت تفكر بينها وبين نفسها أنه ان نام ورأسه باتجاه الشجرة ستضع رأسها باتجاه الرينج روفر. لم تكن تريد أن تكون عيناها قبالة عينيه تحت ضوء القمر. وكانت الصورة التي ارتسمت لها خيالية جداً لدرجة بدت معها مضحكة، الأمر الذي جعلها تطلق ضحكة عفوية، فقال على الفور وقد علا التجهم

وجهه: «ها هو ينتابني ثانية الشعور بأني أعرفك.»

«انك تعرفني منذ نحو أربع وعشرين ساعة على الأقل.»

قال: «لاحاجة لأن تعاودي تذمرك. لقد بدأت تكونين ظريفة تقريباً.»

قالت: «الم يخبرك أحد أن الفتاة لا يسرها أن يقال لها انها نوعاً ما تشبه الكثيرات، وليست انسانة مميزة ولوكان ذلك مجرد افتراض؟»

أجابها: «لا، لكن على أي حال، قضاء أربع وعشرين ساعة معك أقنعتني أنه ليس هناك ما يسعدك بعيداً عن حيوان ذي قوائم أربعة من فصيلة الخيول. لذا أقترح أن نأخذ الجوادين في نزهة بعد ظهر هذا اليوم. سيؤدي هذا على الارجح إلى خلاف أقل من المجادلة.»

قالت اليكس باقتضاب: «لا شيء أحبه أكثر من ذلك.»

وعادا إلى الميدان مرة أخرى. وكان الميدان مكاناً آمناً ليتواجدا فيه، وفكرت، ليست الصداقة المريحة ولا المحادثة المسلية التي قد يتمتع بها النساء والرجال الآخرون متوافرة لرجل من عائلة ويكفورد وامرأة من عائلة ليورد. إن الفرق بينهما كالفرق بين الثريا والثرى، الهرة والكلب، القطب الشمالي والقطب الجنوبي. سوف تبذل قصارى جهدها كي لا تنسى ذلك.

عندما عادا بعد ساعتين من الركوب على صهوة الجوادين، أمضيا الساعة التالية في الاهتمام بالجوادين واطعامهما وسقيهما. استلقى ماركوس بعدها على إحدى الأرجوحتين الشبكيتين معلناً أنه سيأخذ قيلولة صغيرة. اخرجت اليكس من حقيبتها كتاباً وذهبت لتجلس تحت

احدى الأشجار. لم تكن على استعداد لتجربة الأرجوحة وعيناه الرماديتان الباردتان تنظران اليها بلهو.

كان الطقس حاراً جداً، مما جعل الحشرات الطائرة الفضولية تتواجد بكثرة. حاولت اليكس إبعادها بينما كانت تقرأ، وقد انتابها شوق كبير للبحر الذي خلفاه وراءهما.

رفعت رأسها، وقد أثار انتباهها صوت لم تلحظه إلا عندما عم السكون كل شيء. مياه جارية. لا بد أن هناك ساقية بالقرب من هنا، أو ربما نهر. لا شيء تتمناه الآن أكثر من السباحة ليخفف عنها وهج الحر.

نظرت نحو الارجوحة الشبكية. كان ماركوس هادئاً جداً، وقد غطت قبعته عينيه وجزءاً من وجهه. أخذت تنظر إلى صدره وهو يرتفع ويهبط برقة متأكدة أنه قد غطّ بسرعة في النوم.

اتجهت بحذر نحو الرينج روفر وكانت حريصة جداً بألا تحرك أي شيء بطريقة قد تجعل السيارة تهتز، واستطاعت ان تخرج ثوب السباحة من حقيبتها. ثم، وبعدما رمقته بنظرة سريعة، اتجهت نحو بوابة الحقل وتسلقتها كي لا يحدث فتحها أي صوت قد يوقظ ماركوس.

أدى بها الممر بعيداً نحو الشمال عبر بستان فاكهة، ثم إلى بستان صغير آخر رأت عند نهايته بريق الماء. كانت النقطة التي وصلت إليها من النهر ضحلة، الأمر الذي فسّر سبب سماعها صوته عن مسافة بعيدة. لكن عندما سارت على طول مجراه وصلت بسرعة إلى مكان حيث كانت الضفاف أعلى ومجرى النهر أضيق والمياه عميقة كفاية للسباحة، لكن ليس لدرجة منعتها من رؤية الحجارة في قعرها. ولم يكن هناك أي منزل أو انسان على مدى نظرها. وبدلت ثيابها بسرعة وغطست قليلاً في الماء.

كان ذلك منعشاً حيث أخذت تسبح بعكس حركة المياه الرقيقة، ثم عادت ثانية لتغامر في الإبتعاد نزولاً مع مجرى المياه. اقتربت منها مجموعة صغيرة من البط. نظرت إليها بعيون حمراء وتابعت سيرها وكوفيء هدوؤها عندما طفت على ظهرها لفترة قصيرة، تاركة المياه تسيرها كما تريد، بوميض أزرق رائع ظهر عندما اندفع طائر الملاعب ظلّه كالسهم في جسمها وداخل نفسها عندما قررت أخيراً أن البرودة المنعشة قد تحولت إلى برد، فخرجت مكرهة من الماء حيث تركت ملابسها.

نسيت أن تحضر معها منشفة، لكن في الوقت الذي تكون قد قطعت فيه هذا البستان الصغير وتحت أشعة الشمس القوية تكون قد جفت وفي إمكانها إرتداء ملابسها من جديد. انتعلت حذاءها وجمعت أغراضها واتجهت عائدة نحو الحقل.

كانت قد ارتدت سروالها وقميصها قبل أن ترى ماركوس يفتح بوابة الحقل ويخرج إلى البستان وينظر حوله. لم يتطلب الأمر سوى نظرة ثانية لمعرفة انه كان غاضباً جداً. سألها: «أين كنت؟»

قالت: «أسبح. يوجد هناك نهر يبهج النفس.»

قال بلهجة باردة أكثر من مياه النهر: «هل هو كثير ان طلبت منك أن تفصحي عن نواياك؟»

أجابته: «لقد كنت نائماً. لم أفكر أنه من الضروري أن اوقظك، كما وأني اعتقدت أن الفكرة لن تروق لك.»

قال: «هل تعنين أنك لم تفكري ولو لثانية؟ انطلقت بمجرد ان خطرت لك الفكرة.»

كانت اليكس قد اكتفت من ذلك. لقد آن الأوان لأن يوضحا

هذا الأمر بشأن ما تستطيع القيام به وما لا تستطيعه. فقالت: «هل هناك من سبب لا يجعلني أفعل ذلك؟ بدا أنه وقت فراغ، وكما ان الأمر يعنيني اعتقدت ان لي المبرر لأن استغله على هذا النحو. لم أدرك أنه يفترض بي مراقبتك وأنت نائم، وأخشى أنك لم تأت على ذكر تلك المهمة الخاصة خلال محادثتك الأولية.»

شد على فكه وقال: «إسدي لي خدمة وتوقفي عن قلة الاحترام هذه. اعتقدت أنني أوضحت لك هذه النقطة في وقت سابق من هذا النهار، لكن من الواضح أنك لم تدركيها. إني مسؤول عنك، طوال فترة عملك عندي. أريد أن أعرف أين أنت وماذا تفعلين، هل هذا واضح؟»

قالت: «ذلك واضح، لكنه غير ضروري اطلاقاً.» وبدأت اليكس بالابتعاد وهي تضيف: «لم أعد بحاجة إلى مربية منذ سنوات.»

أمسك ذراعها ليوقفها وقال: «ولم تحظي بواحدة. لقد حظيت برجل يقدّر تماماً مسؤوليته.»

والتقت للحظة عيناها الخضراوين بعينيه الرماديتين قبل أن تحرر نفسها من يده.

قالت: «حسناً. سأوقظك في المستقبل من سباتك العميق لأطلعك على ما أنوي القيام به.»

فقال بحزم رقيق: «آه، لا لن تفعلي ذلك. تنتظرين حتى استيقظ قبل أن تقرري القيام بأي شيء.»

قالت: «حسناً، هل هناك شيء آخر؟»

أجابها: «نعم. ان كنت تريدين انتهاز الفرصة لأخذ حمام فقد حان الوقت الآن للقيام بذلك. سوف أفعل أنا الشيء نفسه ومن ثم نذهب ونجد مكانا لتناول الطعام.»

قالت اليكس بحماس زائف: «كم هذا جميل.»

عاد ماركوس إلى الحقل قبلها، ولاحظت أنه قد ارتدى سروالاً رمادياً جميلاً وقميصاً قطنياً تتناسب معه. كان ذلك اللون الذي يوحي بالبرودة يناسب بشرته البرونزية وشعره الجميل، بينما عادت هي وارتدت السروال الأصفر والقميص الأبيض اللذين ارتدتهما طوال النهار.

قالت، معلنة عما هو ظاهر: «لقد بدلت ملابسك. لم الاحظ أننا ذاهبان إلى أي مكان خاص.»

رفع حاجبيه وقال: «لا أعتقد أن أي صديق من المالمونت سوف يرشدنا إلى مقهى نقال. وقبل أن تشني هجومك على مختلف الجبهات، لم أقصد بتلك الملاحظة أي انتقاد لما ترتدينه. بل ستبقين كما أنت.»

فقالت له بحزم: «أفضل أن أكون أكثر ملاءمة، لذا عليك أن تذهب وتراقب الجوادين لفترة قصيرة كي يتسنى لي بعض الوقت لتغيير ملابسي.»

خطا بضع خطوات ووقف على مسافة بعيدة عنها وقد ادار ظهره لها.

بحثت اليكس في حقيبتها، وهي تعرف تماماً ماذا تريد. لقد اشترت ثوبين قبل العطلة ودفعت ثمنهما الكثير الكثير. إنما ما عوّض عليها انها كانت قد لفتهما ووضعتهما في كيس من البلاستيك داخل حقيبتها كيفما اتفق، ثم سحبتهما بعد يومين لتجدهما دون أي جعدة.

سحبت الثوب الأخضر ذي الياقة العسكرية وارتدته بسرعة. ثم انسلت إلى داخل الرينج روفر على المقعد الذي إلى جانب السائق وأخفضت المرآة بلمسة خفيفة، وعقصت بسرعة

شعرها إلى الوراء بمشطين من الطراز القديم. وأصبحت جاهزة بعدما وضعت أحمر الشفاه الباهت اللون والذي يتناسب مع لونها. نادت ماركوس وأخبرته بأنها جاهزة.

عاد، ورمقها بنظرة متمهلة من رأسها حتى أخمص قدميها. قال باختصار: «أتتوقعين الذهاب إلى الريتز؟» هل هذا اطراء أم إهانة؟ ما كانت اليكس لتحفل بذلك.

كان المطعم الذي وصلا اليه، بعد أن قادا عبر هضاب الفيركور الخضراء، يقع على جانب شديد الانحدار. وشاهدا من على طاولتهما على المصطبة التي كانت جدرانها مليئة بالبوغينفيليا، مناظر خلابة للقرية من الأسفل. هبط الظلام بينما كانا يتناولان طعامهما. انما المنظر الذي كانا يطلان عليه لم يكن أقل جمالاً حيث أضاءت الأنوار الوادي وكأنها انعكاس لنجوم السماء وقد تريثت أشعة شمس المغيب الأخيرة، لترسم صورة ظلية لقمم الجبل المغلول.

وبدا أن النادل الذي كان يقوم بخدمتهما تخطى في استنتاجه إلى انهما زوجان حقيقيان، ولم يقم ماركوس بأي عمل كي يبدد وهمه هذا. كان ماركوس يتصرف بجاذبية واضحة ولطافة ظاهرة حتى ان اليكس نفسها وقعت ضحية ذلك.

بعد ما تذوقا كل صحن من الأطعمة اللذيذة التي قدمت لهما، وتناولا الشراب الذي اختاره ماركوس، بدأت اليكس تصبح أكثر ودودة. اليكس التي عرفها اصدقاؤها، لا المخلوقة السريعة الغضب التي هي دائماً في موضع الدفاع عن النفس الذي جعلها وجودها مع ماركوس ويكفورد تتحول اليه.

تفاعل ماركوس حيال وجهها المتألق وعينيها الضاحكتين

واللامعتين بطريقة لم تجعل الخطأ في تحديد علاقتهما امراً مدهشاً، ليس فقط بالنسبة إلى النادل، بل بالنسبة إلى الآخرين الذين جذب وجه اليكس المشرق عيونهم.

فيما هما خارجان من المطعم، كان زبائن آخرون يدخلون اليه فوضع ماركوس ذراعه حول اليكس ليبعدها جانباً. واشتدت قبضته حولها بدلاً من ان يفلتها، وادارها لتنظر نحو الوادي ليتمكن من أن يشير إلى شهب يسقط متألقاً عبر السماء.

قال: «تمني! لن تحظي بفرصة أفضل!»

كانا لوحدهما الآن للحظة، وراقبا النجمة وهي تنطفىء في صمت. سألها برقة: «هل تمنيت؟»

لم تكن اليكس قد كونت امنية بعد فيما شعرت بحنين مبهم، ندم بأن جو العشاء الذي تشاركاه معاً كان زائفاً. وأنه كان على طبيعته، وهي انسانة ما كان يجب أبداً أن تكون عندها القدرة لتتظاهر بانها كانت مستمتعة برفقته، ولا حتى من أجل إنقاذ المظاهر.

نظرت اليه، وقالت بتمهل: «ليس تماماً.»

قال: «ذلك يجعلنا اثنين. من الصعب التفكير في أية امنية الآن، أليس كذلك؟ لقد كانت امسية جميلة. أشكرك على مشاركتك لي فيها.»

ثم، وبينما كانت لا تزال تنظر إليه، مأخوذة بأفكارها الحلوة المرة، قربها نحوه أكثر وقبلها... وتركته يفعل ذلك.

ومع احساس بالذنب ادركت أنها لم تبذل أي محاولة للإبتعاد، وتجمدت بين ذراعيه متصلبة من الخجل. ماذا كانت تفعل؟ بماذا تفكر؟ وكيف استطاعت ذلك؟

سألها: «أتشعرين بالبرد؟»

قالت: «قليلاً، وأشعر بالتعب أيضاً.»

فكرت في ما بعد، بينما كانت جالسة بصمت إلى جانبه وهو يقود السيارة في طريق العودة. ان تلك اللحظات القليلة كانت الاكثر حماقة في حياتها. وفيما كان يعانقها شعرت ان هذا حقيقي. وليس ماضي العائلة البعيد بما فيه من مرارة وحقد. ولا الأذية التي عانت منها ايلين مؤخراً نتيجة لرفضه لها، رغم انها كانت خجلة من التفكير بذلك، ولا حتى الضرر الذي لحق بصحة والدها نتيجة لذلك، وكان ذلك أكثر الأفكار خجلاً منها جميعاً. لم يبد لها أي شيء أكثر واقعية من تلك اللحظة، وارادتها أن تستمر إلى الأبد.

لم يحصل ذلك، بالطبع. لقد انطفأت كما الشهب، وها هي الآن نادمة على ما فعلت، وقد تنبهت كلياً لخيانتها النفسية لشقيقتها ووالدها. وشعرت أن ماركوس قد شعر أيضاً بالندم على ذلك التصرف. ما كان ذلك الا قليل من تأثير ليل ساحر سرعان ما يزول في آخر الأمر.

شعرت بالإرتياح بعدما عادا إلى الحقل المظلم حيث أبقيا ميسترال ولاسكو وتمايلت بنعس قرب السياج، عندما قال ماركوس انه ذاهب إلى النزل ليسدد الفاتورة ليتمكنا من الإنطلاق باكراً عند الصباح.

شعرت بفرحة كبيرة، عندما سقطت عن الأرجوحة الشبكية على الأرض الصلبة في أول محاولة لها لكي تصعد اليها. قالت لنفسها هذا هو المكان الذي ينبغي أن أكون فيه، سعيدة لأن أشعر بنوع من التعذيب، حتى ولو كان هزلياً. كانت محاولتها الثانية أكثر نجاحاً من سابقتها، وفي الوقت الذي عاد فيه ماركوس كانت مستلقية في

أرجوحتها الشبكية. لم تكن نائمة، بل بدت وكأنها لا ترغب بأن يزعجها أحد.

سمعته يتحرك حولها، يتحضر للنوم محاولاً بجهد ادخال ساقيه الطويلتين داخل كيس نومه. وبعد لحظة أو اثنتين قال برقة: «تصبحين على خير، يا اليكس.»

تمتمت بكلمة تصبح على خير بشكل غير واضح، ومن ثم ساد الصمت المكان ما عدا صوت تنفس ميسترال ولاسكو بين الحين والآخر وحفيف الليل.

شعرت اليكس بالأمان ثانية. وهي كالشرنقة داخل كيس نومها، حيث عقلها وعيناها مغمضتان على سحر النجوم، ستشرق الشمس غداً وعندها سترين بوضوح تام إلى أين أنت تتجهين تماماً. وضاقت شفتيها بتصميم عندما فكرت، مع من.

الفصل الرابع

فتحت اليكس عينيها لترى ميسترال يدفعها برأسه نافثاً أنفاسه الساخنة على عنقها. مررت احدى يديها من خلال كيس النوم، وفركت الأنف الأبيض قبل أن تدفع الجواد قليلاً بلطف بعيداً عنها.

لاحظت أن هناك حركة خلف الارجوحة الشبكية الأخرى فسوّت وضعها بحذر لتتمكن من رؤية ما يجري.

كان ماركوس يرتدي ملابسه. فبقيت مستلقية بهدوء وتعقل وهي تنظر إلى انحناءة ظهره الجميل البرونزي اللون بينما كان يرتدي سرواله الجينز. كانت ساقاه برونزيتين بلون ظهره وذات عضلات قوية. لقد نام من دون أن يرتدي ملابس النوم الأمر الذي كانت تأمل لو أنها فعلته لنفسها. لكن الآن وقد تنبهت إلى أنها تختلس النظر إليه، ادركت أنها كانت لتلاقي الأمر نفسه لو أنها هي من نهضت من النوم أولاً. شعرت بسرور لأنها ارتدت بيجامتها القطنية. إلا أنها استمرت في النظر إليه.

واصبحت مدركة تماماً لطبيعة شعورها فيما هي تنظر إليه، واندست في كيس نومها كي تبعد منظره عن عينيها.

فكرت يائسة، آه يا ايلين. أية شقيقة حقيرة أنا. أعرف كل ما فعله لك وأجد نفسي على وشك الوقوع في حبه. ماذا جرى لي؟ أولاً ما حصل ليلة الأمس، والآن ها أنا ارمقه بنظرات حب كأي متلصص. إني جديرة بالازدراء.

www.elromancia.com

قال: «هل أنت مستيقظة؟» كان يقف بالقرب من ارجوحتها الشبكية، وكان عندها حرية الاختيار للنظر في عينيه، لكنها ما كانت تفضل أن تلتقيهما في الوقت الحاضر، أو أن تقع عيناها على القسم الأعلى من جسمه الذي كان عارياً حتى خصره.

فركت عينيها وقالت: «الآن فقط.»

سألها: «كيف نمت؟»

تثاءبت.

فقال بتهكم: «من الواضح، أنك لم تستيقظي منذ وقت طويل.»

تمتمت وهي تتصنع النعاس: «كم الساعة الآن؟»

قال: «إنها السادسة، لكن لا تلوميني لايقاظك، عليك بلوم ميسترال، على أي حال بما أنك استيقظت، لا فائدة من التريث. أعني... إن استطعت أن تفتحي عينيك.»

سار بعيداً، ومدّ يده لتناول كيسه الاسفنجي الذي علقه على غصن الشجرة التي كانت الأرجوحة الشبكية مشدودة إليها. وتدبرت اليكس امرها لتستطيع الاستقامة في جلستها واخذت تتأمل خطوتها التالية.

سألته: «كيف تنزل عن هذه؟» أصابها الذعر عندما أخذت الأرجوحة تتأرجح بقوة.

نظر إليها نظرة ساخرة، وقال: «بالحكمة. الحركات المتهورة غير مطلوبة بالتأكيد.»

انتظرت اليكس حتى اصبح عند البوابة تقريباً، ثم حاولت أن تحرر نفسها من كيس النوم والأرجوحة الشبكية في الوقت ذاته. إلا أن الأرجوحة خانتها ورمتها إلى الأرض

على يديها وقدميها، وكيس نومها فوق ظهرها. قذفت به جانباً ونظرت بقلق عبر الحقل لترى ماركوس واقفاً ينظر إليها من الجهة الأخرى من البوابة.

فصرخت قائلة، وقد اختفى كل شعورها نحو جاذبية مظهره: «هيا، اضحك. كان من اللائق أكثر لو أنك اعطيتني جواباً مفيداً لسؤالي منذ البداية. لقد فعلت تلك الأرجوحة اللعينة ذلك أيضاً عندما حاولت الصعود إليها ليلة أمس.»

قال دون أن يظهر على وجهه أية تعابير: «ذكريني أن اعطيك شرحاً عنها الليلة. لم الاحظ أن في الأمر مشكلة.»

كانت غاضبة لعدة اسباب لدرجة أنها نهضت بسرعة لتقف على قدميها وقد نسيت كل شيء بشأن الأرجوحة لتجد وجهها قد علق في شباكها. وسمعت كلمات استنكار قادمة من فوق البوابة تقول: «وماذا بعد؟» لكن في الوقت الذي خلصت نفسها به كان ماركوس قد رحل.

جهزت نفسها بأدوات زينتها وثياب نظيفة، وسارت نحو البوابة لتترقب بنفاد صبر عودة ماركوس.

عندما عاد، كانت ملآى بالحيوية وأنيقة في سروال الجينز وقميص مخطط باللونين الكحلي والأصفر الباهت، وكان مزاجها بارداً كما مظهرها. كان ماركوس حينها قد اسرج الجوادين. قال بلطف: «يمكننا أيضاً أن نجعلهما يعملان قليلاً قبل أن نغادر. وهكذا سيدخلان العربة برضى اكثر، وقد يحالفنا قليل من الحظ فنصل إلى مكان يقدم القهوة والفطائر الطازجة.»

قالت: «كما تريد. هل أقفلت السيارة؟»

أجابها: «لا.» ورمى لها بالمفاتيح ثم أضاف: «إفعلي

ذلك، من فضلك، إن كنت ستضعين اغراضك فيها. بالمناسبة شكراً على توضيبك لوازم النوم.»

«إنني هنا من أجل القيام بذلك، اليس كذلك؟»

كان ينظر إليها بتمعن عندما عادت إلى ميسترال وناولته المفاتيح. قال: «هل عاودك اليوم شعورك السابق؟»

أجابته: «لا اعرف ماذا تقصد.»

قال: «آه، نعم. فعلت ذلك. لقد كنت الليلة الماضية انسانية.»

«لقد شربت كثيراً الليلة الماضية.»

قال: «دون ذلك، ما كانت الجياد البرية تستطيع أن تجعلك تبتسمين، ولا اهمية للقبلة العرضية. كانت تلك السبب وراء شعورك اليوم، اليس كذلك؟»

«طالما أنك أتيت على ذكرها، اني أفضل ألا يتكرر ذلك الجزء الخاص من الليلة الماضية.»

قال: «لا مزيد من الشراب؟» وكان في امكانها أن تدرك من بريق عينيه أنه كان يتعمد عدم فهم ما عنته.

قالت بحدة: «لا مزيد من القبلات العرضية.» إن ارادها أن تقول ذلك مباشرة، ففي إمكانه سماع ما يريد. وأضافت: «لقد طرحت الشك في تعقلي بالتورط مع شخص لا اعرفه خلال هذه الرحلة. حسناً، إني رزينة كفاية لأعرف أنك اسأت تفسير ما حصل الليلة الماضية. لقد أخذت على حين غرة تماماً. ارجوك دعنا لا نسبب المزيد من الاحراج لكل منا.»

قال بتهكم: «حسناً، اطرحيني أرضاً... وأنا كنت أخدع نفسي بأنك قد قبلتني فعلاً بالمقابل. أي اشكال غريبة قد تتخذ السلبية المفاجئة.»

شحب وجه اليكس بسرعة، وقالت: «كن ظريفاً كما تريد،

لكني اقول لك بوضوح تام إنني لا اريد أن يتكرر ما حدث. من الآن وصاعداً، سنركز على الجوادين. إنك استخدمتني للاهتمام بهما، ولا شيء أكثر من ذلك.»

كانت نبرة صوته تدل على الشفقة عندما قال: «لو كان عندي ادنى فكرة بأنك سوف تسيئين تفسير قبلة عرضية تقديراً لعدة أشياء مجتمعة كالطعام الجيد، المناظر الخلابة، ورفقة بدت أقل مللاً مما كان متوقعاً، لكنت احجمت عن التسبب لك بهذه الكآبة الجديدة.» لفّ ذراعيه حول صدره ووقف ينظر إليها ثم أضاف: «انك تعطين أهمية كبيرة لأمر لا يعني سوى القليل جداً. صدقيني لو كان لي جدة وكانت هناك لقبلتها.»

قالت: «لقد اوضحت وجهة نظري. استطيع أن اؤكد لك أنها ليست اسخف من الهرج الذي احدثته أنت لابتعادي عنك خطوتين. على كل منا أن يتعلم كيفية احتمال خصوصية مزاج الآخر فقط.»

لكزت سرج ميسترال لكزة قوية، وقد نسيت كل تعليمات الأمس، مما جعل الجواد الصغير ينطلق بسرعة. وعندما أنهت دورة همجية حول الحقل وعادت إلى نقطة الانطلاق قال ماركوس بحدة: «لنأمل أن اتعلم القدرة على التحمل اسرع مما تتعلمين أنت ركوب الكامارغ.»

لم يكن هناك جواب يفوق ذلك حيلة ودهاء، لذا اتجهت اليكس نحو البوابة، وقد لمست ميسترال برقة فيما أفكارها حول ماركوس عكس ذلك تماماً. على أي حال لقد اوضحت النقطة حول اي فرص رومانسية قد يواجهانها خلال وضعهما، وفكرت أن كثرة التهكم حول تلك الفكرة كما يفعل

هو أفضل من أن يأخذها على محمل الجد. فلا مزيد من العواطف الزائفة التي يحدثها ضوء النجوم وضياء القمر.

مر بها وحث لاسكو على العدو سريعاً. وحذت اليكس حذوه. وجدا مقهى فاتحاً ابوابه في احدى القرى التي مرا بها. فأوثقا الجوادين إلى مقعد ثابت في الفسحة الصغيرة.

وبينما كانا ينتظران احضار القهوة على طاولة في الخارج، قال ماركوس: «في حال عندك أية هواجس، إنني لا امارس هواية الإغواء عند تناول فطور الصباح.»

أجابته: «توقف عن ذكر ذلك الموضوع يا ماركوس. اعتقد أن كلانا يعرف السبب.»

كانت الشمس قد اصبحت دافئة بينما أخذت الحياة تدب في المحلات والبيوت. اطلقت ميسترال فجأة سعلة مزعجة فنظر كلاهما نحوها.

سألها بتجهم: «هل كانت تفعل ذلك خلال ركوبنا؟»

فكرت اليكس ثم قالت: «اعتقد انها فعلت ذلك عندما انطلقنا فقط ووبخت نفسي لذلك، لأني لكزتها بقوة لتنطلق.»

قال: «تنبهي جيداً وتحققي إن استمر ذلك. هلا فعلت؟ فلا اريدها أن تمرض.»

تابعا تناول طعامهما، والكثير من انتباههما موجّه نحو الجوادين إلا أنه لم يحدث مزيداً من السعال.

قالت اليكس: «آه، أنظر. محل البقال هناك، إلى جانب المخبز، قد فتح بابه الآن. إن احببت استطيع أن اذهب إليه واحضر بعض الأشياء للغداء.»

قال: «سيوفر علينا ذلك توقفاً. سأدفع الفاتورة هنا بينما أنت تقومين بذلك.»

وقفت تنتظر، محرجة، حتى نظر إليها. سألها: «ما الأمر؟ هل تريدين المزيد من القهوة؟ اعتقدت أنك انتهيت.»

قالت: «لا، لا أريد المزيد من القهوة. إني... إني احتاج لبعض المال. لا املك أي منها.»

قال: «بالطبع ليس معك. تفضلي...» واخرج اوراقاً مالية مطوية من جيب سرواله الخلفية واعطاها اياها ثم قال بتذمر، وقد رأى كم جعلها ذلك تشعر بالارتباك: «ما من حاجة لتتضايقي. لقد نسيت. هذا كل شيء. اذهبي الآن.»

انطلقت اليكس عبر الساحة وهي تشعر وكأنها قد ضبطت وهي تتسول، وقد ادركت ثانية كم هي معتمدة على ماركوس ويكفورد. إنها لا تستطيع أن تشتري لنفسها قرصاً مهدئاً إن شعرت بصداع في رأسها. يا له من وضع سخيف ومغضب.

ابتاعت خبزاً وشرائح لحم فرنسية ونصف صندوق من جبنة الكامبيرت وحوالي نصف كيلو من المشمش ثم توجهت نحو ماركوس الذي كان قد عاد إلى الجوادين. أخبرته عما اشترته وقالت: «تساءلت هل اشتري بعض الزبدة لكني اعتقدت أنها قد تذوب. ولم اشترِ أي شيء للشرب.»

قال: «ذلك جيد. لقد احضرت زبدة ومرطبات في صندوق مبرد في السيارة.»

قالت: «خذ بقية المال. لقد اعطيتني الكثير، أكثر مما احتجت. سعر الخبز ستون فرنكاً، و...»

قاطعها قائلاً: «لا أريد فاتورة بكل غرض. ضعي البقية هنا واحتفظي بها في جيبك، إن كان هناك متسع لها.» ومد يده بشيء ما تجاهها، وعيناه تقيّمان تفصيل سروال الجينز على جسدها بتناسق.

بحذر أخذت منه رزمة صغيرة، وقد غلفت باتقان بورق اسود لماع وربطت بشريط ذهبي. سألته: «ما هذه؟»

أجابها: «افتحيها واكتشفي بنفسك.»

سحبت الشريط، وفتحت الورق لتجد محفظة جلدية سوداء صغيرة ذات قسمين منفصلين يقفلان بمشبكين ذهبيين دقيقين. تفحصتها ثم نظرت إليه وقالت: «لم يكن هناك حاجة لهذه. عندي جيوب ولا احتاج إلى محفظة.»

قال: «ضعي بقية المال الذي طلبته لتوك بمرارة كبيرة فيها، وهكذا فاني سأوفر على نفسي رؤيتك تتقدين احمراراً غداً.» وبينما كانت لا تزال مترددة تنظر إلى هديته، قال بسرعة: «شراء امرأة يتطلب أكثر من محفظة قيمتها دريهمات، إن كان ذلك ما يدور في رأسك الصغير. ما تحملينه بيدك هو عرض صريح لأنانية كاملة من جهتي. فقد اصبحت الآن مسؤولة كلياً عن توفير مؤونة الغداء خلال سفرنا، ولن يكون علي التفكير بها اطلاقاً. ولن يكون علي ايضاً رؤية مظهر آخر من مظاهر الارتباك السخيفة تلك. حسناً، هل ستقفين هناك إلى الأبد؟»

وضعت اليكس المال المتبقي في المحفظة ثم وضعتها في جيبها. والتقت عيناها عينيه واتقدت احمراراً من جديد.

«آه، إرمي بتلك المحفظة اللعينة بعيداً إن كان ذلك يشعرك بالارتياح. إن ذلك لا يهمني حقاً لا من قريب ولا من بعيد.»

فيما تبعته على صهوة الجواد، ادخلت اصابعها إلى جيبها لتتحسس المحفظة الصغيرة وتجهمت ثانية. ماذا سيقول إن هي اخبرته أنه اعطى هدية لامرأة من عائلة ليوارد؟ ما من شك أن الفتنة ستخف قليلاً. استقامت في

جلستها وحثت ميسترال برقة إلى الأمام لتقطع المسافة التي اضاعتها خلال احلام يقظتها. من حسن حظها أنه لم يعرف، وهي بالتأكيد لن تخبره.

سعلت ميسترال مرة أو مرتين بعدما عادا إلى الحقل، وبينما كانت تتناول كمية الفستق التي اعطيت لها. التقت عينا اليكس بعيني ماركوس وقالت دونما اقتناع: «ربما غصت ببعض الطعام.»

قال بفظاظة: «عنزة ولو طارت. اسدي لي خدمة. لا تبرري ذلك. إن كانت الفرس ستمرض فإنها ستمرض، ومهما نظرنا إلى الناحية الايجابية فذلك لن يغير شيئاً.»

التقطت اليكس اوعية الماء. إن كانت لا تستطيع قول الشيء الصحيح، فالأفضل أن تقوم بعمل نافع. لكن تلك الحركة أيضاً لم تلق استحساناً.

أخذ احد الأوعية منها وقال بلهجة فظة: «لا حاجة لأن تسقطي شهيدة. ذلك لن يحسن الأمور أيضاً.»

قالت، وقد شعرت ببعض التبرير: «وكذلك تهجمك عليّ.» واتجهت نحو الحنفية في الباحة، حيث تبعها ماركوس في صمت مطبق.

عادا إلى الطريق العام وعبرا نحو خمسين ميلاً، وما زال الصمت مخيماً عليهما قبل أن يتلفظ بكلمة أخرى حيث قال: «أعتقد أن الاعتذار ضروري. هل ذلك ما تحتاجينه لتعاودي الكلام ثانية؟»

قالت بسطحية: «لا، اني ادعك بأمان فقط.»

تحرك بغضب على مقعد القيادة. وقال: «حسناً. إني اسلم بأنني لم اكن مهذباً معك هناك. اردت فقط أن يكون كل شيء وفق ما خططت له عندما اعود إلى الديار مع الجوادين،

ولم يكن السير مع حيوان مريض ضمن مخططاتي.»

لم تكن اليكس لتهدر أية عاطفة تجاه الطفلة المدللة والزوجة «المناسبة» بالطبع. قالت بلهجة تعكس شعورها بدقة واضحة: «بالتأكيد لن يلومك أحد بسبب المرض؟»

قال: «المسألة ليست مسألة لوم. ان هذه مناسبة خاصة جداً. حلم يتحقق اردته أن يكون حلماً مثالياً، وليس نصف كابوس.»

قالت بجفاف: «أنا خارج سربي، فأنا لم أحظ قط باحلام تتحقق على هذا النحو.»

قال: «وأنت لا ترين لماذا قد يتحقق ذلك لأي شخص كان، هل هذا هو الأمر؟»

قالت له بحزم: «أنظر، إنها على الأرجح ليست شيئاً خطراً لتقلق بشأنه. وإن كانت كذلك، اليس من المفيد اكثر أن تبحث عن طبيب بيطري بدلاً من المشاجرة حول ذلك؟»

«صوت الحكمة. أنت محقة بالطبع.» وعندما نظر إليها هذه المرة بدا مستعداً لتبديل مزاجه. قال: «إذاً، افعلي شيئاً لتبعدي ذلك عن تفكيري. حدثيني عن عائلتك، عن صديقك، عن أي شيء. تكلمي فقط. لقد اكتفيت من الصمت.»

لمعت اضواء الخطر في رأس اليكس. العائلة. لم يكن يوجد الكثير من الراحة في ذلك الحديث. قالت محاولة صرفه عن هذا الموضوع: «إنها عائلة عادية. والدتي ووالدي يتمتعان بتقاعد مبكر، اختي متزوجة وعندها طفل. كلنا سعداء وقانعون. ويسعدني القول، ليس هناك من ممتلكات تذكر.» وانتقل بلطف إلى الموضوع التالي. حيث سألها: «وماذا عن موضوع الصديق؟»

«لا حاجة للقول انهم جميعاً من الأطباء.»

«جميعهم؟ هل يعني ذلك أن ليس هناك من شخص مميز؟»

قالت: «إنهم جميعاً يعتبرون أنفسهم مميزين جداً.»

سألها: «لكن أنت ألا تعتبرينهم كذلك؟»

اجابته: «لست في عجلة لأفضل أي شخص معين عن البقية.» ثم ادركت أنها كانت تضيع الفرصة لتؤكد الفكرة أنها ليست حرة. فأضافت بزيف كلي: «هناك شخص قد اكون مستعدة للشعور نحوه بجدية اكثر، لكن ذلك عليه الانتظار حتى اسوي وضع عملي.»

سألها: «كيف يبدو؟»

اللعنة على الرجل وعلى اصراره! عليها الآن اختراع شخص. جالت فكرها بسرعة على تلامذة الطب والأطباء الشبان الذين تعرفهم، فوجدت نفسها غير قادرة اطلاقاً على اختيار واحد من المجموعة ووضعه في دور الحبيب الخيالي. كانوا جميعهم متشابهين جداً، يعملون بجد، يلعبون بجد، يتصرفون بصبيانية على نحو غريب، كل واحد منهم. يجب أن يكون الأمر إذاً اختراعاً كاملاً.

قالت: «إنه يكبرني سناً. طويل جداً وعريض المنكبين، إنما بشكل متناسق تماماً. إنه جميل، وعيناه رماديتان و...» وقطعت كلامها وقد شعرت بالحرارة تخنقها عندما ادركت أنها تصف ماركوس نفسه.

قال باقتضاب: «البطل الرومانسي المثالي.»

قالت: «ليس تماماً. عنده التواء جذاب في أنفه حيث كسره ذات مرة بينما كان يلعب الركبي.»

قال بمرح: «من الجيّد وجود انف مكسور. فقد بدا الفتى مثالياً بشكل خيالي جداً حيث لا يمكن للكلمات أن تصفه. والآن ما الذي يضحكك؟»

قالت: «مجرد التفكير في...» وبحثت بسرعة عن اسم ثم تابعت: «في امبروز على أنه مثالي.»

قال ماركوس بازدراء واضح: «امبروز؟ ها قد اصبح عنده عاهتان الآن.»

قالت: «اتعتقد ذلك؟» وتعمدت أن يبدو صوتها حالماً وهي تضيف: «إنه يعجبني.»

سكت من جديد وبقي كذلك حتى توقفا لاستراحة قرب شالون.

شربت ميسترال عندما فتحا العربة لينعشا الجوادين، فقد كانتا عاطشتين. وبينما كان كل منهما ينتظر الآخر ليتناول القهوة في المقهى سمعا السعال الجاف من جديد. وكانت اليكس مقتنعة تماماً كما ماركوس أن الفرس الصغيرة ليست بخير.

ازداد الطقس حرارة اكثر فأكثر، وبينما كانت اليكس تراقب المسافات الشاسعة التي يقطعانها تحركت بضيق محاولة أن تبعد الجينز عن ساقيها، وكان ظهرها ما زال يؤلمها قليلاً أيضاً، نتيجة للسقطة عن الأرجوحة. لم يكن يؤلمها معظم الوقت، لكن قضاء ساعات في السيارة جعلتها تشعر بكدماتها.

فاجأها ماركوس بالتوقف ثانية عند متنزه في غابة بلينيي. قال بتهذيب: «سوف نأكل الآن. لا أريد أن أكون منشغلاً عندما نصل إلى محطتنا الليلية كي آخذ ميسترال وارى ما بها.»

لم تكن رحلة ممتعة فكل واحد منهما كان قلقاً. وبدأت اليكس تتساءل كم من الوقت سيضاف إلى رحلتهما إن كان

عليهما الانتظار ريثما تخضع الفرس للعلاج. كانت تعرف انه لن يسمح لها بنقل جواد مريض عبر القنال.

لقيا صعوبة اكثر في إيجاد مركز الفروسية الذي كانا متوجهين إليها. وعندما وصلا إليه، أعطت قراءة اليكس للخريطة الكثير من علامات الرفض والاستهجان من ماركوس النزق. على أية حالة، لقد بدا مرتاحاً نوعاً ما عندما خرج من المنزل الأبيض الطويل بعد ما تحدث مع رئيس المركز.

قال وهو يصعد إلى مقعد القيادة: «اننا محظوظان. إن الطبيب البيطري هنا الآن، يفحص جواداً يعاني من إصابة في مؤخرة قائمته فوق الحافر مباشرة وحالما ينتهي من ذلك سيفحص ميسترال.»

قالت اليكس ببساطة: «انني سعيدة للغاية.»

«وأنا كذلك. سنعرف على الأقل ما الأمر، وإن كان خطراً أم لا. لم يكن هذا اليوم أفضل ايامنا حتى الآن، اليس كذلك؟»

«طالما أن الأمور ليست خطرة يمكننا نسيانها كلها.»

لكن عندما خرج ماركوس والطبيب البيطري من عربة الجوادين حيث تركا ميسترال بعد المعاينة، كان وجه ماركوس قاتماً. اتجه الطبيب نحو البوابة وعاد ماركوس إلى حيث كانت اليكس تربت على عنق لاسكو.

قال بتجهم: «انها حمى الخيل.» كان مرض حمى الخيل مرضاً بغيضاً وخطيراً تصاحبه حمى والتهاب في الحنجرة. حتى أنه قد يكون فتاكاً.

قالت: «أوه، لا!»

قال: «ما زال في مراحله المبكرة، ظاهرياً، لم يكن في إمكاننا اكتشافه في وقت ابكر، كما أن الطبيب يقول ان جياد

الكامارغ قوية جداً ويمكنها مقاومة هذا المرض جيداً، وهذا أمر مشجع. لقد حقنها بحقنة كبيرة من دواء الالتهاب، وعلي أن أقود حتى منزله الآن لاحضار مزيد من الجرعات لاعطائها لها، حيث لم يكن معه ما يكفي منها ذات الفعالية المطلوبة. سنخرجها ونفك العربة، ثم سنترك الجوادين وننطلق بسرعة.»

قالت اليكس: «يمكنني أن ادرب لاسكو بينما تقوم أنت بذلك. لا اعتقد أنه من المفترض امتطاء ميسترال قبل خضوعها للمعالجة، أليس كذلك؟»

هاجمها ماركوس قائلاً: «كم يتطلب منك وقتاً فهم أمر بسيط؟ لن تتجولي في منطقة غير معروفة بمفردك. لم اسمح لك بذلك مساء أمس ولن أسمح به الليلة، ولا غداً، ولا في أي وقت طالما أنت في خدمتي. هل أنت مصممة على الضياع أو الاغتصاب أو الاغتيال؟ ما بك؟»

«إنني ادرك بالطبع، ان قلقك الرئيسي هو على جوادك الغالي، لكني اعتقدت فعلاً أنني أقدم عرضاً للمساعدة.»

«لا تعتقدي أنك خدعتني للحظة واحدة. ما قصدته فعلاً هو أنك اكتفيت من السير على الطرقات في هذه الحرارة، صحيح؟ حسناً، ايتها العنيدة. لسنا هنا من أجل المرح، لا ارغب في المزيد من القيادة أنا ايضاً، لكن يجب أن نفعل ذلك.»

قالت: «ليس من قبلنا نحن الاثنين. إنني اشعر بصداع رهيب ولن اصعد إلى السيارة ثانية...» واسقطت نفسها على المقعد الطويل إلى جانب الحقل، وهي تحدق به. وأضافت: «انك غير منطقي اطلاقاً. يمكنك منعي من ركوب لاسكو إذا اصريت على إثارة هذا الهرج، لكن على الأقل في إمكاني البقاء هنا وإطعام الجوادين. إنني لا أحاول التهرب

من دون القيام بشيء وأنا متأكدة أن الجوادين لن يمسهما اهتياج شديد ويدوساني حتى الموت. إذا كان ذلك هو البند التالي على لائحة عاداتك الرهيبة.»

نظر إليها نظرة حقيرة وقال: «الأمر الذي يظهر أي كارثة ممكنة على لائحتي هو فشلك التام في الادراك أن هناك طرقاً معقولة في التصرف.»

قفزت على قدميها من جديد وقالت: «لا يمكنك أن تكون اكثر عقلانية من التقدم في سبيل التأكد من أنه في إمكانك التعامل مع المواقف الصعبة. كم مرة عليّ ان اقول لك انني استطيع الاعتناء بنفسي؟»

قال بلهجة ساخرة يتطاير من نبراتها اللهب: «كل الفتيات أخذن دروساً في الدفاع عن النفس؟»

ردت عليه بسرعة: «كان مدربنا بحجمك. وقد حرص على جعل الأمر يبدو كدرس تعلم الباليه.»

اخيراً لم تعد اليكس قادرة على السيطرة على نفسها، وقالت: «حسناً، طالما أنك تعتقد أنك تعرف كل شيء، جربني. أنظر، اني ادير لك ظهري. أنظر ماذا سيحدث لك إن حاولت الامساك بي.»

قال: «لا تكوني سخيفة. اختاري قتالاً مع شخص مثلك.»

قالت: «خائف أن تفقد وقارك، أليس كذلك؟ أو هل أنت خائف من أن فتاة صغيرة تستطيع أن تؤذيك؟»

قال ببرود: «في الواقع العكس هو الصحيح.»

صرخت قائلة: «جبان! جبان!»

كان يقف هناك وقد لف ذراعيه حول صدره، وأخذ ينظر إليها وقد بدت مذهولة ومشمئزة في الوقت ذاته.

قال لها ببرود: «يبدو أن الصداع قد زال.»

قالت: «ذلك يحدث دائماً، عندما يظهر ألم اكبر من الصداع. تعال. كن رجلاً فعلاً ودعني ابرهن لك أن ما تلفظت به ليس سوى هراء. أنظر!» ولوّحت بذراعيها في الهواء وتطاير شعرها فيما هي تحاول الدوران حوله وظهرها ما زال باتجاهه، ثم اضافت: «إنني لا أنظر إليك، على الأقل اظهر شجاعتك لكي تخلص نفسك. لا استطيع أن اسهل لك الأمور أكثر من ذلك.»

قال: «حسناً، إذاً، طالما أنك مصممة على أن تجعلي من نفسك حمقاء.»

انتابها الخوف بعد موافقته المفاجئة، لكنها تستطيع القيام بذلك. الم ترمي استاذها الأثقل منها وزناً ارضاً، وقد اثنى عليها وطلب منها أن تعيد عرض ذلك لتلامذة صفها ثانية؟ قالت بشجاعة: «هيا، إذاً!»

قال وقد بدا صوته أقرب: «اني قادم، وسوف اقترب منك إن اصريت على الوقوف وظهرك لي. عليك على الأقل أن تستفيدي من معرفتك بأني اتجه نحوك. إنني على بعد عشر خطوات منك الآن، وأنا اقترب... واقترب...»

لمست يده ذراعها اليمنى، فتفاعلت على الفور وقامت بحركة كادت تظهر بشكل حاسم كم كان مخطئاً في الاستخفاف بها.

بدلاً من ذلك، وجدت نفسها تطير في الهواء لتحط على ظهرها على مجموعة من الاعشاب الطويلة.

الأسوأ من ذلك أن ماركوس كان يقف منفرج الساقين أمامها، وقد بدا وكأنه لم يتحرك قط، وهو ينظر إليها.

«وكيف ستخرجين من هذا أيتها الحمقاء الصغيرة؟»

لم تكن تقوى على اجابته، ولم يكن عندها جواب لترد عليه، كما انها لم تقع فقط في ورطة، بل كانت خائفة أيضاً.

سار إلى أحد الجوانب، ثم مدّ يده ليمسك بيدها.

وقف ينتظرها حتى تسترد أنفاسها، حتى استطاعت أخيراً أن تتلفظ بكلمتين حيث قالت: «ليس عدلاً؟»

زمّ شفته وقال: «بعد التبجح والتظاهر بالشجاعة. ذلك يفي بالغرض. لسوف تعيشين مع مواقف كتلك. والآن ربما استطيع متابعة الأعمال المهمة والانسحاب من هذه التمثيلية التحذيرية السخيفة التي دبرتها.»

قالت بكلمات مخنوقة: «كان يجب أن تخبرني!»

«اسدي لنفسك خدمة، عندما تتحضرين للهجوم في المرة المقبلة، تأكدي أن مهاجمك لا يعرف شيئاً اكثر منك.»

تركت نفسها تسقط جالسة على المقعد الطويل، بعد ما انطلق بسيارته. هذا الرجل البغيض، لا بدّ أنه حائز على الحزام الأسود في لعبة الجودو. لقد قذفها في الهواء وكأنها كيس من البطاطا. آه! ضربت بنعليها على المقعد في غضب، ثم وجدت أن الصداع لم يختفِ قط، بل رجحت عليه حدة مزاجها.

جلست هناك لفترة اطول، وهي تشعر بأسى كبير على نفسها وبأنها اكثر من مجرد حمقاء صغيرة، ثم نهضت على قدميها. لن تطعم الجوادين. إنها لا تشعر أنها قادرة على القيام بأي شيء، ليس بعد.

رأت، من خلال الأشجار، المياه تتلألأ وكأنها إشارة ضوئية تناديها. لكن ماركوس ويكفورد، الغبي، أخذ متاعها معه، وهكذا فان ثوب البحر خاصتها، في ذلك الرينج روفر اللعين، ولا تعرف كم سيطول غيابه. وانتابتها

موجة أخرى من الغضب. حسناً، لن يمنعها من السباحة لقد سبحت عارية من قبل وستفعل ذلك الآن.

كانت مياه آرمنون كالمرهم الشافي. لم تسبح اليكس كثيراً بل تركت نفسها تطفو لفترة قصيرة قرب الضفة، ثم أخذت تحرك قدميها في الماء اجتناباً للغرق، وعيناها مغمضتان لمجرد الاسترخاء.

إلا أنها صدمت بقوة، عندما سمعت صوت ماركوس يقول: «ما هو العمل الأقل وعياً من قبلك لتفعليه، وأنا واثق تماماً بأني اعرف ماذا كنت تنوين القيام به.»

اصيبت اليكس بالذعر وكادت تختنق بالماء الذي ابتلعته، ثم اتجهت سابحة تحت الماء إلى الضفة المقابلة حيث كانت هناك اشجار متدلية ولم تظهر إلا عندما اصبحت على بعد مسافة آمنة.

فعلت ذلك في الوقت المناسب لترى ماركوس وقد خلع ملابسه بسرعة، وغطس في مياه النهر ثم ظهر ثانية وقد قطع نحو نصف المسافة نحوها.

قالت بسرعة: «ابقَ بعيداً عني!»

«لا تقلقي. إني لا افكر في تكرار التمثيلية.»

سألته بيأس: «لماذا عدت بسرعة كبيرة؟»

أجابها: «لأن الطبيب البيطري يسكن على بعد مئتي يارد من هنا.» أخذ يسبح بتكاسل ذهاباً وإياباً وهو يراقبها. ثم أضاف: «لماذا تجلسين هناك بعيدة عني؟»

أجابته بحدة: «اني انأى بنفسي عنك. هل يفاجئك ذلك؟» حرك قدميه في الماء حتى اصبح على بعد سبعة أو ثمانية ياردات عنها فقط.

قال: «لا تجعلي من الأمر مأساة. لقد تأكدت أنك ستسقطين ارق سقطة ممكنة. إنك بخير على ما اعتقد؟»

قالت: «لا، شكراً لك.»

قال: «أفترض أنك لست مخبولة لدرجة ان تسبحي لو أنك تعانين من أية تأثيرات موجعة على أثر... تجربتك.»

قالت: «لا يسمح لي تقريباً بالسباحة الآن، أليس كذلك؟»

قال: «عقاب أنزلته بنفسك. لكن لا تقلقي. مجرد غطسة صغيرة هي كل ما اريده. ولقد اكتفيت الآن. من الأفضل أن تخرجي من الماء أنت أيضاً.»

سبح نحو الضفة وخرج من الماء ثم ناداها قائلاً: «ألا تشعرين بالبرد؟»

بذلت اليكس جهداً كي لا تصطك اسنانها وقالت: «لا، اطلاقاً.»

كانت مياه النهر عميقة تجري مسرعة عند هذه النقطة، ورغم حرارة بعد الظهر فقد كانت تشعر بالبرد حتى عظامها.

أخذ ماركوس وقته وهو يجفف نفسه. اخذت تسبح ذهاباً وإياباً، وقد حرصت على أن تبقى على الجهة البعيدة من النهر وهي تشعر بأنها ضعيفة ومتجمدة.

ناداها قائلاً: «حقاً، يجب أن تخرجي من الماء الآن.»

قالت: «ليس بعد. ارجوك لا تنتظرني.»

قال: «ما من مشكلة. لست على عجلة للقيام بأي شيء آخر. لكنك حقاً يجب ألا تبقي لمدة اطول في الماء. سوف تندمين على ذلك إن اصبت بالبرد الشديد.»

فكرت اليكس باشمئزاز، ليس بنصف الندم الذي سأشعر به ان خرجت من الماء وأنت تقف هناك تنظر إلي. آه، أي حمقاء كانت هي! من سوى مغفل سيعتقد فعلاً أنها قد

تستطيع الافلات من هكذا نوع من الحماقة؟ ان لم يقرر هذا الرجل اللعين العودة إلى الحقل، ستكون مجبرة على اخباره أنها لا تستطيع الخروج من الماء طالما هو واقف هناك.

توقفت عن السباحة ونظرت إليه، وهي تتساءل إن كان وجهها يبدو ممتقعاً كما تشعر به، وشحذت قوتها لتدلي باعترافها السخيف.

إلا أنه تكلم اولاً فقال وهو ينظر إلى السماء: «هذه الشمس تتألق ثانية فوق الماء حسناً. اعتقد أننا نستطيع أن نستمر بهذه اللعبة لساعات قبل أن تستسلمي وتكوني عقلانية. ان أدرت لك ظهري، هل سيحل ذلك المشكلة؟ وساكون رجلاً نبيلاً لدرجة أن اضع منشفتي في خدمتك...»

وقذف بها إلى حافة النهر وأضاف: «ليس معك واحدة، أو أي شيء آخر بالطبع، طالما ان كل ثيابك معي.»

لقد كان يعرف ذلك طوال الوقت، فكرت اليكس بغضب، وقد ابقت عينيها على ظهره بحذر فيما كانت تسبح نحو الضفة وخرجت من الماء بسرعة، وهي تشعر أنها معرضة للخطر بشكل بشع، لتلفّ نفسها بمنشفة البحر الرطبة. ارتدت سروالها وقميصها اللذين كانا يلتصقان بنزق وهي تسحبهما على جسمها الرطب.

قالت بحقد: «اعتقد أن فكرتك هذه هي من اكثر الدعابات هزلاً في العالم.»

قال: «إنها ممتعة جداً، موافق. هل يسعني أن استدير الآن؟ أو أنني في خطر من مزاجك ثانية؟»

قالت: «لا، أنت أقوى مني. لقد تعلمت ذلك الدرس.»

قال: «جيد.» ثم استدار ونظر إليها، وأضاف: «اتمنى أنك

قد استوعبت بصدق وبشكل جيد هذين الدرسين اليوم. القوة والخصوصية، والذي يبدو أنك لا تملكين أي منهما.» ثم سار بعيداً من دون ان يضيف كلمة أخرى.

امتطى بعدها ماركوس لاسكو في جولة مسائية. مقترحاً ان اليكس قد ترغب في الاعتناء قليلاً بالجواد ميسترال. وعندما عاد ماركوس كانت قادرة على التحدث معه دونما قيود للسيطرة على نفسها مع كل كلمة.

قال لها: «لقد استطعت أن اتدبر لنا مكاناً في المركز مع بقية الضيوف. لقد كان اليوم شاقاً، ولا اعتقد أن أياً منا قادر على البحث عن مكان آخر في المنطقة.»

توجها إلى غرفة الطعام عند الساعة الثامنة والنصف، وقد رحبت اليكس بفكرة الاختلاط مع أناس أخرين لفترة قصيرة. كان هناك عائلتان انكليزيتان غيرهما يمضيان عطلة في المركز، هكذا قيل لماركوس، وكان عليهما الجلوس إلى طاولة تتسع لثمانية اشخاص مع زملائهما.

كانت ترتدي ثوبها الجلدي المفضل ذي الرسومات الجريئة والغامضة. ذات اللون الأزرق الطاووسي وظلال من اللون الأخضر، مع سترة طويلة من القماش الأبيض الرقيق. وكانت قد ربطت شعرها إلى الوراء بشريط أخضر عند مؤخرة عنقها، ووضعت حلقاً عنقودي الشكل يجمع الوان الثوب.

عاد ماركوس أيضاً من الاستحمام بأناقة بسيطة، حيث ارتدى قميصاً قطنياً جميلاً بلون الشوفان وسروالاً أخضر اللون. وسحب لها الكرسي في غرفة الطعام لتجلس عليها وقد تلألأ الضوء المنبعث من المصباح المعلق على الحائط على شعره.

كانت رفقة العائلتين الإنكليزيتين طيبة، عائلة من

ميدلاند افرادها اكبر سناً من العائلة الأخرى التي قدمت من اسكس ومعها طفلان. والطعام كان ممتازاً. لم يسع اليكس إلا أن تلاحظ كم احب الطفلان ماركوس بسرعة، وكم كان هو لطيفاً معهما، فقد اخذاه عند نهاية وجبة الطعام لينظرا إلى المهرين اللذين كانا يعتبرانهما خاصتهما، لكنها لاحظت بسرور بأنه لم يسمح للصبي والبنت الصغيرين أن يفعلا أي شيء أو أن يذهبا إلى أي مكان، كانت لديه سلطة طبيعية وسارة عليهما وقد اطاعه الطفلان دونما سؤال.

انتهى النهار، بكل ما فيه، أفضل بكثير مما مرّ به خلال معظم الوقت. وكانت اليكس مجبرة على التساؤل، إن كان الرجل الذي يهتم بالحيوانات يمكن أن يكون سيئاً كلياً، بينما كان يحقن ميسترال بآخر حقنة لليوم، وهي واقفة تحمل المصباح وتراقبه وقد بدت تعابير الاهتمام على وجهه. استعدا للنوم ونصب ماركوس الأرجوحة الشبكية، ولكن قبل أن تصعد إليها دس أنبوباً صغيراً في يدها.

قال: «ضعي من هذا على كدماتك. لم يكن عندي فكرة أنك سقطت سقطة مؤذية إلى هذا الحد عن الأرجوحة. كان يجب أن تخبريني.»

فعلت اليكس ما بوسعها لتتجاهل الجانب المحرج في ذلك الموقف. وقالت: «إنها بسيطة. إن الكدمات تظهر عليّ بسهولة، هذه هي طبيعة بشرتي. لكن شكراً على أية حال.»

«أنت أيتها الفتاة الصغيرة المضحكة...»

ثم فجأة رفرفت أجنحة ولمع وميض أبيض مرّ من فوق رأسيهما بارتفاع قدم أو اثنتين، فقفزت اليكس بتوتر.

قال: «إنها مجرد بومة.»

تساءلت اليكس، بومة أو نذير شؤم... بدا لها أن توقيت طيرانها وهدفها المميت دون شك ينذرانها بوجود خطر محدق. خطر ساكن في افكارها، فيما قالت له بسرعة طاب مساءك وصعدت إلى ارجوحتها.

تكورت في كيس نومها التماساً للدفء، وهي تحدق في النجوم المتناثرة في السماء المظلمة، وارغمت نفسها على التفكير فيما حدث خلال النهار، لقد أمسكت المحفظة الصغيرة السوداء عدة مرات ونظرت إليها بسرور. لقد تحول هكذا تصرف إلى مرارة في تفكيرها الآن. كيف استطاعت أن تشعر بالامتنان نحو رجل احدث هكذا مصيبة في حياة عائلتها؟ لقد اعتبرت نفسها دائماً الفتاة الواعية المدركة بينما ايلين هي الأخت الحمقاء والطائشة.

لم تعد متأكدة الآن، عليها أن تراقب نفسها وألا تكون متأكدة من أي شيء، سواء اكان حباً أو كراهية. قد يمكن خيانة الحب، ألم تجد نفسها تقترب من الطريق الذي قد يؤدي بها إلى خيانة شقيقتها ووالديها؟

ادارت ظهرها لماركوس وانتظرت برزانة حتى يغلبها النعاس ويمحو الصورة الكئيبة وغير المرضية لنفسها والتي تعيش فيها.

الفصل الخامس

إن كانت الأمور قد بدت سيئة الليلة الماضية، فإن القدر تدخل ليجعلها اسوأ بشكل مؤكد قبل مغادرتهما مباشرة في الصباح.

تذكرت اليكس ساعتها، التي كانت قد وضعتها في حقيبتها وجعلت ماركوس ينتظر ريثما تبحث عنها بين ثيابها. وفي غمرة عجلتها، رمت الحقيبة دون أن تقفلها ثانية في الصندوق. حيث ارتدت وسقطت على الأرض وقد تناثرت محتوياتها بسرعة فائقة.

هرعت اليكس بسرعة مندفعة إلى الأمام لتلتقط الأغراض. وكان كل همها أولاً ألا تدع ماركوس يلتقط ملابسها الشخصية، لكنها رأته بعد ذلك يمسك كتاباً صغيراً لونه أحمر داكن، وترنح قلبها خوفاً. لقد كان ذلك جواز سفرها، وفي داخله اسمها بالكامل، اسمها الحقيقي.

قالت بسرعة: «سآخذ هذا!»

وقف وابعده كي لا تستطيع الامساك به وسألها: «لِمَ كل هذه العجلة؟ هل أنت خائفة من أن أرى صورتك البشعة على جواز سفرك؟»

قالت: «لا!» وحاولت أن تنتزعه من يده، لكن محاولتها باءت بالفشل فناشدته قائلة: «ارجوك لا تنظر، انها صورة مريعة!» وتسارعت ضربات قلبها وكأنه شيء هائج.

قال: «انتن دائماً هكذا. وذلك ما يحدث التسلية.»

فتح جواز السفر ونظر إلى الصورة، ثم إليها وقال: «يا لها من جلبة من أجل لا شيء. إنها صورة مقبولة. إني لا امزح اطلاقاً.»

فكرت للحظة، للحظة امل يائسة إنها سوف تفلت بذلك لكنها رأت عندها عينيه تتجهان إلى الصفحة المقابلة وقال: «لا ذكر لعلامات فارقة الآن، وإلا، ربما في هذه اللحظة بالذات عند نقطة اكتشاف...»

توقف عن الكلام، وعلمت اليكس أن لعبتها قد انتهت لقد رأى اسمها. لا بد أنه فعل ذلك. ماذا غير ذلك قد يعنيه الصمت المفاجيء؟ لا شيء اقل من معجزة يجعله لا يضع النقاط على الحروف الآن. انحنت بخوف، وأخذت تلتقط الملابس كيفما اتفق وتضعهم داخل حقيبتها، وكأنها في هذه اللحظة وقعت في ورطة، ورطة حقيقية.

بدا وكأن الصمت سيستمر إلى ما لانهاية. لكنه تكلم أخيراً. سمعته يسألها ببطء قاتل: «هل كانوا يدعونك يوماً بساندي؟»

تركت حقيبتها على الأرض ووقفت لتواجهه: «كنت يوماً...»

قال: «جال في بالي أنك ربما قد تكونين يوماً. لا تقولي لي، كان ذلك يوماً عندما كان اسم عائلتك مختلفاً أيضاً، أليس كذلك؟ ليس وارد فقط، إنما ليوارد. ساندي ليوارد. صحيح؟»

أومأت برأسها إيجاباً، وقلبها يقفز من مكانه قلقاً وقد شلتّها النظرة التي بدت على وجهه.

قال: «وشيء ما يحدثني أنك لست الآنسة ليوارد الوحيدة. عندك شقيقة، صحيح؟»

«دعنا لا نتصرف بطريقة غير مشرفة يا ماركوس. من الواضح أنك تعرف أني شقيقة ايلين.»

قال بلهجة باردة وساخرة: «لكن هذه المعرفة جاءت متأخرة جداً. عليك أن تعطيني بعض الوقت لأتمكن من استيعاب ذلك. ربما عليك أن تبدأي منذ أول لقاء مشرف حصل بيننا.» مدّ يده نحوها، يداً ثابتة بينما كانت يدها ترتجف. لكن عضلات وجهه المتصلبة كانت شاهداً على مدى غضبه وقال: «كيف حالك، يا ساندي ليوارد؟»

كانت مصدومة جداً بالانهيار المفاجيء لخداعها الذي كتمته بحذر لدرجة أنها مدت يدها نحو يده دون أي تفكير. وبدلاً من أن تتلقى مصافحة ساخرة، دفعها بخشونة نحوه بدل المصافحة وامسك كتفيها بإحكام بينما كان وجهه على بعد بضع انشات من وجهها، وقسماته تلتوي من شدة الغضب. قال بصوت بارد كالثلج: «حان وقت التفسير. لماذا هذا التصرف؟ تخجلين من اسمك، أليس كذلك؟»

قالت: «لا ابداً. لكني اعتقدت أن رجلاً من عائلة ريكفورد ربما لن يجد ذلك امراً مستساغاً.»

نظر إليها باستخفاف وقال: «لا تختبئي خلف اصبعك.»

قالت: «إني لا أفعل ذلك. لقد اعطاني الجيل الحالي دوافع كثيرة لأخذ الحذر.»

دفعها بخشونة بعيداً عنه وقال: «أي حقيرة ماكرة أنت، وحريصة على مصلحتك الخاصة.»

قالت بحقد: «ذلك ليس منصفاً. لكي استحق ذلك الوصف كان علي ان اعرف من أنت سلفاً. وصدقني، لو كنت اعرف ذلك، ما من ظروف مهما كانت صعبة، كانت لتجبرني على المجيء إليك.»

بعد دقيقة قال: «كيف حدث أنك متأكدة لهذه الدرجة أني أنا الرجل الذي عرف اختك العزيزة؟»

قالت: «اسمك، الذي لم تكن ليز تعرفه كاملاً.»

قال: «ليست الأسماء فريدة.»

قالت: «ولقد ارتني ايلين صورة لك.»

«من المؤسف أنها لم تريني صورتك.»

قالت ببساطة: «ها أنت أمامها، ولست في حاجة لأي تفسير اضافي عن عدم رغبتي في استعمال اسمي الحقيقي. ما كنت لترحب بفكرة السفر معي، ولكنت عدت بمفردك إلى انجلترا، أليس كذلك؟»

قال: «بينما أنت، من الناحية الأخرى، كنت يائسة جداً للحصول على انتقال مجاني لدرجة أنك قد تنحطين إلى ادنى درجة للحصول عليه.»

«ان كنت تذكر لقد حاولت المغادرة على الفور، بعد ما عرفت من أنت. لقد كنت مشدوهة، كما أنت الآن.»

قال بحدة: «مشدوهة؟ إنني غاضب جداً.»

قالت: «حسناً، مهما اردت تسميته. كان عليّ التفكير على الفور، ولم يكن ذلك بالأمر السهل. لقد تمنيت لو أنك لم تلحق بي ذلك اليوم. لقد كنت اتصرف بطريقة مشوشة نوعاً ما. ولا تظن أنني استمتعت باليومين الماضيين.»

قال: «حقيقة من أنت تلقي الضوء بالتأكيد على تحوّلك من صديقة إلى فتاة متعجرفة.»

قالت بازدراء: «اعتقد أنك تظن أنه يجب على كل امرأة ان ترمي بنفسها عليك وتقول: نعم، ارجوك! حالما تشير إليها ببنانك الصغير.»

قال: «اعني، لقد صدمتني جداً تلك الجلبة التي اثرتها حول قبلة عرضية.»

قالت باقتضاب: «حسناً، إنك تعرف الآن. إني شقيقة

ايلين. ذلك أمر نسيته للحظة طائشة تحت تأثير ضوء القمر والشراب، إنما ليس تحت ضوء النهار.»

صرخ قائلاً: «يا له من أمر جدير بالثناء، لكني نسيت المبادلات الاجتماعية. أخبريني كيف حال أختك العزيزة؟»

توهجت عينا اليكس غضباً، وقالت: «لقد تزوجت، عندها طفل رائع وهي سعيدة جداً بالتأكيد.»

قال: «إني سعيد جداً لسماع ذلك. لقد نجحت اخيراً بعد زواج فاشل وعلاقة فاشلة. يبدو أن المثل القديم صحيح. المرة الثالثة هي الثابتة.»

«كيف يمكنك قول شيء غليظ وبشع لهذه الدرجة؟»

أجابها بالسرعة ذاتها: «كيف امكنك ان تفعلي ما فعلته؟ لكن لست مجبرة على الإجابة عن هذا الآن. أليس كذلك؟ يظهر الجواب على بعد عدة اميال عند شخص عرف أختك في ظل ظروف لقائي بها. من الواضح أن فن المخادعة يجري في عروق العائلة.»

انهت توضيب اغراضها من جديد في حقيبتها، ثم نهضت لتواجهه. قالت: «حسناً. لن نستفيد شيئاً من نبش الماضي. افترض أنك تريدني أن اغادر بأسرع ما يمكن. لسوء الحظ ومن أجل أن افعل ذلك، علي أن اطلب منك اقراضي بعض المال. يمكنك التصور كم اكره القيام بذلك، لكنها تبدو الطريقة الاسهل للخروج من موقف بغيض لكلينا.»

قال: «تديرين ظهرك وتهربين؟ هل هذه ميزة أخرى في العائلة تتشاركينها مع أختك؟»

قالت: «إنك حقير!»

قال: «وأنت نسيت امرأ.»

قالت: «لكني متأكدة أنك ستخبرني ما هو.»

قال: «لقد عقدت معي اتفاقاً. لم يتغير شيء. ما زال عندي جوادان وعليّ أن اعود بهما إلى انجلترا. وما زلت في حاجة لمساعدة. هل تقولين لي انك تنوين التراجع الآن عندما كشفت خدعتك الصغيرة؟»

كان الآن دور اليكس لتقف مشدوهة... فقالت: «هل تقول انك سوف تستمر باستخدامي عندك؟»

قال بلهجة بغيضة: «من المذهل ما يستطيع الانسان تحمله عندما يكون الأمر مفيداً.»

قالت: «أنا، أنا لا أعرف كيف يمكن أن تجري الأمور.»

قال: «إن كنت تتحدثين عن العلاقات، فأنا ايضاً لا أعرف. لكن فيما يختص بالعمل الذي بين ايدينا، فسوف نصرّ على اسناننا ونتابع القيام به، فلم يقل احد ان علينا أن نمتّع أنفسنا. وستجدين بالنظر إلى ادائك حتى الآن أن الأمر مريح لتتمكني من أن تظهري كلياً استياءك لهذا الوضع.»

قالت اليكس بلهجة متقدة: «هذا اول توبيخ قاس.»

قال: «اوافقك كلياً، إنما طالما نحن معاً، طالما علينا تحمل ذلك. لقد اخترت العمل عندي، لذا اقول علينا أن نضع هذه الفكرة في مرحلة التنفيذ.»

تركها لتضع حقيبتها في مؤخرة الرينج روفر وتنضم إليه في المقدمة. بدأت كلامها عندما شعرت أن الصمت لم يعد محتملاً قائلة: «لو أني عرفت...»

«إسدي لي خدمة. لا تقولي شيئاً. احتفظي بكل ما عندك لنفسك، افتراضات، افكار واعتذارات بكل شيء.»

قالت بعنف: «ليس عندي ما اعتذر لأجله.»

قال: «إني متأكد أنك تعتقدين للحظة أن عندك كما مع شقيقتك، المتعة الشخصية تحتل المكانة الأولى فوق كل شيء آخر.»

«اعتقد من الأفضل ان ندع أختي خارج الموضوع.»

«خارج الموضوع بشكل تام. لقد هربت مباشرة إلى عالم اميركا الملون الحالم، بناء على ما قلته أنت.»

كانت نبرة صوته غاضبة جداً وهو يقول ذلك، بحيث عرفت اليكس انه ليس هناك من فائدة في الجدال.

بقيت العلاقات بينهما على ادنى مستوى، ما عدا اعلان موجز من ماركوس بأنهما سيمضيان تلك الليلة مع اصدقاء له في منزل ريفي صغير في غابة ليونز، وبعدما دخلا إلى غابة الزّان الجميلة بقليل، قاد الرينج روفر إلى حافة الطريق وتوقف.

قال: «لم نصل بعد، لكن قبل أن نصل علينا ايضاح أمر. اعتقد أنه من الممكن، وربما من المستحب أننا سنبقى ليوم أو يومين مع تيم وكريستين، طالما ان كلا الجوادين يجب أن يخضعا لفحص الطبيب البيطري في ديبي، وتأخير مع الاصدقاء سيكون أفضل بكثير من تأخير على المرفأ.»

قالت اليكس بهدوء: «إني ادرك ذلك.»

«طبعاً، انك الشابة التي تعرف كل شيء، أليس كذلك؟»

قالت: «ليس كل شيء تماماً. ليس لدي حل، حتى الآن، كيف سنمضي بقية الرحلة في هذا الجو.»

قال: «تماماً. ذلك هو السبب بالضبط الذي جعلني اتوقف. إن اجبرنا على قبول ضيافة تيم وكريستين، اقل شيء يمكننا القيام به هو التصرف بأساليب متمدنة. وذلك يعني التظاهر المضني بأننا نستطيع تحمل بعضنا البعض

ويستمتع كل منا برفقة الآخر. وإلا فإننا سنجعل حياة بعض الناس الظرفاء محرجة جداً ومربكة.»

قالت اليكس بضجر: «اعتقد أنني استطيع القيام بذلك.»

قال: «اتستطيعين؟ بالطبع لقد مضى عليك يومان وأنت في ثوب التمرينات. أموت لأعرف ان كنت ممثلاً جيداً. على أي حال... تتطلب اللياقة أن نبذل بعض الجهد من أجل ذلك على الأقل. إذاً، لتعرفي القليل عنهما. تيم هو انكليزي الجنسية، وكريستين فرنسية. هو يملك الكثير من المال لدرجة أنه لا يعرف ماذا يفعل به، لكن بدلاً من أن يهرع محاولاً أن يسلي نفسه اشترى هذا المنزل الريفي الآيل للسقوط، الذي ما كان احد ليمسه، وبمساعدة كريستين استطاعا معاً أن يعيدا ترميمه. انهما لا ينجبان، لكن اطفال الآخرين ينجذبون نحوهما كما الحديد إلى المغناطيس، وكذلك الاصدقاء واقاربهم، انهما شخصان من ألطف الناس الذين اعرفهم، ولا أريد أن يزعجهما شيء. هل ذلك واضح؟»

قالت: «تماماً. أتمنى أن لا يكون لديهما سبب ليندما على حضوري.»

قال: «من الأفضل ألا تتمني فقط.»

أدار محرك السيارة بقوة وانطلقا عبر ضوء الغابة الأخضر المرقط.

بدا أن المنزل الريفي الاسباني قد شيد وتآلف مع الأرض. كانت شجرة اللبلاب قد تسلقت فوق جدرانه الحجرية المزهرة وربطتها إلى الأرض حيث نمت الأوراق الخضراء. وكانت الجدران نفسها ترمي بوميض انعكاسها فوق مياه الخندق المائي. وغابة الزان تضمها جميعاً في جو الغابة

المشرق. فكرت اليكس أنها لم تر أجمل من هذا المكان في حياتها، وحتى ماركوس قد تأثر به ليتحدث عنه.

قال لها بصوت شبه عادي: «قبل أن يأتيا تيم وكريستين إلى المنزل الريفي كانت معظم الجدران غارقة في الخندق المائي، ولم يكن هناك غرفة واحدة صالحة للسكن في المنزل. كان عندهما قافلة من البيوت المتنقلة على عجلات للعمال، الأصدقاء، والمساعدين ولهما في السنة الأولى. كان ذلك منذ خمس سنوات. ان ما انجزاه منذ ذلك الحين هو عمل خارق. ها هو تيم.»

كان هناك رجل نحيل القامة اسمر اللون، تدل ملامحه على الذكاء، ينزل عن حصادة كان يقطع بها الأعشاب بين الخندق المائي والأشجار. قدم نحوهما، فقفز ماركوس إلى الأرض.

قال: «إذاً، لقد قمت بذلك، وفي الوقت المحدد. عمل جيد!» تصافحا بحرارة، ثم ابتسم تيم وسأله: «ومن هذه؟ قم بواجباتك يا ماركوس.»

قال ماركوس: «اليكس تساعدني في الاهتمام بالجوادين خلال الرحلة. اليكس ليوارد... تُعرف أيضاً بساندي.» وعادت نظرات الحقد لترتسم في عينيه الحادتين عندما نظر إلى اليكس قائلاً: «تيموتي هيوجز، صديق قديم من أيام الدراسة.»

قال تيم وهو يصافح اليكس بحرارة: «مرحبا، يا ساندي. يسرني أن القاك.»

«مرحبا. لكن أخشى أن لا أحد من اصدقائي يناديني ساندي هذه الأيام. اني ادعي اليكس لكل من يهمه الأمر.»

قال تيم: «ليكن اليكس. إذ يبدو انكما تعرفان بعضكما منذ زمن بعيد.» ونظر إليهما نظرة يغمرها الاهتمام.

قال ماركوس ببرود: «يمكنك القول ان أشياء قديمة تجمعنا.» ونظر حوله ثم أضاف: «حسناً، اين الجميع؟ انك لا تدير المكان بمفردك أليس كذلك؟»

أجابه: «لا، هناك المجموعة المعتادة هنا، لكن هناك الكثير من الغرف الشاغرة للجميع. ابنة عم كريستين وزوجها واولادها من نانتيز معنا، لكنهم سيغادرون غداً. جان بول شقيق كريستين. سيبقى هنا لاسبوع آخر. لقد ذهبوا جميعاً إلى رون لقضاء فترة بعد الظهر، لكن التعليمات حول تقسيم الغرف قد تركت مع آلبرتين. ان قدت عبر الحديقة نحو الاسطبلات يا ماركوس، يمكنك أن ترشد اليكس نحو المطبخ حيث آلبرتين، ثم توجّه إلى الاسطبلات وسألقاك هناك. إنني متشوق لرؤية هذه الحيوانات التي تنقلها معك.»

قال ماركوس وهو يصعد إلى الرينج روفر ثانية: «هناك قصة صغيرة حولهما لكني سأخبرك بها لاحقاً.»

فيما قاد الرينج فوق الجسر إلى داخل الحديقة، قال لأليكس بلهجة خاصة ابقاها لها: «قطعنا أول عقبة. على الأقل وجود رفقة معنا يخفف من التوتر قليلاً.»

قالت ببرود: «نعم. معرفة ذلك كان امراً مريحاً جداً.»

سكت لوقت كاف حتى يصل إلى آلبرتين التي خرجت للقائهما، وهي تمسح يديها الملأى بالطحين بمنشفة، ثم تركها مع مدبرة المنزل، قائلاً إنه سيحضر المتاع لاحقاً.

كانت آلبرتين امرأة بشوشة قطعت منتصف العمر، وهي في واقع الأمر ترغب في العلاقات العملية، الأمر الذي كانت

اليكس تواجهه عادة في المناطق الريفية. وقد زادت لهجتها الانجليزية الانطباع الفظ الذي ظهر مع سؤالها الأول.

قالت: «اسمحي لي يا سيدتي أن اسألك. أنت والسيد مارك حبيبان أم صديقان؟»

«لا هذه ولا تلك في الواقع، اننا رب عمل وأجير. رغم أننا نعرف بعضنا قبل الشروع في هذه الرحلة.»

قالت آلبرتين: «حسناً. إذاً أنتما ترغبان بغرفتين للنوم؟»

«بالتأكيد» قالتها اليكس موافقة مع تشديد جعل المرأة الفرنسية تضحك.

كانت الغرفة التي ارشدت إليها اليكس على الجهة الخلفية من المنزل الريفي وافترضت أنها تطل على باحة الاسطبلات، لأنها استطاعت سماع صوت ماركوس وتيم وهما يتحدثان في الأسفل.

اظهرت آلبرتين بوضوح مكان تعليق الملابس في الخزانة ذات النقوش الجميلة والمصنوعة من خشب السرو، وأشارت إلى المناشف الموجودة على مشجب المناشف القديم الطراز، وقلبت بنشاط زاوية شرشف السرير الأبيض المطرز وفتحت أخيراً مصراعي النافذة لتدخل اشعة الشمس وتنعكس على السجادة الصينية القديمة الصنع المزدانة بألوان الخريف الدافئة، ثم خرجت قاصدة الطابق السفلي وهي تقول: «إن كنت تريدين شيئاً آخر، اطلبيه من فضلك!»

اقفلت اليكس الباب وجلست مذهولة على كرسي محفور ذي ظهرٍ عالٍ وهي ما زالت تعاني احساساً غريباً من الطرقات المنبسطة أمام عينيها، والذي غالباً ما تخلفه

الرحلات الطويلة. كم هو جميل ان تحظى بمكان خاص بها.

عندما قرع بابها بعد لحظات قليلة واعطاها حقائبها بوجه متجهم، رفضت العرض الذي حمله إليها لتناول فنجان من الشاي، قائلة انها متعبة وأخبرته بأنها تفضل أخذ حمام مريح قبل العشاء. اعاد تذكيرها بأن تتظاهر بالبهجة ثم استدار وغادر المكان دون أن يتلفظ بأي كلمة أخرى.

بعد ان استحمت، استلقت اليكس على سريرها لفترة قصيرة، تفكر في الوضع الذي وجدت فيه نفسها فوجدته مقيتاً. بعد وقت قصير نهضت لترتدي ثيابها.

ارتدت بلوزة حريرية طويلة فضفاضة خضراء اللون وسروالاً ضيقاً اسود، وعقصت شعرها إلى الوراء بشال مخطط باللونين الأسود والأصفر الفاتح يتناسب وملابسها، وانتعلت حذاء باليه خفيفاً في قدميها.

غار قلبها في صدرها عندما فتحت باب غرفة نومها لتهبط الدرج إلى الطابق السفلي. وفكرت في مواجهة عيني ماركوس الحاقدتين من جديد.

لم يكن هناك شيء لتخشاه في الوقت الحاضر، فقد نهض تيم، وليس ماركوس لملاقاتها وليرافقها في جولة إلى حيث تجمع الآخرون على المصطبة الغربية.

كانت كريستين شابة سمراء ذات عينين بنيتي اللون ووجه ذي ملامح نكية ومتقلبة. رحبت باليكس بحرارة وسألتها إن كانت قد حصلت على كل ما تريده بطريقة اظهرت بكل معنى الكلمة بأنها مضيفة مثالية. شرح ريمي، ابن عم كريستين، بلغة انكليزية وافية بالغرض أن زوجته ما زالت في الطابق العلوي تحضر الطفلتين لتصبحا جاهزتين

للذهاب إلى السرير قبل أن تحضرهما لتناول العشاء. ثم قدم تيم معرفاً بجان بول شقيق كريستين الأصغر.

رأت اليكس أن جان بول يملك جاذبية كبيرة جداً، عندما حثّها على تذوق شراب جديد ومن ثم رافقها إلى حيث طاولة توضع عليها انواع من الشراب. كان اسمر البشرة مثل كريستين وعيناه تنظران بتمعن لدرجة الاعجاب، إلى اليكس. لقد رحبت بالتغيير. أخبرها أنه يعمل في شركة عالمية ويمضي فترة لا بأس بها في المكاتب البريطانية. وطالما أن تيم وماركوس وكريستين كانوا غارقين في تذكر الماضي، اقترح أن يتمشيا في الطبيعة ولم يكن عند اليكس أي مانع للهرب من جوار ماركوس. دعا ريمي للذهاب معهما لكنه قال انه مشى كثيراً اليوم.

سنح الوقت لماركوس ليهمس لأليكس بينما كانت تمر إلى جانبه بعد أن عادا هي وجان بول من نزهتهما القصيرة قائلاً: «أرى أنك قد شفيت من تعبك.»

قالت اليكس وهي تبتسم بلطف: «نعم، إنه لمن المدهش كم يمكن للرفقة أن تكون منعشة وسارة.»

توقفا عن تبادل المزيد من التعليقات السخيفة. عندما ظهرت تيريز، زوجة ريمي مع الطفلتين لتلقي التحية على الجميع وعلى كريستين، تقريباً في الوقت ذاته قائلة: «إلى الطاولة، جميعكم.» تحرك الجميع بغير انتظام الأمر الذي ادى إلى انفصال اليكس وماركوس مرة ثانية حيث وجدت نفسها تجلس بالقرب من جان بول إلى الطاولة، وماركوس يجلس على الجهة المقابلة.

دارت المحادثة حول تعليم الفتاتين الفرنسية والانجليزية

الأمر الذي تحدث عنه كل الراشدين بكفاءة. كانت المحادثة مثيرة ووجدت اليكس نفسها تشعر بالاسترخاء.

كانوا قد بدأوا يتناولون الحلوى عندما احنت كريستين رأسها إلى الأمام لتتمكن من رؤية اليكس، وبعد أن رمقت ماركوس بنظرة سريعة قالت: «اخبريني، يا اليكس ما رأيك برجل لا يجد صعوبة في التفكير اطلاقاً بالذهاب إلى الكامارغ لمجرد أن يشتري حصانين؟ الا تعتبرينه متهوراً؟»

وفكرت اليكس، يجب ألا اقول شيئاً يظهر أني اعتقد أن زوجته مدللة جداً وابنته قد أفسدت. قالت: «اعتقد أن ذلك يظهر مدى اهتمامه بزوجته وعائلته.» ساد صمت ملأته الحيرة، ثم اتجهت العيون نحو ماركوس.

سألته كريستين: «ماركوس، ماذا أخبرت هذه الفتاة؟»

أجابها: «لا شيء، صدقا. أخشى أنها تملك ميلاً إلى القفز نحو النتائج. إنني تركتها فقط تصدق افتراضها أن لدي زوجة مدلّلة، متطلبة تدفعني إلى إشباع رغباتها.»

اعطت موجة الاحتجاج المهذب اليكس وقتاً لكي تتغلب على صدمتها وارتباكها، وانتظرت لكي تخفت الأصوات قبل ان تقول له عبر الطاولة: «إذاً يا ماركوس، إنك تحقق رغباتك، لا رغبات الآخرين.»

لاقت كلماتها هذه موجة من الضحك، وتمتم جان بول قائلاً برقة: «احسنت!»

تقبّل ماركوس الأمر بشكل جيد، كما الآخرون، وأخذ يضحك معهم. لكن اليكس شعرت أنه ينظر إليها بينما تابع الجميع تناول طعامهم، وعرفت أن هذه البهجة الظاهرية تخفي شيئاً آخر تستطيع هي فقط قراءته بسهولة كبيرة في

اعماق عينيه. ركزت اهتمامها على جان بول، الذي جعل بالتأكيد ذلك بالنسبة إليها امراً ساراً جداً.

سألها: «هل تعرفين هذه المنطقة من فرنسا جيداً؟»

أجابته اليكس: «إني بالكاد أعرفها. لقد امضيت بعض العطلات في بريتاني، وفي الجنوب، لكني أخشى أن النورماندي هي جزء من القسم الكبير الذي لا اعرفه.»

قال بجاذبية: «إذاً يجب أن نعالج ذلك. ربما ترغبين بنزهة في السيارة في الغابة قبل أن يهبط الظلام؟ اعرف أنك امضيت معظم النهار على الطريق، لكن قيادة متمهلة بين الأشجار بسيارة مكشوفة والريح تداعب شعرك، يجب أن أقول شعرك الرائع. سيكون ذلك بهيجاً، ألا تعتقدين ذلك؟»

رأت اليكس أن ماركوس قد لاحظ لهجة الحديث الحميمة، وشعرت بموجة من البهجة لأن رجلاً آخر قد يجدها جذابة بهذا الشكل العلني. قالت مؤيدة الفكرة: «تبدو هذه فكرة جميلة.»

قال: «إذاً، دعي الأمر لي.»

نادى جان بول ماركوس عبر الطاولة قائلاً: «ماركوس، يا عزيزي، انك لا تمانع أن اخذت اليكس لفترة قصيرة، أليس كذلك؟ أريد أن أنتهز الفرصة لكي أعرّفها على غابة الزان الجميلة التي عندنا.»

أجاب ماركوس برقة، قائلاً: «يا لها من فكرة جميلة، لكني آسف، أنا واليكس لدينا عمل يجب أن نقوم به. يجب تنظيف الجوادين والعناية بهما ووضعهما في مكانهما.» نظر إلى اليكس وأضاف: «قد تخدعك بمظهرها المتأنق، لكني أخشى القول انها فتاة عاملة.»

قال جان بول بلهجة ودودة: «يا لك من مناظر، يا ماركوس. لكن حتى الفتيات العاملات يسمح لهن ببعض الراحة. سنؤجل نزهتنا حتى تنتهي.» ورغم ذلك، قال برقة لأليكس، عندما تحول انتباه ماركوس نحو مكان آخر: «هل هذا الرجل غيور من اهتمامي بفتاته العاملة، هل تعتقدين ذلك يا عزيزتي اليكس؟»

قالت اليكس بسرعة: «بالتأكيد لا!»

قال لها جان بول: «إذاً، إن لم تكن غيرة، فانه سيء الطباع جداً. ما كان عليه أن يمنع نزهتنا القصيرة. غداً، عندما لا يكون عليك الاهتمام بجواديه الثمينين، سنفر هاربين. موافقة؟»

قالت: «إني متأكدة انه يمكنني القيام بذلك، وإني ارغب بذلك كثيراً.» وعاود ماركوس ثانية النظر إليها بعينيه الحاقدتين، فأضافت بسرعة: «والآن من الأفضل أن اذهب وابدل ملابسي، ان هذا الوقت يكاد بصعوبة أن يكون مناسباً للعمل مع حيوانات ذات القوائم الأربعة.»

قال لها جان بول: «بالتأكيد لا.» ضحكت له، ثم استأذنت وصعدت إلى الطابق العلوي لتبدل ملابسها.

وحالما ابتعدت عن الآخرين، استطاعت أن تطلق العنان لمشاعرها ناحية ماركوس. اللعنة على كل شيء، لو ان الحقيقة قد اعلنت. وتألمت بانزعاج للطريقة التي حاول بها عن عمد جعلها تبدو حمقاء على طاولة الطعام، وقد شعرت بتعزية بسيطة للطريقة التي استطاعت أن تقلب الوضع عليه.

أما فيما يتعلق بحكايته الخيالية عن الجوادين وضرورة تنظيفهما والاعتناء بهما، فليست سوى خبث بكل معنى الكلمة، لقد اعتقد أن هناك املاً في أن تمضي ساعة أو

نحوها من البهجة مع جان بول، فتدخل واحبط الفكرة.

ارتدت قميصها وسروال الجينز ثانية، وتوجهت نحو الاسطبلات. فدفنت وجهها في عنق ميسترال، تاركة مداواة الجواد الدافئة تذيب بركان الغضب في داخلها، ثم تنهدت وبدأت تمشط شعر الفرس بالمحسّة.

لم ترفع نظرها عندما سمعت وقع اقدام ماركوس يدخل إلى الاسطبلات متوقعة أن يذهب مباشرة إلى مربط لاسكو، لكنه بدلاً من ذلك ظهر واقفاً إلى جانبها. قال باقتضاب: «سأحقن ميسترال بدوائها إن كان في استطاعتك التوقف للحظة.»

تراجعت اليكس إلى الوراء دون أن تتكلم.

تعامل بصمت بسرعة ومهارة في معالجته للجواد، لكن عندما استدار التقت عيناه بعينيها. سألها بسخرية: «أتشعرين بقساوة في تصرفي نحوك؟»

قالت: «بالتأكيد لا.» وعادت إلى تمشيط الفرس بالمحسّة.

قال: «أليس هناك ما يزعجك إذاً؟»

قالت: «ليس هناك ما يستحق أن اضيّع الوقت عليه.»

وضع يده في طريق المحسّة وقال: «إني اشتري وقتك. أنا أقرر ما يشمل مضيعة الوقت.»

انتصبت ثانية، وقالت بلهجة مؤذية كلهجته: «اعتقد أنك اظهرت من دون ريب أنك الرئيس. من يستطيع ان يشك في ذلك بعد هذه الليلة؟»

طوى ذراعيه وأخذ يحدق بها، وقد ظهر في عينيه الرماديتين الحادتين بريق رضى وقال: «إذاً، لقد كنت على حق. لقد امتعضت لأنك لم تمض وقتاً مرحاً مع جان بول.»

قالت بصوت عميق: «لك كل الحق أن تقرر تماماً متى يجب أن تنظّف الجياد، حتى وإن كانا قد نظفا تماماً هذا الصباح. لكن الشيء الذي اعتبره غير اعتيادي هو تظاهرك بأنك متزوج حتى تتمكن من ارباكي علانية. هل تعتقد حقاً أن ذلك كان ضرورياً؟»

أجابها موبخاً: «بقدر ضرورة قفزك إلى الاستنتاج أن لدي زوجة. كنت قد سئمت من افتراضاتك في ذلك الوقت. لقد استخدمتك بسرعة في هذا المنصب...»

قاطعته اليكس قائلة: «هذه الفكرة لن تستمر طويلاً.»

إلا أنه تابع متجاهلاً مقاطعتها له قائلاً: «الذي قد اقصيتك عنه لأنك تملكين براعة تجعلك تسقطين عن صهوة الجواد عندما يجفل ويثب، وتملكين ما هو محبب اكثر من ذلك كله، استنتاجك أن لدي زوجة متطلبة. لقد تركتك تعتقدين ذلك. ربما فكرة زواجي الخيالية قد تجعلك تشعرين بأمان اكثر.»

نظرت إليه بحقد وقالت: «أو أنت. رغم أنك كنت تقريباً تحت تأثير سوء الفهم بأني سوف ارمي بنفسي عليك.»

ابتسم ابتسامة باردة وقال: «عدا عن مرحك اني اتساءل بشأن تلك النقطة. لكن ذلك تحوّل ليكون سخافة وليس مكيدة.»

قالت: «استطيع أن أرى الآن، بإعادة النظر في ما حصل، وبعد هذا الإدراك المتأخر للحقيقة، انك فعلياً لم تذكر قط أي شيء عن الزوجة التي اعتقدت أنها لديك. كان عندك كلام أكثر لتقوله عن موضوع ريبيكا. لمجرد الحصول على معلومات صحيحة، هل هي موجودة فعلاً؟»

اكفهّر وجهه وقال: «إنك تعرفين جيداً أن ريبيكا موجودة. لا تتلاعبي على ذلك الموضوع.»

أجابته اليكس: «هل أنت الوحيد المسموح له أن يتلاعب بالأمور، إذاً؟ إن كانت قصة زواجك هي خرافة فلا تلومني لأني أتساءل بشأن أبوتك ايضاً.»

قال: «إني لم أدّع الابوة قط. إن كنت تريدين أن اقول الحقيقة على نحو غير ضروري فسأفعل. ريبيكا هي ابنة أخي. لقد توفي والداها لذا فهي بمثابة ابنتي. ولا اعتقد ان بعض التدليل هو في غير محله في ظل الظروف الراهنة.»

أجابته اليكس باستهزاء: «ليس إذا كنت تتخيل أن الهدايا المادية تستطيع أن تحل مكان ما فقدته.»

صرخ بوجهها قائلاً: «لقد كنت اخبرك بذلك، ولم اكن اسألك رأيك به. إنك دائماً جاهزة بأجوبتك الذكية. أليس كذلك أيتها الآنسة التي تعرف كل شيء؟ يوماً ما سيجعلك رجل ما تكفين عن الكلام هكذا!»

قبل أن تتمكن من التحدث قبّلها. وادركت اليكس جيداً ماذا كان يفعل. في اللحظات الأولى من الاستياء اللاذع كان يحاول أن يسوي بسيطرة رجولية حقيرة وضعاً لم يكن حله بمفرده بالسهولة التي يتمناها. وحاولت للحظة عنيفة مقاومة أن تبعده عنها. لكن ما بدأ غضباً اتخذ فجأة اتجاهاً وتحركاً خاصين. فقد تحول الظلم إلى انفجار من العاطفة شديدة الاتقاد. حركت اليكس يديها كي تبعده، لكن لمرة واحدة فقط، حيث تجمدت بعد ذلك فوق دفء كتفيه فيما توقف وابعدها عنه ليحدق في عينيها المنبهرتين. بدا وكأن ما من أحد منهما سيتحرك، إنما بعد ذلك قبلها ثانية، اخذت يداها تنزلقان تلقائياً حول عنقه. ولم تعرف إن كانت كلمة لا المخنوقة التي تلفظت بها تعني، لا تفعل هذا، أو لا

تتوقف عن فعل هذا. كان كل ما عرفته أن الارادة، الحس والاستقلالية على ما يبدو قد هجروها، وشعرت عندما أفلتها انها ضعيفة كقطة صغيرة.

قال لها: «من المؤسف اني لن أكون موجوداً لأخبر ذلك المسكين كم يستطيع بسرعة أن يسوّي مسألة سكوتك.»

نظرت إلى وجهه الصارم العدائي، وروعتها فكرة أن كل تلك العاطفة الجياشة العنيفة يمكن أن تكون من قبلها هي. أي نوع من النساء هي، لأن تغرق تحت تأثير هكذا مشاعر نتنة لأي رجل؟ انحنت وأخذت بانفعال شديد تجمع كل معدات تنظيف الجياد.

سألها: «إنك على عجلة، أليس كذلك؟»

أجابته: «إني اضع هذه الأشياء في مكانها. فليس في نيتي البقاء هنا معك. سآتي في الصباح الباكر غداً واقوم بذلك حيث تكون فرص الازعاج أقل.»

اتجهت نحو الباب، إلا أنه سد عليها الطريق وقال لها: «لا تستطعين الذهاب الآن. من المفترض أنك تعملين، أتذكرين؟ إن كنت ما زلت محتدّة لأنك اضعت قليلاً من العبث مع رجل فرنسي نكي، سوف اجوب بك حول غابة ليونز بنفسي.»

قالت والكلمات تكاد تخنقها: «وفي الحال سأقذف بك في الخندق المائي.» ثم، ودون أن تعي، مرت من تحت ذراعه لتهرع إلى غرفتها.

الفصل السادس

دخلت كريستين إلى الاسطبلات في اللحظة التي كانت فيها اليكس تنهي تنظيف الأشياء في اليوم التالي.

قالت: «آوه!» وقد شددت على حرف العلة بلهجة فرنسية شفوقة وتابعت قائلة: «الفتاة المسكينة! لقد أرغمها على العمل ليل نهار ذلك المسخ ماركوس!»

ابتسمت اليكس وقالت: «ليس تماماً. انني أنهي فقط ما تبقى من عمل ليلة الأمس.»

أمضت كريستين وقتاً طويلاً في الانتظار تتحدث حتى انتهى تنظيف الأشياء، ثم دست ذراعها في ذراع اليكس بينما كانتا تسيران باتجاه المدخل الرئيسي.

قالت: «يجب ألا تأخذي كلامه على محمل الجد، هذا الرجل الذي حاول أن يخادعك على طاولة العشاء مساء أمس، قد يتصرف مثل شخص أخرق صلب، انما في داخله شخص آخر طيب جداً سواء صدقت ذلك أم لا.»

أعطتها اليكس جواباً مبهماً، لكنها شعرت انها تعرف ماركوس أكثر بكثير مما تعرفه كريستين.

كان هناك، عندما وصلتا إلى غرفة الطعام، ينتظر لتناول الفطور، وقد بدا عسكرياً صارماً بقميصه وسرواله الكاكي اللون وبريق الشمس يلمع على رأسه الجميل. قبّل كريستين على خديها، وألقى تحية الصباح باتجاه اليكس، إلا انه أبعد عينيه بسرعة عن عينيها.

ذهبت كريستين إلى المطبخ، وقد تركتهما معاً. سألها ماركوس ببرود: «كيف حال ميسترال هذا الصباح؟»

أجابته: «أعتقد انها تبدو أفضل حالاً.»

قال لها: «اذاً سوف نعطيها تمريناً خفيفاً. ان لاسكو يحتاجه بالتأكيد، والأرض هنا سهلة كفاية. أتريدين قهوة؟»

عادت كريستين وهي تحمل في يدها سلة ملأى بالفطائر الطازجة من الفرن، وعندما انتهوا من تناول الطعام، عاد ماركوس واليكس إلى الاسطبل مباشرة.

كان الجواد الصغير سعيداً لتعافيه، وأخذ يتمخطر بفرح على خطى لاسكو. لم يكن الكلام ضرورياً بينهما فيما كانا يتبعان الممرات الهادئة عبر الغابة. فقد جعل غناء العصافير، وأشعة الشمس المرقطة، الجو لطيفاً نوعاً ما، وعادا إلى الاسطبل دون أن يتبادلا أي كلمة تقريباً.

كان ماركوس هو الذي كسر الصمت أخيراً، بينما كانا يعلقان الأسرجة. قال: «أرى انك نظفت العدة.»

أجابته: «قلت اني سأفعل ذلك.»

قال: «سامحيني ان لم أكن مستعداً للافتراض ان القول والعمل مرتبطان في عائلتك.» وربت على ظهر ميسترال مهنئاً ودون أن يمنح اليكس وقتاً لتجيبه أضاف: «لقد تحملت الامتطاء جيداً. ذلك أمر يجب أن تشكر عليه.»

قالت له ببرود: «لقد سرّت بذلك أكثر مني.»

«إذاً ستكونين ممتنة لتسمعي اني لا أنوي امضاء مزيد من الوقت معك اليوم. لقد طلب مني تيم أن أرافقه لنرى اعادة ترميم منزله، قصر ايبرت. سنكون غائبين لمعظم النهار. ستتمكنين من ايجاد شيء تقومين به دون ريب.»

فسألته عن غير قصد: «يوم عطلة؟»

قال: «ان ذلك يعني الآن، نعم.»

«في هذه الحالة، فإني على الأرجح سأقبل العرض الذي قدّمه لي جان بول مساء أمس.» بدت على وجهه نظرة راعدة.

قال ببرود: «ربما جان بول عنده أشياء أخرى ليقوم بها.»

قالت: «ان كان عنده ما يقوم به، فسوف يقول ذلك. لكنه بدا مساء أمس متلهفاً جداً ليؤكد لي انه سيرافقني في النزهة التي وعدني بها في وقت لا يتعارض مع عملي عندك. ومما قلته لي الآن، يبدو ان اليوم سيكون مناسباً.»

قال بسرعة: «طالما انك لا تجعلين من نفسك انسانة مزعجة جداً.» غادرت الاسطبل بسرعة وسمعت صوت شيء ارتطم بباب الاسطبل مصدراً صوتاً قوياً بعد ما ابتعدت بضع خطوات فقط. شعرت اليكس بنوع من الرضى الآثم وتمنّت لو أن الذي رماه يكون قد ارتد إليه وارتطم به.

قصدت كريستين التي قالت ان جان بول لم يظهر بعد، لكنها على وشك ان تأخذ له القهوة وستطلعه ان اليكس تريد التحدث اليه.

قرع جان بول على باب غرفة نومها، بعد ان أنهت حمامها وكانت ترتدي الثوب الفضفاض الذي أعطتها اياه كريستين. انحنى على عضادة الباب فيما عيناه تتفحصانها بدقة.

«خلابة!» كانت أول كلمة تلفظ بها، أتبعها بسرعة بقبلة على كل خد، ثم أضاف بتعبير بارع: «في فرنسا يحيّي الواحد منا الآخر هكذا.»

سألته بلهجة ساخرة: «هل تفعلون ذلك حقاً؟ اعتقدت ان هذه بلاد التصافح بالأيدي.»

قال: «اننا نفعل أشياء أخرى بالأيدي.» وأمسك باحدى يديها ورفعها برقة إلى شفتيه، وعيناه تلمعان باحتيال كان من المستحيل اخفاءه.

قالت اليكس بأناة: «أتوقع ان عندك هدفاً آخر لتقرع على بابي. أكاد لا أستطيع التفكير بأنك هنا لأنك شعرت فجأة بدافع لتعلن عن مائة طريقة مختلفة في التحية.»

قال: «بالطبع. لقد أعلمتني كريستين انك ترغبين برؤيتي. ألن تدعيني للدخول؟»

قالت: «نحن في انجلترا لا ندعو رجالاً غرباء للدخول إلى غرف نومنا اطلاقاً.»

ضحك وأظهر عدم تصديقه عندما قال: «ماذا؟ اطلاقاً؟»

قالت: «حسناً، قلما يحصل ذلك. ولا يحدث ذلك بالتأكيد ان صدف وكانوا رجالاً فرنسيين جموحين.»

قال: «كم أنتم معشر الانجليز غريبو الأطوار! إذاً! هل سيسمح لنا بالهرب لليوم؟ هل رقّ قلب ماركوس؟»

قالت: «حسناً... لقد منحني يوم عطلة.»

سألها: «وماذا ترغبين أن تفعلي اليوم؟»

أجابته: «أي شيء تقترحه.»

قال: «هذه الفتاة تلعب لعبة المصادفة!»

نظرت اليكس اليه نظرة حازمة وقالت: «أي شيء تقترحه من البرنامج السياحي المحلي، هذا ما قصدته، قلت انك ستريننى النورماندي. هذا ما أرغب القيام به.»

قال: «إذاً هذا ما سنقوم به. واني أعدك بامضاء وقت ممتع. بعد ربع ساعة؟ لأتناول فنجان قهوة فقط؟»

قالت اليكس: «سأكون جاهزة.»

كانت جاهزة بعد عشر دقائق، وقد ارتدت ثوباً قطنياً سويسري الصنع وقرطين ذهبيتين، ووضعت لمسات من الزينة على وجهها، وعطر وايت لينين.

كان آخر شيء تريده هو الارتطام بماركوس وهي تنزل الدرج. لكن هذا ما حدث بالفعل. توقف، قاطعاً الطريق عليها. ونظر إليها نظرة محارب وهو يتمعن بمظهرها جيداً. سألها: «هل أفهم من مظهرك أنك ستقومين بنزهتك؟»

سألته بتهذيب: «هل هناك شيء آخر تريد مني القيام به؟»

«من الجيد ان تسوية الأمر معك لا يتطلب وقتاً كثيراً.»

احتفظت اليكس برباطة جأشها، وقالت له: «حسناً. ان كنت قد أنهيت كلامك. فاني أتمنى لك نهاراً جيداً.»

أمسك ذراعها بحركة سريعة وبسرعة جعلها تتجه صعوداً ثانية. قال: «ليس بهذه السرعة. أريد أن أتكلم معك.» وفتح باب غرفتها ودخل إليها ثم أقفل الباب وراءه.

قالت بجفاف: «من الجيد ان جان بول لم ير هذا. لقد كنت أقنعه للتو أن لغرف النوم حرمتها.»

قال بتجهم: «انها قصة له.»

قالت: «آه، لقد حصل ذلك دون جدل. انه لا يخيفني أكثر منك.»

قال: «ان كنتِ على استعداد لتأخذي تحذيراً، فاني لا أنصحك أن تطلقي العنان لجان بول. لقد سمعت خلال السنين الكثيرة حول طاقته الناشطة جداً. لا...» رأى انها كانت على أهبة الاحتجاج، فرفع يده المستبدة ليسكتها وتابع قائلاً: «اسمعيني، هلاّ فعلت؟ جان بول هو الأصغر، هو طفل العائلة، لقد دللته وأحبته كثيراً كل قريباته طوال

حياته المذهلة، وليس فقط قريباته. عنده فكرة فيما يتعلق بأية امرأة، انه يأخذ ما يريده.»

سألته ببرود: «هل تعني انه يفكر في الدخول معي بسرعة إلى أقرب فندق في مكان ما ويوسّع مضمار العلاقة؟»

«ان أردت أن تظهري الأمر بهذا الأسلوب غير المهذب.»

قالت: «لِمَ لا؟ انه اقتراح غير مهذب، أليس كذلك؟ لا فائدة من وضعه في كلمات جميلة.»

قال باقتضاب وفظاظة: «كنت أنوي فقط أن أخبرك أن ما قد تعتبرينه صداقة طبيعية قد يساء فهمه مع شخص من نشأة مختلفة. ما كنت أريد لأي أحد أن يقف في موقف حرج، هذا كل شيء. وأنت رغم كل شيء...»

أنهت جملته بنوع من الضجر: «مسؤوليتك. أنظر، يا ماركوس لا تعاملني كطفلة في مدرسة حضانة. لا أريد أن يعتني بي أحد، أقلّهم أنت، أما فيما يختص بهذا النهار فإني لا أرى حاجة لذلك. اننا سنقوم بمشاهدة بعض الأماكن هذا كل شيء. اني لا أعتقد ان جان بول يفكر في أن يشدني من شعري ويسحبني إلى أقرب كهف. كما اني لا أعتقد انه من النوع الذي يفرض نفسه على شريكة لا تريد ذلك.» قالت جملتها الأخيرة وفي عينيها نظرة تحد تعكس ذكرى واضحة لتصرف ماركوس في الليلة السابقة.

أجابها بسخرية لاذعة: «ماذا عن شريكة قد تبدأ غير راغبة بذلك انما تغير رأيها بسرعة مدهشة؟»

قالت: «أعتقد ان ذلك شأني.»

قال: «كالمعتاد عقلك منغلق على أي اقتراح لمصلحتك.»

قالت: «لا، أبداً. أنت أكّدت على أن تكون علاقتنا جيدة مع

مضيفينا. وأنا قبلت العرض للخروج بنزهة مع شقيق مضيفتنا. كم يسعني أن أكون أكثر لطفاً وطاعة وانفتاحاً، هل لي أن أعرف؟ جان بول ليس سائقاً مجهولاً وهو ليس بغريب التقيته في الريف المهجور. انه رفيق جذاب جداً ومثير للبهجة. والآن، ان كنت لا تمانع يجب أن أذهب، انه ينتظرني. لا تقلق. اني متأكدة اننا سنمضي وقتاً رائعاً.»

خرج جان بول من غرفة الطعام فيما وصلت هي إلى الردهة. قال مظهراً استحسانه لثوبها: «آه! يا حلوتي! وتنتعلين حذاء مناسباً للسير أيضاً.»

سألته اليكس: «هل تعلم كريستين اننا ذاهبان الآن؟»

قال: «نعم، لقد أخبرتها. لقد نلنا موافقة رسمية! إذاً، دعينا نذهب يا آنسة.»

كان مسلياً، فاتناً وواعياً تماماً حتى منتصف بعد الظهر في رون، عندما أفسح المجال لما أسماه دافعاً لا يقاوم وقبّل اليكس فجأة عندما كانا ينظران إلى نصب جان دارك.

سألت اليكس نفسها، بماذا أشعر؟ وكان الجواب، لا شيء. كانت قبلة كملايين القبل الأخرى، ورغم ان جان بول كان خبيراً دون ريب في فنون الحب، الا انه لم يضىء أية شرارة صغيرة من التوهج الخجل الذي فجّرته لمسة ماركوس في داخلها الليلة الماضية.

أحس جان بول بموقفها بسرعة.

فيما كانا عائدين إلى السيارة سألها: «هل أنت غاضبة؟»

امسكت بيده وضغطت عليها قائلة: «لا. ابداً! كيف يمكنني أن اكون كذلك، فيما أنت تمنحني يوماً ممتعاً!»

قال: «إذاً فأنت لست غاضبة، لكنك لست سعيدة ايضاً. لا

تنكري ذلك، يا صغيرتي. إنني خبير عندما يتعلق الأمر بحرارة القبلة.»

ضحكت اليكس ضحكة معترضة قائلة: «ما زال الوقت مبكراً قليلاً للتحدث عن السعادة. لقد التقينا لتونا فقط.»

«ليس لذلك علاقة بالأمر ان وجد السحر، فالوقت والظروف لا معنى لهما. لنفترض أن ماركوس الآن...»

قالت بلهجة هازئة تماماً: «ماركوس! انه لا يتحملني.»

نظر إليها بمعرفة وقال: «عندما تعترض سيدة بهذه القوة، يعني ذلك ان هناك شيئاً ما في الجو.»

قالت: «لا شيء سوى كراهية مباشرة. إن عائلتينا على عداوة مستمرة منذ ثلاثة اجيال.»

«وما دخل العائلات بما يحدث بين رجل وامرأة؟»

أجابته: «صدقني يا جان بول! إننا نتقاتل طوال الوقت كالهر والكلب.»

قال: «ذاك هو!» وكأنها برهنت تلك النقطة بشكل لا يقبل الجدل. وتابع قائلاً: «الحب والكره مشاعر متقاربة جداً. الحب واللامبالاة لا يمكن أن يكونا ابعد بكثير. لا تقولي لي انه لم يقبلك قط. كيف يمكنه مقاومة ذلك؟»

عندما خطر لها ما حدث الليلة الماضية انقدت اليكس احمراراً. قال ليثير غضبها: «أرى أنك تعرفين اكثر مما أنت على استعداد للافصاح عنه. تعالي لنتناول بعض الشاي الذي تحبونه أنتم معشر الانجليز، وحدثيني عن عائلتكما والخلافات...

أفسحت اليكس المجال لدافع التحدث إلى شخص ما، وعندما انتهت من إعادة القصة المؤسفة بين ماركوس وايلين تراجع جان بول على كرسيه متجهماً.

قال: «ذلك لا يبدو اطلاقاً ماركوس الذي اعرفه وعرفته لعدة سنوات.»

سألته: «إذاً ألا يظهر ذلك كم هو مستاء كلياً ليعرف أنه قد خُدع مرة أخرى من قبل فرد من عائلة ليوارد.»

نظر إليها بعطف، وقال: «لقد وضعت نفسك في موقف صعب على ما يبدو، يا حلوتي اليكس.»

قالت له بقوة: «لا! ألم أقل لك للتو كم من الصعب أن يكون هناك شيء بيني وبين ماركوس سوى الكره؟»

امسك بيدها، وطبع على كفها قبلة، وقال لها: «حسناً جداً، يا صغيرتي. أنت لست مغرمة به اطلاقاً، إن كان هذا يبهجك. لننسى الآن هذا الموضوع ونتمتع بوقتنا ثانية.»

كان الوقت متأخراً عندما عادا إلى المنزل بعد ما تناولا العشاء في مطعم على جانب النهر في لي آنديلي، جلسة ساءت عندما جمعت عاصفة الغيوم في السماء واثارت تلاطم الامواج في مياه النهر.

كانت آلبرتين وحدها في المنزل. لقد غادر ريمي وعائلته إلى منزلهم خلال النهار، أما الآخرون فقد ذهبوا إلى مقهى الصوت والضوء الذي يبعد بضعة أميال.

ذهبت اليكس لتفحص الجوادين، رغم أن آلبرتين أصرّت انهما قد أُطعما، وان ميسترال قد اعطيت حقنتها المسائية. وبينما كانت عائدة، فتحت السماء قِرَبها. خالجها شعور بالرضا الخبيث عندما خطر لها أن ماركوس سيتبلل في مكان ما في هذا الليل المظلم. استأذنت وصعدت إلى غرفتها، تاركة جان بول يشاهد فيلم آخر السهرة على التلفاز.

عندما أوت إلى فراشها. استدارت ودفنت وجهها في

الوسادة، غارقة في مجموعة من الافكار القلقة.

استيقظت على صوت رعد عنيف لم تسمع مثله في حياتها قط. لا بَد أن العاصفة في ذروتها. جلست في فراشها ورأت وميض البرق اللامع من خلال شقوق مصراعي النافذة. توالى قصف الرعد وكان هناك صوت أزيز خافت، قريب ومخيف لسقوط الاسلاك الكهربائية على الأرض.

الجوادان! لا بد أنهما خائفان.

زحفت اليكس من سريرها وركضت نحو الباب، وهي تلبس الثوب الفضفاض الحريري فوق بيجامتها المزخرفة برسم فأرة. كانت أبواب غرف النوم مفتوحة فيما هي تسير مسرعة. لم يكن عندها فكرة كم كانت الساعة أو كم من الوقت مضى على نومها. لكن بقية المجموعة لم تعد بعد.

نزلت الدرج بسرعة وركضت تحت المطر نحو الاسطبل.

كانا ميسترال ولاسكو، واقفين في زاوية الحظيرة، يصهلان باضطراب، ورأت اليكس عندما لمع البرق من جديد بريق الخوف يظهر في عيونهما.

قالت لهما: «كل شيء على ما يرام، ايها الصغار. أنتما بأمان هنا. سوف تنتهي العاصفة قريباً.» احضرت تفاحتين من الكيس وأطعمتهما للجوادين، ثم وقفت بينهما ويد على كل منهما، وهي تتكلم إليهما برقة وهدوء. شعرت بأنفاسهما المتلاحقة، وخشيت أن يعيد ذلك سعال ميسترال وقررت أن تبقى معهما ريثما تهدأ العاصفة.

بعد قليل، وبعدما خفت قوة الرعد، جلس لاسكو على القش وحذت ميسترال حذوه، لكن بينما كانت الفرس تستلقي بارتياح سعلت سعلة صغيرة جافة. سحبت اليكس ملاءة

وجلست إلى جانبها، وقد استمرت بتمتمة كلمات مهدئة وتابعت حركة يدها اللطيفة فوق الوبر الأبيض، وبدأ البرق يخف تدريجياً. كان الطقس دافئاً ومظلماً في الاسطبل. احنت اليكس رأسها والقته على خاصرة ميسترال. سوف تنتظر لفترة بعد، حتى تتأكد أن ميسترال لن تسعل ثانية... كان الجلوس هكذا مريحاً بالفعل، ورأسها يعلو وينخفض برقة بينما أخذ تنفس ميسترال يهدأ. كانت العاصفة قد هدأت، وغمر الاسطبل هدوء مثير على النعاس.

تحركت اليكس على صوت نادى باسمها، ثم عادت إلى النوم ثانية. وبدأت تستيقظ فعلاً على لمسة شفاه رقيقة على جبهتها. تمتمت قائلة: «جان بول! أنت عنيد!»

سمعت صوتاً هو بالتأكيد ليس صوت جان بول، يقول بفظاظة: «استيقظي وانهضي!»

فتحت اليكس عينيها ورأت ماركوس يقف فوق رأسها وفي يده مصباح. كان شعره يلمع رطباً، وكان وجهه يحمل تعبير الامتعاض الشديد المألوف.

قالت: «أنت!» وشعرت بصدمة شديدة عندما ادركت أنها لمست وجهه لتوها الآن، وأضافت محاولة أن تخفي ارتباكها وهي تقفز على قدميها قائلة: «إنك مبتل تماماً.»

قال بسخرية: «وبالتأكيد لست الولد المحب.»

اتقدت اليكس احمراراً لاشارته إلى طريقة ايقاظها، وقالت: «اعتقد...» بدأت، ثم توقفت فجأة مترددة.

قال بجفاف: «اعتقدت ماذا؟»

أجابته: «لا شيء. كنت احلم.»

قال: «سرت في نومك إلى هنا، اليس كذلك؟»

قالت اليكس وقد بدأت تستعيد وعيها: «بالطبع لم أفعل. ايقظتني العاصفة واعتقدت ان الجوادين قد يكونا خائفين. كانا مضطربين جداً. فوقفت وتحدثت إليهما قليلاً، ثم سعلت ميسترال، فجعلتها تستلقي وبقيت لبرهة قصيرة. لا بد ان النوم غلبني. هل الوقت متأخر جداً؟»

قال: «لا. انها الساعة الثانية.» نظر حوله بارتياب وأضاف: «افترض انك بمفردك؟»

صرخت قائلة: «أوه، لا تكن سخيفاً جداً! وبالحديث عن السخافة، لماذا بقيت تحت المطر كل هذا الوقت؟»

قال: «لقد توقف مطعم الصوت والضوء عندما ازدادت كثيراً تأثيرات الاصوات الخارجية، لكن مضيفينا المجانين اصروا على الذهاب إلى مطعم فيتنامي بعد ذلك حيث خرجنا نتصبب عرقاً. على الأرجح أننا سنصاب جميعنا بذات الرئة.»

قالت ببراءة: «عدنا أنا وجان بول إلى هنا عند الساعة العاشرة والنصف. هل رأيته؟ كان يشاهد فيلماً يستمر عرضه حتى الساعات الأولى.»

قال ماركوس: «نعم، رأيته، لسوء الحظ.»

سألته: «ماذا تعني بسوء الحظ؟»

نظر إليها شزراً وقال: «اعتقد أن الأحمق سيكون متشوقاً ليخبرك بما حدث إن لم أفعل أنا. عندما صعدت إلى الطابق العلوي كان باب غرفتك مفتوحاً على مصراعيه وأنت لست موجودة في أي مكان. كانت غرف الحمامات فارغة، وعرفت أنك لست في الطابق السفلي، لذا سارعت إلى استنتاج النتيجة الظاهرة.»

«الظاهرة فقط لإنسان له مثل تفكيرك. وماذا فعلت؟»

أجابها: «فعلت ما كان ليفعله أي رجل مسؤول. اتجهت إلى غرفة جان بول وأنا مستعد لصرعه...»

«يا له من أمر مروّع وسخيف لتقوم به.»

قال: «كان ذلك نوعا ما رأي جان بول، إلا أنه لم يعبر عن ذلك بنفس القوة.»

قالت: «إنك محظوظ لأنه لم يضربك.»

صرخ قائلاً: «لا. إنه لا يجرؤ. معاملة النساء بخشونة عمل قد يقوم به.»

قالت: «لقد تصرف، على الأقل، اليوم بتهذيب.»

أجابها: «ليس عندي دليل سوى كلمتك هذه.» واخذا يحدقان ببعضهما البعض.

قالت وهي تبتعد: «سأعود الآن. لا طائل من هذه المحادثة. لا اعرف لماذا جئت إلى هنا.»

لحق بها إلى الباب وقال: «أنظري خارجاً، وستعرفين في الحال.» فتح الباب على مصراعيه، ورأت اليكس أنه حيث كان يوجد من قبل خندق مائي وطريق واسع يطل الاسطبل عليها، قد اصبح الآن مجرد خندق مائي محفوف بالمخاطر.

شهقت دون وعي منها وسألته: «ماذا حدث؟»

قال: «فكرة تيم الرائعة في حفر قناة لتمر بها المياه إلى الخندق المائي لإبقائه نقياً ادت إلى نتيجة عكسية. لم يستطع المجرور تصريف المياه بذات السرعة التي تتدفق بها.» نظر إلى قدميها التي كانت تنتعل بهما خفين رقيقين وأضاف قائلاً: «تنتعلين حذاء مناسباً، أليس كذلك؟»

اتجه نحوها مما جعل اليكس تصرخ بغضب: «لا تلمسني!»

نظر إليها شزراً وقال: «بماذا تعتقدين أنني افكر؟ قبل أن تطلقي العنان لمخيلتك، دعيني أقل لك ان ما أنويه فقط هو حملك إلى المنزل. لقد انقطعت الكهرباء أيضاً. وقد تسقطين في هذا الخندق المائي في هذه الظلمة.»

قالت اليكس بسرعة: «استطيع أن اخلع هذه وأجذف.»

قال: «لا تكوني سخيفة.» وقبل أن تتمكن من الاعتراض اكثر، حملها بين ذراعيه. ثم سألها بلهجة ارق قليلاً: «من اين جئت بهذا الثوب الحريري؟»

أجابته: «لقد اعارتني إياه كريستين.»

قال: «انه أفضل كثيراً من بيجامتك تلك التي تزينها رسمة الفأرة والتي يبدو أنك فخورة بها جداً.» رفعها وقال بانفعال: «حاولي ألا تكوني ككيس البطاطا. ضعي ذراعك حول عنقي وتمسكي جيداً. هل يمكنك ذلك؟»

فعلت ما طلبه منها، وحاولت ان تبقي رأسها بعيداً عنه.

«أعطني فرصة لأرى أين أضع قدمي، هل تستطعين ذلك؟»

لم ينبس بعدها أي منهما ببنت شفة حتى أنزلها إلى الأرض على أعلى الدرج المؤدي إلى داخل المنزل.

دخلا الردهة حيث ترك احد ما نور المصباح الصغير مضاءاً بشكل خافت. وكان إلى جانبه شمعتان مضاءتان.

سألها ماركوس: «هل أنت في حاجة لشراب كي يدفئك؟»

قالت وهي تتحاشى النظر في عينيه: «لا شكراً. سأصعد إلى فوق مباشرة.»

قال: «خذي إحدى الشموع معك. سوف تمنحك النور الكافي لتتلمسي طريقك إلى الطابق العلوي.»

قالت: «نعم، شكراً. عمت مساءاً.»

«عمت مساءاً.» لكن بعد نحو دقيقتين ناداها بقوة قائلاً: «لقد اعطى وقتاً جميلاً للذكرى، أليس كذلك؟»

توقفت ونظرت إليه، وشعرت بالدموع تترقرق في عينيها، وانتابها دافع قوي لتصرخ قائلة ان ما من شيء يستطيع جان بول القيام به ليؤثر بها بقدر هذه اللحظات الغالية القليلة، فيما هو، يحملها من الاسطبل إلى المنزل، وقد شعرت بخشونة ذقنه وتنبهت لضربات قلبه القوية ورائحة الصنوبر المنعشة للصابون الذي استعمله. كيف سيتصرف إن أجابته إجابة صادقة كهذه؟ ابعدت نظرها عنه وقالت: «كان مجرد قضاء نهار في الخارج...» ثم هرعت ترتقي الدرج المظلم.

كان مهتماً بشأن النور، كان هناك ما يكفي من النور لترى إلى اين تتجه في هذا المنزل، إنما المستقبل، فهو أمر مختلف، بدا المستقبل فجأة اكثر ظلمة وتعقيداً وضبابية من أي وقت مضى.

لا فائدة من خداع نفسها اكثر. فانها اما تتجه نحو الجنون أو أنها وقعت في حب الرجل الذي يفترض أن يكون موضع كرهها. ربما هي تشعر بالاثنين. لماذا هو؟ دوّى السؤال في رأسها المعذب. انها تحب شقيقتها ووالدها. أليس كذلك؟ وهي تكره ما فعله ماركوس ويكفورد بهما. جلست على سريرها تحت ضوء القمر يخالجها شعور بالخوف اكثر من أي وقت في حياتها. تمسكت بحافة الفراش وكأنما تعلقها بها هو الشيء الوحيد الذي يوقف سقوطها في هذا العالم.

الفصل السابع

حاولت اليكس معظم الليل مواجهة قلبها وعقلها، معترفة أن هناك شيئاً ما في ماركوس فاق ذلك الشعور القوي بينهما، وخلّف تفاعلاً في نفسها يخيفها ولا ترغب به. أطل الصباح ليجدها ما زالت مستيقظة ويائسة، وأظهرت مرآتها شحوب وجهها القلق، وظلالاً سوداء تحت عينيها. لم تكن ترغب بمواجهة أحد من الآخرين على مائدة الفطور. فذهبت مباشرة إلى الاسطبل، لتجد أن ماركوس قد لحق بها.

غار قلبها كالعادة عند رؤيته لكنها استطاعت أن تتجاهل ذلك وتتظاهر أنها لم تشعر بوجوده هناك واقفاً عند مدخل الباب ينظر إليها.

سألها: «لماذا لم تتناولي طعام الفطور؟»

أجابته: «لم أشعر برغبة في ذلك.»

أنزل السروج ومرر إليها سرج ميسترال قائلاً: «لابأس بذلك، إذاً. يمكننا الذهاب إلى الطبيب البيطري مباشرة.» وأضاف بجفاف: «إلا إذا كنت لا ترغبين بالركوب أيضاً.»

قالت له بهدوء: «لا خيار في ذلك. إنه عملي. لكني سعيدة لأنك تعتبر أنه أصبح ممكناً امتطاء ميسترال ثانية.»

أكد لهما الطبيب البيطري بعد نحو ساعة ان الجواد الصغير قد تحسن كثيراً، وهو متأكد أنهما لن يواجها متاعب في المرفأ إن قررا أن يكملا رحلتهما في الصباح.

قال ماركوس بارتياح ظاهر: «هذا أمر جيد.» ونظر إلى اليكس قائلاً: «أعرف أنك ستكونين مسرورة لتتابعي طريقك من جديد.»

«مسرورة جداً.» وقد تقاذفها شعور بالارتياح لفكرة نهاية الإتفاق وشعور مزعج من الألم لفكرة الفراق الذي لا مفر منه عن الرجل الذي كان له تأثير عميق على مشاعرها.

ستحاول أن تتحاشاه طوال النهار، ومع قليل من الحظ، ستتمكن من ذلك. وفي الغد سيعبران القنال حيث يتبقى بضعة أميال عليهما عبورها على الأراضي الإنجليزية.

صعقت عندما قال لها ماركوس فجأة وهما في طريق العودة: «حالما نتصل بالمنزل لنعلمهم بموعد وصولنا. سنخرج لتمضية بقية النهار.»

سألته اليكس: «لماذا؟»

نظر إليها نظرة حزينة وقال: «لسبب مهم جداً. إنني أدير قوة عاملة تفوق المائة عامل في أماكن عدة. لا أعلم عدد الزبائن وعدد المرات التي أتعامل فيها معهم. كل شيء يسير متيسراً وبسلاسة وفعالية. سأنفجر إن وصلت إلى المنزل وأنا أشعر أن فتاة صغيرة لا تفشل أبداً في إثارة غضبي. سنمضي معاً ساعات مهذبة، وإني أقترح تمضية نهار في الخارج، وليس جلسة في غرفة التعذيب!»

بدأت اليكس قائلة: «لكن...»

قاطعها قائلاً: «لكن لا شيء. سنرى إن كان في امكاننا أن نكون مهذبين تجاه بعضنا البعض لساعة أو اثنتين. لذا لطفاً لا تقولي شيئاً وحاولي تحمل ذلك.»

قالت بجفاف: «ليست هذه بداية واعدة جداً.»

نظر إليها ودفع لاسكو ليجري خبباً وقد حذت ميسترال حذوه أيضاً، وتساءلت اليكس يائسة، كيف ستتمكن من تخطي هذه المحنة الأخيرة؟

لم يكن هناك تأجيل لذلك الإقتراح بعدما عادا إلى المنزل حيث أرشدهما تيم إلى مطعم صغير في القرية المجاورة، وأخبرهما عن طريق جميلة للسير على الأقدام حيث يستطيعان القيام بذلك بعد تناول طعام الغداء إن شعرا برغبة في ذلك. ووعدتهما كريستين، حالما عرفت أنها قد تكون ليلتهما الأخيرة في ضيافتها، بإقامة حفلة لهما. صعدت اليكس أخيراً إلى الرينج روفر إلى جانب ماركوس وقد غمرها الخوف من كل من الحفلة والنزهة غير المرغوب بهما.

كان للبهجة التي أضفتها اجواء المطعم الصغير تأثيرها. وكان الطعام ممتازاً جداً كما وصفه تيم. لكن الجو بينهما لم يرق إلى مستوى الطعام. استمر ماركوس في محادثتها بطريقة مهذبة وكأنه يجري مقابلة مع ضيف عمل، لكن كل ما كانت اليكس قادرة على التفكير فيه، كان يأس شخصين متباعدين مثلهما يحاولان التوصل إلى أي شيء كإحداث جو مألوف بينهما.

تمنت وتضرعت أن يقرر عكس ما اقترحه تيم بشأن النزهة سيراً على الأقدام، لكن من الواضح أن ذلك كان تحدياً آخر عليها مواجهته. تقدم ماركوس في الطريق الريفي، رغم أنه بدا منشغل البال إلا أنه ما زال مصمماً على ذلك، وقد بدا الجو نظيفاً والهواء منعشاً بعد عاصفة الليلة الماضية. لقد جففت أشعة شمس الصباح الساخنة المطر وكأنه لم يكن قط. قادهما الممر إلى فوق هضبة تكسوها

الأشجار حيث كان خلفها بقعة صخرية عالية، حيث يمكن عندها رؤية البقاع الريفية الخضراء في جميع الإتجاهات.

كانت هناك بقعة خضراء على بعد بضعة أقدام إلى أسفل الجهة المقابلة من المنحدر، اتجها إليها وجلسا ينظران وقد لفهما الصمت. فكرت اليكس شاكرة ان مهزلة هذا اليوم ستنتهي قريباً.

تكلم ماركوس أخيراً قائلاً: «طالما أننا سنتابع طريقنا غداً وستلتقين بيكي في نهاية المطاف، هناك شيء يجب أن أخبرك به.»

نظرت اليكس إليه وقالت متسائلة: «نعم؟»

قال: «لدي انطباع بأنك تعتقدينها فتاة مدللة جداً.»

اعترضت اليكس قائلة: «لم أقل شيئاً كهذا.»

قال: «ليس بهذه الكلمات. لكن بوجه شفاف كوجهك، لست في حاجة الآن لأن تقولي ما تشعرين به.»

قالت: «إذاً أتمنى ألا تفعل ذلك بي. فالمشاعر غير المعلن عنها هي مشاعر خاصة.»

إلا أنها شعرت بارتياح عندما قال: «إن مشاعر بيكي هي التي تهمني كثيراً الآن، مع فكرة أنك ستلتقين بها فعلاً في الغد. في ليلتنا الأولى في المنزل هنا تظاهرت أنك في حاجة لتأكيد عن وجود الفتاة. ولو أني لا ادرك كيف ذلك، مع أنك تحدثت عني إلى حد معين مع شقيقتك الغالية.»

قالت اليكس بدفاع حاد: «ايلين هي شقيقتي الغالية! تماماً كما هي بيكي الغالية بالنسبة إليك.»

نظر إليها متأملاً وقال: «لكن السؤال الذي اطرحه على نفسي هو، هل أنت من ذات طينة أختك؟»

قالت له: «كيف لا أكون كذلك؟ فنحن شقيقتان من نفس الأب والأم، العائلة والنشأة ذاتها.»

سألها: «والمشاعر؟ هل تشاركين أختك مشاعرها؟»

آوه. نعم. فكرت اليكس بمرارة. اني اشاركها مشاعرها من كل ناحية، حتى إلى درجة اني بدأت احب الرجل ذاته، لكني اكثر حماقة منها، لأني عرفت منها أن لا وجود لمستقبل بين امرأة من آل ليوارد ورجل من آل ويكفورد.

اجابته: «حتماً، في بعض المواضيع، لكن ليس كلها.»

قال: «حسناً. دعينا ندرس الموضوع من ناحية الإعاقة الجسدية. بيكي هي معاقة بشكل خطير جداً. هل تفضلين عدم مواجهتك بذلك؟»

صدمها السؤال لكونه لا يحتمل ابداً فأجابت عليه بسخط: «كيف استطعت أن تسألني عن أمر كهذا؟ لقد أمضيت معظم حياتي مع اناس يعانون من عاهة أو أخرى. هل كنت لأختار ان اواصل ذلك العمل لو أني لا أستطيع التعامل معه؟»

قال دون أي شعور بالندم: «كان عليّ أن اسأل. عندما تحدثنا عن موضوع بيكي لأول مرة، لم نصل إلى هذه المسألة الخاصة، لقد... انحرفنا عنه، إن كنت تذكرين. لقد ولدت بيكي معاقة، وحالياً لا يمكنها السير دون القضبان الحديدية التي تضعهما على ساقيها. الإعاقة هي جسدية تماماً. إنها لا تؤثر على نفسيتها إطلاقاً. عندما يصل الأمر إلى الشجاعة الكلية، إنها أكبر وأكثر ضجة من الحياة نفسها. أتصور ان ذلك قد يغير قليلاً الصورة التي رسمتها لها في مخيلتك.»

«اعتقد أنك تستمد سروراً حقيقياً من اهانتي؟»

أجابها: «إني لا أفكر في اهانة أحد. لكني أقوم بأي شيء لأدافع عن بيكي وأحميها من المزيد من الأذى. لقد قست عليها الحياة كفاية. لا تحب أن تسمعني أقول ذلك، والحقيقة المجردة أني بصدق تام، لا أفكر بها معظم الوقت كطفلة معاقة. عندما تلتقينها ستعرفين لماذا. إنها ليست موضع شفقة. إنها فتاة جريئة صغيرة. مقاتلة منذ ولادتها. تلك هي الصورة التي ترتسم عنها في الذهن، وليس ما عليها أن تحارب ضده.»

سألته: «ماذا حدث لوالديها؟»

قال: «لقد وقعا في إحدى تجمعات الضباب، تلك التي لا يمكن تفسيرها على الطريق العام فقتلا على الفور.»

ابتلعت اليكس ريقها بصعوبة وقالت: «ونجت بيكي؟»

أجابها: «لم تكن معهما. كانت في ذلك الوقت في المستشفى تستعيد صحتها من إحدى العمليات العديدة التي خضعت لها. كان جاك وتريسيا هناك، بالطبع. لكن احتاجا إلى بعض الأشياء من المنزل، وحالما تعدت حالة الخطر عادا إلى ساسكس ليأتيا بها. كانا في طريق عودتهما إلى لندن عندما حصل لهما ما حصل. لقد اعتادت بيكي على المستشفيات، إنما كما يمكنك أن تتخيلي أن هذه العملية قد خلّفت آثاراً مختلفة في نفسها عن غيرها. وستعاود الدخول إلى المستشفى ثانية في غضون ستة أشهر. تستطيعين تصور الخطر هذه المرة. ستتذكر أن المستشفى مرتبط بفقدانها اناساً احبتهم. لذلك، عندما أظهرت هذا الحب لجواد الكامارغ، قررت أنها يجب أن تحصل على واحد، ربما إن استطاعت أن تحد تفكيرها في العودة إلى جوادها

المحبوب، لن تنجرّ بذلك إلى التفكير في أمور أخرى.»

عندما لم تجب اليكس استدار لينظر إليها ورأى الدموع تنهمر من عينيها. قال برقة: «لا تبكي. إن بيكي لا تبكي على نفسها. إنها تكره أن يبكي لأجلها أي شخص آخر.»

تنهدت وقالت بصوت مخنوق: «لا تكن لطيفاً معي.» وبدا بكاؤها جدياً.

«اليكس!» بدا ناسياً من تكون للحظة، وضع ذراعه حولها وأمال برأسها على قميصه القطني وأخذ يداعب شعرها ليتركها تبكي وتبكي. شعرت أنها أكثر ارتباكاً كما لم تكن مرة في حياتها. لماذا كانت تبكي؟ جزئياً من أجل بيكي، ولكن أيضاً على الورطة التي وجدت نفسها فيها.

استدارت يائسة وتعلقت به كطفلة مذعورة، ودفنت رأسها بقوة أكثر عند عنقه. ظنت في البداية أن ذراعيه قد أحكما الطوق حولها، لكنها تيقنت لاحقاً أنه كان يبعدها بلطف وثبات بعيداً عنه.

قال لها ضاحكاً: «دعينا لا نتخطى القمة.»

تحولت مشاعر اليكس المرتبكة ثانية وانفجرت غضباً. قالت ما جال في خاطرها عن كل شيء بتناقض يفتقر إلى العقلانية: «بالطبع، كان عليّ أن أتذكر بأن آل ويكفورد ليس لديهم شعور بل سعة دم بارد فقط لاتخاذ القرارات.»

تغيرت ملامحه وسألها بخبث: «هل هذا هو رأيك السديد أو أنه واحد من اخطائك الفاضحة؟ لنرى إن كنت أستطيع اقناعك بطريقة أخرى.» كان هناك وقت مختصر لنظرة خائفة من عيون متأججة. دُفعت اليكس إلى الوراء على العشب فيما كان يضغط عليها بثقله، وقد هوى عليها بقبلة

وكأنه يعاقبها بقساوة لم تستطع معها أن تطلق صرخة حذر. وتنفست أخيراً بعياء. فقد أفلتها وجلس ينظر إليها باحتقار. سألها بقساوة: «هل اكتفيت بهذا؟»

ردت عليه فيما كانت تلملم نفسها المهانة بسرعة: «لم يكن ذلك شعوراً! بل قوة وحشية. وأعني وحشية.»

نهض واقفاً وقال: «أعطيتك ما تطلبينه، والآن لا تريدين ذلك. أنت متقلبة ولا يوقف لك على حال مثل أختك. لكن على الأقل يبدو أننا وضعنا حداً للألعاب الصبيانية. لذا ربما يمكننا أن نقوم بشيء مفيد وننهي هذه النزهة اللعينة.»

انتظر حتى تمكنت من الوقوف على قدميها، ثم سار أمامها نزولاً عن الهضبة. تبعته اليكس وهي تناديه بصوت يملؤه الغضب قائلة: «ارجوك، اريد العودة الى المنزل.»

صاح غاضباً: «لا تقلقي! لقد نلت الكفاية أنا أيضاً.»

فكرت اليكس وهي تحزم امتعتها في غرفتها في القصر ان ما آلمها أكثر من الشفاه المجروحة والكبرياء المهان، معرفتها بأن حتى تلك الذكرى المهينة كانت أمراً واضحاً أرادت التعلق به.

لقد ضبطت نفسها متلبسة وهي تمسك علبة الثقاب التي رمتها داخل حقيبتها في المطعم حيث تناولا الطعام. كانت دعاية للمطعم وقد رسمت عليها صورة للمبنى الحجري للمطعم.

وضعتها جانباً مع شريط القبعة الأحمر الذي يربط قرني الثور، مزدرية نفسها. «مفسدات المرأة». كلاهما تذكاران ليس فقط عن الرأس ذي الشعر اللامع والعينين الرماديتين اللتين تنتقلان بين حرارة الفضة وبرودة حجر الصوان، بل

عن ضعف ولائها وخيانتها الأولية، ربما يستحقان الاحتفاظ بهما كتذكار وخاصة تلك الأخيرة.

تنهدت بصعوبة وغطت التذكارين الصغيرين مع الكثير من القطع العادية. لو أنها لم تقابل ليز قط. مهما كانت الصعوبة في العودة إلى الديار كانت أفضل لديها من أن تجد نفسها الآن في نفس الوضع الذي كانت فيه أختها. وقد سحرها الرجل المستحيل بسهولة. كم هي حمقاء. لقد عرفت من تجربة إيلين الحزينة، ان لا خير بأي نوع من الترابط بين عائلتي ليوارد وويكفورد. ومع ذلك فقد سمحت لنفسها أن تحترق بالنار التي لم يكن عليها قط اللعب بها.

تنهدت ثانية. مهما يكن، فقد انتهى الأمر. غداً العودة إلى انجلترا، حيث البيت والأمان وفرصة اكتشاف حقيقة المثل القديم القائل: «بعيد عن العين، بعيد عن القلب.»

رفضت كريستين كل عروض المساعدة بتحضير طعام الحفلة، قائلة بما أن اليكس هي واحدة من ضيوف الشرف لذا عليها الحضور فقط لتجد كل شيء كمفاجأة ضخمة. أخبرت أن غرفتي الطعام والجلوس قد فتحتا على بعضهما البعض وخيارها الوحيد السماح لها برؤية واطعام الجوادين وتأمين الراحة لهما وان تأخذ قدر ما تشاء من الوقت استعداداً للحفلة.

لذلك كانت اليكس المهندمة والأنيقة التي غادرت غرفتها عند السابعة والنصف عازمة على إخفاء ملامح روحها المبعثرة وراء طلتها المحببة. كانت ترتدي ثوباً رائعاً اسود اللون عاري الكتفين، وقد لف جسدها النحيف. ياقته المربعة تدلت منها شرائط تقاطعت فوق بشرة ظهرها التي

لوحتها أشعة الشمس لتثبّت مع الزرّين الذهبيين المرصّعين، الزينة الوحيدة للثوب. بدا شعرها النحاسي اللون بلمعانه مقابل بساطة الثوب الأسود. بمنأى عن الرباط الذهبي اقتصرت حليّها على قرطين لهما شكل حبيبات من الأجراس الذهبية الصغيرة والصوت الناعم الذي تحدثه، جعلها تبدو وكأنها قادمة من عالم آخر.

شق تيم طريقه وسط الضيوف المجتمعين حالما دخلت غرفة الجلوس وجال معها معرفاً عن كل شخص بمفرده.

سأل ممازحاً آخر شخصين عرفهما بها: «هل تعتقدان وأنتما تنظران إلى هذه الآية من الجمال بأنها قادرة على العمل الشاق في الأسطبل كأي رجل عادي؟» تناهى ذلك إلى مسمع جان بول والذي همس قائلاً بنعومة في أذنها بعدما انتحى بها جانباً: «تبدين جميلة الليلة، أيتها الأميرة.»

قال ماركوس وقد انضم إليهما: «هل تضع عليك سحر فرنسا القديمة يا جان بول؟» واستدار نحو اليكس قائلاً: «عمت مساءاً يا اليكس. أرى التكلف بادٍ عليك.»

قال جان بول: «هل هذه هي فكرة الرجل الإنجليزي نحو ملاحظة الاطراء.» فيما التفت يده حول ذراع اليكس بطريقة استملاكية، أضاف: «لا عجب إن وفدت الفتيات الإنجليزيات إلى هذه البلاد وهن في أمس الحاجة لذلك.»

قال ماركوس ببرود: «حاجة ماسة؟ اعتقدت أنها نظرة النفور نحو كل أمر تافه يسمعونه. تذكر انهن لم يتبعن حمية تجاه ذلك من المهد.»

ضحك جان بول بسخرية طويلاً، لكن جوابه كان يشوبه مسحة من الخبث حيث قال: «طالما أن هناك تفاهماً بينكما

معشر الإنجليز، سأجرب بعضاً من كلماتي الجميلة على اليكس خلال العشاء وأرى ماذا ستفعل بها. آوه، هل أرى شقيقتي تحاول أن تسترعي انتباهك يا ماركوس؟»

فيما استدار ماركوس لينظر إلى الناحية التي كان جان بول يشير إليها. قام الرجل الفرنسي وقد وضع أصبعه على شفتيه، ودفع اليكس عبر الباب نحو غرفة الطعام.

شعرت اليكس أنها أسيرة معركة حامية الوطيس على وشك الإندلاع. كانت تشعر أن ماركوس على أهبة الاستعداد للمقاتلة مع أي كان. وسرت أن تكون بعيدة عنه، لكنها كانت قليلة الصبر تجاه مزاح جان بول.

أخبرته قائلة: «لا أتذكر أني وعدتك أن أكون رفيقتك على طاولة العشاء.»

«ليست طاولة، إنما عشاء مفتوح. لكنك وافقت أن تشاركي إن سألتك، اليس كذلك؟ كيف يمكنك مقاومتي؟»

قالت: «بسهولة. لكن لا أستطيع مقاومة طعام البرتين اللذيذ، لذا سأوافق على أن تكون رفيقي الطارىء.»

قال لها: «جميلة وقاسية! تآلف آسر وحالة دراستها أمر ممتع. لكن دعينا نأكل أولاً. بالمناسبة لا تنظري تجاه ماركوس وأنت تأكلين فقد تسبب لك ملامحه عسراً في الهضم.»

ضبطت اليكس ماركوس عدة مرات خلال السهرة وهو يحدق بها بنظرته الخطيرة لكنه لم يلق نظره مرة أخرى على جان بول. كما أنه مر وقت طويل دون أن يقوم بأي محاولة ليصبح قريباً منها. أخبرت نفسها أنها مسرورة لذلك، لكنها كانت تعرف موقعه بالضبط في الغرفة، وبماذا يفكر من دون أدنى تساؤل يساورها.

كان تيم قد أوصل الأنوار بين الأشجار في الجهة الغربية للقصر. وقد مد خطاً فوق الخندق المائي حيث يمكن عزف الموسيقى للرقص. كانت اليكس تشعر برغبة ملحة لذلك وعمل جان بول على أن يبقيها تراقصه ملتصقة به طوال الوقت.

سألته اليكس عندما أفرط في إضفاء سحره الفرنسي عليها عندما رقصا قريبين جداً من ماركوس ورفيقته: «هل أنت مضطر لتفعل ذلك؟»

قال: «لِمَ لا؟ قد أكون خاسراً معك، يا حلوتي، ولكني أنظر إلى مهمتي في الحياة وهي تحريك مشاعر أكبر عدد ممكن من الرجال الإنجليز. إلا إذا كنت مخطئاً، فإن صديقنا العزيز ماركوس قد نال كفايته من تحريك المشاعر لهذه الليلة بحيث أنه متوجه نحونا الآن يحدوه العزم الكبير. استعدي للمواجهة يا عزيزتي اليكس.»

ربت ماركوس على كتف جان بول قائلاً: «امضي في طريقك. هذه الرقصة لي.»

تابع جان بول رقصته وقال: «ماذا يحدث إن لم أوافق؟»

قال ماركوس بصوت حاد وابتسامة مصطنعة: «سأرميك في الخندق المائي. لا تشك بذلك ولو ثانية واحدة.»

تنحّى جان بول جانباً وقال: «انني لا أرغب أن نبدو كلانا سخيفين، طالما أنك وضعت ذلك بهذا الإطار الجميل يا ماركوس...» نظر بتمعن نحو اليكس وانحنى ساخراً تجاه ماركوس.

قالت اليكس بشدة فيما دفعها بقسوة بين ذراعيه: «ها أنت ترمي بثقلك يا ماركوس.»

قال بخبث: «ليس باكثر مما يستحق ذلك المزاجي الساخر والمغرور!» فيما يده على ظهرها تدفعها نحوه بقوة أكثر وقد خشن صوته وهو يقول هامساً في أذنها: «بما أنك كنت ملتصقة بالفرنسي المفضل لديك وكأنك شريط لاصق خلال الرقصتين السابقتين، ربما يمكنك إيقاف أبحاثك بأننا قطبا المغناطيس المتنافران.»

قالت اليكس: «اعتقد أن ذلك هو ما نحن عليه.» لكن جسمها رفض الإنصياع لأوامر عقلها وسمحت لنفسها أن تذوب بين يديه.

لِمَ الحال هكذا؟ سألت نفسها يائسة فيما تحرك ببطء على أنغام الموسيقى. هل هو الإنجذاب نحو الممنوع؟ هل كان المستحيل أكثر فتنة من الحاضر المتوفر؟

فليس ولاؤها لشقيقتها ووالدها ولا اهتمامها المعقول بمصلحتها الشخصية بدا عاملاً ضد الاعتداء المحير على حواسها عندما لمسها. وشعرت أنه كلما أسرعا في العودة كان ذلك أفضل. والمحيّر في الأمر بالرغم من تركيزها على هذه الفكرة، ان جسمها كان متيقظاً بكل حواسه ويتمنى ألا تنتهي هذه الرقصة أبداً ليبقى ملاصقاً لجسمه.

انتهت الأغنية وتبعتها أخرى. قامت اليكس بمحاولة فاشلة لتحرر نفسها من الذراعين اللتين أمسكتاها بقوة.

قالت عاجزة: «لقد نلت مرادك ضد جان بول، فلماذا الإصرار على مواصلة الرقص معي؟»

قال بصوت ساخر: «لأقنع كل واحد أن الأمور على ما يرام. إنها حفلة كبيرة ونحن نمضي وقتاً رائعاً.» وضغط عليها لتلتصق به أكثر. وتوالت الموسيقى وبقيا يرقصان

دون كلام. وعندما شارفت الأسطوانة الثالثة على الانتهاء أحست اليكس بإطلاق سراحها ونظرت إليه وهي منذهلة.

قال وهو ينظر إليها برقة: «أعتقد أن ذلك قد أوفى بالغرض. شكراً لك يا آنسة ليوارد على هذه الرقصة الممتعة. يمكننا الالتحاق بما تبقى من الحفلة الآن.»

لم يقترب منها ثانية حتى غادر الضيوف، فيما وقفا هما وجان بول، تيم وكريستين يلوحون بأيديهم للضيوف المغادرين وهم يراقبون أنوار السيارات تنير الأشجار وهي تشق طريقها في الظلام الواحدة تلو الأخرى. عادوا إلى الداخل ليرتبوا الأشياء دون اهتمام ويأووا إلى الفراش تاركين التنظيفات الجدية إلى الصباح. قالت كريستين لأليكس بأسف بينما كانتا تجمعان الكؤوس من غرفة الجلوس: «كم يكون جميلاً ان تكوني بيننا ثانية. هذا ما آمله. أنا متأكدة ان ماركوس سيصحبك ثانية لرؤيتنا.»

قالت اليكس بخيبة امل: «لا، لن يقوم بذلك فعلاً. الحقيقة ان علاقتنا علاقة عمل فقط. أما كافراد مستقلين فنحن قطبان متباعدان.»

أمالت كريستين برأسها وهي تتأمل اليكس وقالت: «رأيتكما ترقصان سوية. فلغة الجسد تعبر أكثر من الكلمات.»

توردت اليكس وقالت: «لكن قد تكون كاذبة. كنت نصف نائمة هذا كل ما في الأمر.»

قالت كريستين بمرح وتسامح: «يا حبيبتي اليكس، أعرف مثلاً انجليزياً يقول: «قص ذلك على البحارة.» وهذا جواب مناسب تماماً لعذرك! على أية حال سوف نرى.»

وقف كل من ماركوس واليكس جنباً إلى جنب متكئين

على حافة المركب دون أن يتكلما وكل منهما غارق في تفكيره. كانا يراقبان المرفأ الفرنسي وهو يختفي تدريجياً عن أنظارهما كلما ازداد المركب ابحاراً في اليم.

سألها ماركوس فجأة: «هل قررت ماذا ستفعلين. أعني فيما يتعلق بالعمل.»

«تقريباً. أود الاستمرار في العمل الطبي، وسأحاول أن أحصل على وظيفة أخرى في مركز الصحة الوطني.»

قال: «لقد فاجأتني.»

أجابت: «لماذا؟ لقد تدربت في مركز الصحة الوطني.»

نظر إليها وقال: «اعتقدت أنك قد تهتمين بمصلحتك الشخصية لجني المال من خلال خدمات طبية خاصة.»

أجابته بسأم: «حسناً، لقد كنت مخطئاً.» دون أن تهتم للمعنى الضمني الجارح الذي تضمنته كلماته.

أخذا ينظران بصمت إلى طيور النورس فوق مجرة المركب. وقد بدأت تشعر بثقل الصمت الذي يسود بينهما قالت اليكس أخيراً: «لا بد أن بيكي قلقة الآن.»

قال: «لقد جعلتني أحسب بالضبط كم تستغرق رحلتنا من نيوهافن إلى المنزل، كما انها أوضحت لي أنها تتوقع وصولنا على صهوة الجوادين. هل لي أن أطلب منك أن تقومي بذلك؟»

نظرت إليه اليكس وقالت: «أنت الرئيس.»

قال لها بقساوة: «لقد كنت متعاونة جداً. اني آسف لأن رحلة العودة قد طالت مدتها.»

هزت كتفيها وقالت: «لم يكن ذلك غلطة أحد منا.»

انتصب في وقفته وقال: «أوشكت رحلتنا على النهاية

الآن. على أية حال، بعد ثلاث ساعات ونصف نصل إلى المرفأ. ثم نقطع مسافة هي قصيرة جداً إذا ما قورنت بالمسافة التي قطعناها. سأذهب لتناول القهوة، هل تأتين؟»

كانت عينا اليكس ما زالتا تنظران نحو الشاطىء الفرنسي الذي كان يختفي تدريجياً وقالت: «ليس الآن. سأنزل بعد برهة.»

فارقها دون أن يحاول اقناعها بمرافقته. لقد شعر على الأرجح بالارتياح لتركها كما كان شعورها لمغادرته.

حالما يصلان إلى ساسكس حيث جذور النزاع بين عائلتي ويكفورد وليوارد، حينها ستكتشف سبب اضطراب عواطفها المرتبكة، الناجمة عن وجودها على أرض غريبة وتقارب غير مرغوب به... ونفحة صغيرة من القدر.

رسى مركبهما في نيوهافن في وقت مبكر بعد ظهر ذلك اليوم، وكانت الشمس على وشك المغيب عندما مرّا بالبلدة متجهين نحو وادي شكمير حيث شاستس، منزل ماركوس، الذي يربض في ثنايا الدونز.

اعتمر ماركوس قبعته فيما كانا يستعدان للركوبة الأخيرة عبر الطريق المتبقية للوصول إلى شاستس.

كان شكل المنزل طويلاً، وقد امتدت نبتة معترشة فوق بابه وعبر الكلس الأبيض طليت به الجدران بين الأرض ونوافذ الطابق الأول.

لم يكادا ينعطفان نحو الطريق الخاص حتى ظهر طيف صغير عند مدخل البيت وقد هرع نحوهما. دون أن يعيقها المسماكان اللذان كانا في ساقيها الهزيلتين. كانت الفتاة تقفز تقريباً فوق الأرض قفزاً حتى وقفت أخيراً دون خوف

في طريق الجوادين. كانت تبدو رقيقة وهزيلة، شعرها الأسود المجعد معقوص إلى الوراء بعقدة عريضة واحدة والاثارة تملأ عينيها.

عندما توقف الجوادان، ذهبت مباشرة نحو ميسترال ومدت يدها لتمسك بلجامها. أخفضت الفرس رأسها بفضول لتتحقق من الوجه الصغير المشرق، تنفست برقة على عنق الطفلة وأطلقت صهيلاً خافتاً. أطلقت الفتاة الصغيرة تنهيدة رقيقة، ويدها تلاعب شعر عنق الفرس الأبيض وهي تضع وجهها على خطم الفرس.

ترجلا، اليكس وماركوس، عن ظهر الجوادين وقال ماركوس بمرح: «مرحباً، يا بيكي! لا حاجة لأن اسأل من يأتي في الطليعة عندك!»

قالت بصوت مكتوم وقد تعلقت بساقه: «آه يا عمي ماركوس! إنها رائعة!» ومدت يدها لتلامس لاسكو وأضافت: «وأنت أيضاً!»

ابتسم ماركوس ابتسامة عريضة، وبدا لاليكس انها ترى رجلاً مختلفاً الآن، لطيفاً وغير معقد. حين قال: «لا شك انهما وجدا استحساناً لديك يا آنستي الصغيرة.»

لاحظت بيكي وجود اليكس فابتسمت لها ابتسامة خجلة. قال لها ماركوس: «هذه اليكس، التي اهتمت بميسترال طوال الرحلة إلى المنزل. إنها قادرة على اخبارك كل شيء عن حسناتها وسيئاتها.»

ابتسمت اليكس لها ابتسامة مطمئنة وقالت: «مرحبا، يا بيكي. لا تقلقي، إنها لا تملك أية سيئات طالما أنت تذكرين أن تضغطي لجامها وقدميك عليها برقة.»

قالت بيكي بجرأة تامة: «ذلك من حسن حظي، فساقاي الضعيفتان سوف تناسبانها تماماً، إذاً. هل لي أن امتطيها إلى الأسطبل، يا عمي ماركوس؟ أرجوك! لقد جهزنا أنا وآنا الحظيرتين ووضعنا فيهما بندقاً وتبناً وماء وكل شيء.»

نظر ماركوس نحو المنزل وقال: «أين آنا؟ اعتقدت أنها ستكون جزءاً من فرقة الإستقبال.»

قالت بيكي بلا مبالاة: «كان عليها الرحيل. تركت لك رسالة تخبرك عن ذلك. أرجوك هل لي أن امتطي ميسترال؟»

قال: «لحظة. إذاً، من معك هنا إن لم تكن آنا موجودة؟»

قالت: «كانت السيدة آلرتون هنا طوال اليوم. كل شيء على ما يرام حقاً، يا عمي ماركوس. أرجوك هل لي...»

رفعها إلى فوق سرج الفرس وقال: «فقط إلى الأسطبل، واليكس سوف ترافقك، لأن هذا السرج غير مناسب لك.»

استدار نحو اليكس ليقول: «هل تمانعين؟ يجب أن أرى ماذا يجري هنا. آنا هي المسؤولة عن كل شيء هنا.»

امسكت اليكس بميسترال جيداً، فيما رسن لاسكو في يدها الأخرى وقالت: «سنكون بخير، هيا يا بيكي.»

ناداهما بعد أن انطلقتا قائلاً: «بعد اعادة النظر، أرى أنه من الأفضل أن تضعا الجوادين في الحقل في الوقت الحاضر، لدي شعور أنه لن يكون هناك متسع من الوقت لتدريبهما بشكل جيد الليلة.»

كان في إمكان اليكس أن تعرف على الفور، عندما عادت هي وبيكي إلى المنزل أن ماركوس قلق جداً، لكنه تجهم وأشار لها بهدوء ألا تطرح أية اسئلة. طلبت بيكي من اليكس أن ترافقها إلى الطابق العلوي لترى غرفة نومها. لذا مرت

نحو نصف ساعة قبل أن يتمكن من اخبارها عن المحنة التي وقع فيها.

قال لها: «لقد أصيبت شقيقة آنا بنوبة قلبية، وليس هناك من أحد ليهتم بها سوى آنا وتعتقد أنها لن تتمكن من العودة قبل أسبوع. اتصلت بالوكالة التي احضرت منها آنا، لكن الأمر لا يبدو مشجعاً جداً. كل الأشخاص الدائمين لديهم في وظائفهم، واثنتان من ممرضات الطوارىء مصابتان بالأنفلونزا. اللعنة على المتاعب.» مرّر يده بحيرة في شعره ثم نظر إلى اليكس وأضاف: «لكن لا بد أنك تريدين المغادرة. يبدو أن هناك وجبة طعام جيدة في انتظارنا. قد يعاودون الإتصال من الوكالة، لذا، ربما علينا أن نأكل.»

أتى اتصال الوكالة في منتصف تناولهما الطعام. عاد ماركوس في أثره وهو يبدو متجهماً.

قال: «أخشى من أنه لا يوجد مفر. العرض الوحيد الذي استطاعوا تقديمه للأسبوع القادم هو تأمين شخص من الثلاثاء حتى الخميس. ذلك ليس كافياً. ببساطة علي العودة إلى العمل نهار الاثنين وآخذ فرصة بقية الأسبوع كله. علي تحضير بيانين نهائيين مهمين.»

سألته: «ماذا عن السيدة التي كانت هنا اليوم؟»

قال: «السيدة آلرتون؟ إنها تعمل عند اناس آخرين أيضاً. كان توقيت حالة الطوارىء التي حصلت اليوم جيداً، لأنه نهار السبت، لكنها لا تستطيع التخلي عن التزاماتها الأخرى طوال الأسبوع.»

أخذ يتناول بعض الفراولة بصمت لفترة من الوقت فيما كانت اليكس منشغلة بأفكارها الخاصة. كانت على وشك أن

تتكلم عندما قال: «أفكر في شخص أو اثنين من الأشخاص المحليين قد يشغلون هذه الوظيفة لمدة أسبوع. عندما يحين موعد تناول القهوة، سأتناولها في مكتبي، إن كنت لا تمانعين وأقوم ببعض الإتصالات.»

استطاعت اليكس سماعه، فيما كان يرتشف قهوته وهو يجري اتصالاً تلو الآخر، ومن التحركات التي تناهت إلى مسمعها عرفت أنه لم يلق نجاحاً.

قال بمرارة، عندما عاد إلى غرفة الجلوس: «لم يمر عليّ من قبل أناساً منشغلين إلى هذا الحد. فهم جميعاً إما مرتبطون بمواعيد خلال عطلتهم أو ينتظرون قدوم ضيوف يزورونهم أو مدعوون لحفلات زفاف خلال الأسبوع.» نظر إليها وقال: «إسمعي، لا تدعي ذلك يؤخرك. فليست هذه مشكلتك، سأوصلك إلى المحطة عندما تصبحين جاهزة.»

سكبت له المزيد من القهوة. ثم استجمعت شجاعتها وقالت: «أعرف شخصاً ليس منشغلاً.»

نظر إليها، فقالت ببساطة وقلبها يخفق بقوة: «أنا.»

حدق بها، ثم قال رافضا الفكرة: «تعنين، حسناً، لكن لا اعتقد أن أياً منا يستسيغ الفكرة، أليس كذلك؟ اعتقد أن الأيام القليلة الماضية تضمنت ما يكفي من المشاكل دون اطالة الوضع.»

صدمت اليكس من موقفه، فقالت باقتضاب: «لم أكن أفكر تماماً في التفاوض. كنت أقدم فقط عرضاً يتناسب مع الظروف الراهنة.»

قال: «أدرك ذلك.» تجهم بتركيز ثم أضاف: «ما زال هناك اصدقاء قد يكونون على استعداد لأخذ رعاية بيكي

على عاتقهم، رغم أنهم لا يستطيعون العيش هنا، حيث عليهم العناية أيضاً بالكثير من الدواجن.»

سألته: «هل تتذكر دواجنك التي اشتريتها مؤخراً؟ رعاية بيكي بعيداً عن هنا يعني ابعادها عن ميسترال ولاسكو بهذه السرعة بعد وصولهما مباشرة. ألا يبدو ذلك نوعاً مهذباً من التعذيب؟»

«اقنعيني أنك حقاً تريدين البقاء.»

قالت اليكس بتوتر: «يمكنك أن تنسى تلك الفكرة. لقد شجعني التدريب الذي قمت به للإستجابة للحالات الطارئة، هذا كل ما في الأمر.»

وقف غارقاً في بحر أفكاره لبرهة. ثم قال أخيراً: «سأحاول الاتصال بعائلة هاركورتس.» وغادر الغرفة. تمنت اليكس لو أنها لم تتقدم بعرضها هذا. لقد اكتشفت انها كانت حمقاء لتفكر في هذا الطلب.

عاد في الحال أشعث الشعر تقريباً. فقال: «أنت محقة بما قلته حول الجوادين. أنظري، هل تعتقدين حقاً أنك تستطيعين تحمل البقاء هنا؟ أكره أن أطلب منك ذلك، لأني أعرف كيف تشعرين حيال الأمور.»

اجابته بهدوء: «أنت لم تطلب أنا عرضت عليك. ونعم، أستطيع تحمل البقاء هنا.» ولأن لهجته كانت جارحة، أضافت: «على أية حال، لن تكون هنا، أليس كذلك؟ ذلك سيجعل الأمور أسهل.»

تمتم قائلاً: «مغرورة كما أنت دائماً.» تجاهلت ما قاله، وقد شعرت فجأة بتعب شديد.

قالت: «والآن، إن كنت لا تمانع، أريد أن أنظف هذه

الصحون وآوي إلى الفراش. ربما ستريني المكان الذي سأنام فيه.»

قال: «قبل أن أفعل ذلك، من الأفضل أن أذهب وأحضر الرينج روفر أو أنك لن تحصلي على بيجامتك التي تزينها صورة الفأرة، لا حاجة لأن تزعجي نفسك بتنظيف الصحون. في امكاننا أن ننظفها غداً، إن كنت تشعرين بالتعب.»

قالت له بفظاظة: «غسل الصحون لا يزعجني. إنني فقط لا أشعر برغبة في البقاء هنا والتحدث.»

قال: «حسناً، لن أتأخر.»

حملت اليكس فنجاني القهوة إلى المطبخ. ماذا فعلت؟ ما الذي دفعها لتقدم ذلك العرض المجنون؟ وضعت الصحون وهي تعرف تماماً الجواب عن هذا السؤال. ولم يكن في الأمر أي عمل نبيل. كانت هناك أمنية جنونية في داخلها، وكم هي نادمة عليها الآن، لأن تستمر تجربة الأيام الماضية، وان لا يفترقا.

حسناً، لقد كانت حمقاء. والآن عليها أن تدفع ثمن ذلك. كان عليها أن تأمل في أن تتمكن من دفع الثمن.

الفصل الثامن

استيقظت اليكس باكراً صبيحة اليوم التالي قلقة تجاه الأسبوع القادم. كان المنزل هادئاً يلفه السكون. أخذت تراقب من نافذتها لبرهة الخراف على البساط الأخضر في التلة المجاورة. وقررت النزول إلى الطابق السفلي لتتعرف على المطبخ قبل أن يتوجب عليها فعلاً القيام بأي شيء هناك.

وجدت أن آنا قد تركت قائمة بالحاجات الخاصة المتنوعة التي تحتاجها بيكي للمدرسة، وقائمة اقتراحات مفيدة عن الوجبات مشيرة عن الأطعمة المتوفرة في البراد والأشياء التي يجب شراؤها. كان المطبخ مرتباً، والخزائن نظيفة حيث يشير كل شيء فيها إلى مستوى العناية التي وفرتها آنا وبأنها مثال يحتذى به.

شارفت الساعة على الثامنة صباحاً عندما وضعت الفطور على الطاولة. اعدّت الشاي وحملت الصينية إلى فوق. سكبت الفنجان الأول فور وصولها، وقرعت باب غرفة نوم ماركوس. لم يكن هناك من ردّ فوري، لذا تناهى إلى مسمعها صوت الماء الجاري في إحدى غرف الحمام، وافترضت أن ذلك الصوت منبعث من غرفته. فتحت الباب بهدوء ودخلت الغرفة دون تردد، أحست بالصدمة عندما وجدت أن ماركوس مازال مستلقياً في سريره، ووجهه ناحيتها فيما كانت يده مطوية تحت رأسه الجميل. ومضت تنظر إليه وهي تفكر كيف بدا وجهه محبباً وقد زالت خطوط

القساوة والصرامة التي تعودت رؤيتها عليه لتبدو رقيقة وهو يغط في نومه. وضعت الفنجان بهدوء على الطاولة وهي تتساءل إن كانت تزيح الستائر وتوقظه أو تمضي في سبيلها. كان القرار عائداً لها. لكن الجلبة الصغيرة التي أحدثها الفنجان جعلته يستيقظ حيث فشل قرع الباب في ايقاظه. تحرك وفتح عينيه وظنت لوهلة أنه سيبتسم لها، وحالما تحقق من شخصية من كان في غرفته، استعاد وجهه النظرة القاسية المألوفة لديها وجلس فجأة قائلاً: «ماذا تفعلين هنا؟»

قالت: «استيقظت باكراً وأعددت الشاي.» وأشارت إلى الفنجان الذي إلى جانبه.

قال: «هكذا اذاً، إشارة أكيدة على عودتك إلى تلك المدينة.» تناول الفنجان ورشف رشفة طويلة وهو يتأملها.

كانت اليكس ما زالت مرتدية بيجامتها. ولم تكن المرة الأولى التي ترى فيها ماركوس عاري الصدر كما هو الآن، كما لم تكن المرة الأولى التي تتحادث معه قبل أن ينهض ليرتدي ثيابه. شعرت اليكس أنها قد فعلت شيئاً طائشاً واستفزازياً تقريباً. شعرت أنه كان يفكر ضمن هذا الاطار فيما كانت عيناه الرماديتان تنظران بثبات نحوها.

قالت: «اعتقدت أنك في الحمام. لهذا السبب دخلت. لقد قرعت الباب مرتين.» وسارت نحو النافذة وسحبت الستائر الثقيلة قائلة: «لا بد أن بيكي قد استيقظت.»

كانت تشدد على تلك النقطة لتحول الانتباه الذي قد يفسر خطأ. فبيجامتها المشهورة برسم الفأرة عليها بدلاً من أن تبدو محتشمة بدت رقيقة وملتصقة بجسمها.

سألها وكأنه يقرأ أفكارها: «أليس عندك عباءة نوم؟»

قالت: «لم أحضر واحدة معي.»

قال: «إذا نظرت في الخزانة ناحية يدك اليسرى، ستجدين بيجاما خضراء من الكشمير لم أرتدها قط. يمكنك استعمالها بينما أنت هنا.»

اخرجت اليكس عباءة النوم وارتدتها بسرعة. لامس طولها الأرض فيما تدلت أكمامها. كانت فعلاً محتشمة.

قالت باختصار: «شكراً» وجعلت طريقها نحو الباب وهي تطوي أكمامها.

توقفت ونظرت إليه بعد أن ناداها قائلاً: «لست في حاجة يا اليكس لاختلاق الأعذار لتحضري لي الشاي في الصباح. أنت هنا للإهتمام بأمر بيكي وليس بي.»

توردت منزعجة وقالت: «أحضرت الشاي لنا جميعاً.»

قال: «لكن بيكي لا تشرب الشاي.»

«لم أكن أعلم هذا. سأتذكر ذلك في المستقبل وأعد الشاي لنفسي فقط. لست في حاجة لترغم نفسك على شربه ان لم تكن تريد ذلك. سآخذ الفنجان من طريقك.»

قال فيما كانت تستدير لتتوجه نحو الباب ثانية: «هناك شيء آخر.» توقفت ونظرت بتمرد نحوه، وقالت: «نعم؟»

قال: «هناك أمر مازال يقلقني. اعتقد أنه من الأفضل تنقية الجو حيال هذا الموضوع قبل أن يستفحل أمره ويؤدي إلى سوء تفاهم. من المؤكد أن آنا ستعود إلى هنا.

«بالطبع سترجع. أنت قلت انها ستغيب لمدة أسبوع.»

قال وقد نظر بثبات نحوها بعينيه الرماديتين: «خطر لي أن حاجتك إلى وظيفة ومقارنة إلى سهولة العمل هنا، قد

تعمدين لانتهاز فرصة بقائك هنا هذا الأسبوع لتمضي قُدماً في الاستمرار في العمل. وتفكيرك في هذا الاتجاه ليس بالفكرة الجيدة.»

«هل تعتقد حقاً أني قادرة على التخطيط هكذا؟»

قال: «كانت أختك تبقي تفكيرها منصباً على الإهتمام بمصالحها الخاصة. ربما تكون ميزة في العائلة تشاركينهم بها.»

قالت منفعلة: «التفكير كذلك يعكس الخزي عليك بدلاً مني. لا أتعمد العمل هنا بشكل دائم للحصول على فدية كبيرة. في الواقع بعد بداية يوم كهذا. بدأت أتساءل لماذا عرضت أن أبقى هنا؟»

فتح الباب فجأة وبدا صوت بيكي مشرقاً حيث قالت: «صباح الخير! ها أنتما هنا!»

كانت ترتدي سروالاً وسترة وقد احتضن المسماكان ساقيها النحيلتين، لكن وجهها كان يشع حماساً واشراقاً.

قالت اليكس بنعومة: «صباح الخير، يا بيكي.»

أمسكت بيكي بيدها وقالت: «يا اليكس ويا عمي ماركوس، لن أكون مصدر إزعاج. أعدكما، لكن مضى على وجود ميسترال هنا اثنتي عشرة ساعة حتى الآن ولم أمتطها بعد بشكل جيد. لذا هل يمكننا الخروج وبسرعة...؟»

قال لها ماركوس: «يا لك من فتاة عديمة الصبر! علينا أن نرى إن كانت اليكس تفكر بركوب الجواد قبل تناول الفطور.»

قالت اليكس بثبات: «لا تعتمد عليّ. سأعد الفطور، بينما تكونان في الخارج. بعدها تعودان جائعين جداً وسيكون حينها كل شيء جاهز.»

قال ماركوس: «من الأفضل أن تذهبي وترتدي ثيابك يا بيكي. هل اغتسلت جيداً؟»

قالت: «آه، يا عمي ماركوس! بالطبع. لقد كنت أغتسل جيداً منذ أمد طويل حتى الآن.»

قال: «هيا بسرعة إذاً.» تبعت اليكس بيكي، لكنه ناداها ثانية قائلاً: «مهلاً يا اليكس، دقيقة فقط.»

أجابته: «اعتقدت ان كل شيء في حاجة للقول عنه قد قلناه.»

تدلت رجلاه عن السرير ورفع سروال بيجامته ووقف ينظر إليها ويداه على خاصرته. قال: «ربما قيل الكثير، لكن تجربتي مع بنات جنسك دفعتني إلى الشك بدوافع كل شخص. اني أعتذر، إن كنت على خطأ وقد تسببت بجرح مشاعرك.»

«أؤكد لك بأنه ما من حاجة لأن تخلط بيني وبين أختي عندما ينتهي هذا الأسبوع، لن تكون لتطلب مني أن أرحل، سأكون في طريقي ولن أتأخر دقيقة واحدة.»

«ان اخترت تجاهل طلب الاعتذار، فليكن كذلك، لنغير الموضوع، فيما يتعلق بمهمة ركوب الجواد، لم أكن أقترح عليك المجيء معنا لمظاهر اجتماعية. أردت أن أريك أفضل الطرق التي تسلكينها، عندها سأعرف بأنك أنت وبيكي سوية على ما يرام عندما أكون مرتبطاً بعمل آخر. لذا أكون مسرورا إن قبلت ولو مكرهة بالمجيء معنا.»

قالت اليكس بقساوة: «كما الحال دائماً، أنت الرئيس.» غادرت غرفته، وأقفلت الباب وراءها بنعومة متناهية، بينما كانت مشاعرها تدعوها لأن تصفع الباب في وجهه.

كان للهواء النقي وحماس بيكي الزائد للقيام بالجولة، الأثر في جعل اليكس تنسى ما لحقها من أذى.

امتطى ماركوس فرساً كبيرة. كانت اليكس على ظهر لاسكو، فيما بيكي كانت تنهب الأرض على ظهر جوادها

ميسترال أسرع منهما، لقد تعلمت بسرعة درجة التحكم المطلوبة على الجواد الصغير، وها هي الآن تعود نحوهما لتدور حولهما وتسير بينهما وعلى ثغرها ابتسامة مشرقة.

قالت: «أليس هذا امراً محبباً؟ نحن الثلاثة كأب وأم وطفلتهما. عائلة حقيقية.» وتركتهما لتعدو بجوادها بهدوء، تاركة اليكس تبتسم ساخرة للكلمات البريئة فيما بدا وجه ماركوس متجهماً.

قال: «ربما كان عليّ أعدادك لهذا المنحى الخاص.»

تصلّبت اليكس وقالت: «هل تعتقد أني أخذت ما كانت تقوله الطفلة على محمل الجد. هيا يا ماركوس! كانت ملاحظة طفولية دون تفكير. فهي لم تقصد ذلك.»

قال: «لست متأكداً حيال ذلك. منذ خاضت محاولات زواجي أكثر من مرة. ولم تكن على علم كم هي فكرة الزواج غير ملائمة بالأخص في هذه الحالة.»

قالت باقتضاب: «لا تقلق. سأحرص على جعلها تعلم أني على علاقة بشخص آخر.»

«قد تبدو بيكي أكبر من سنها، لكنها الوحيدة في مدرستها من دون أم وهذا الأمر يجعلها عرضة للتأثر. انها بمثابة صفحة بيضاء وهي مصممة على أن أملأ سطورها، وكان هذا واحداً من الأسباب وراء عدم رغبتي في بقائك هنا. وبمنأى عن أي افتراضات من ناحيتها، وان كانت لا تعني لك شيئاً، لكنها في النهاية ستؤذي بيكي.»

«اعتقدت أنك تأكدت بأني سأكون ملمّة بالوضع، لكن ماذا عن آنا؟ أليست معنية بهذا الدور أيضاً؟»

«آنا أكبر منك سناً بمرتين. وهي أكثر من جدّة لها. كما وأنها لا تهتم بالجياد لسوء الحظ، أنت كما أتخيلك،

تقاربين مثال الطفل. شابة، جميلة، تركبين الخيل وفوق هذا كله تبدين وكأنك حورية تخرج من البحر على ظهر جواد أبيض تماماً كما في القصص الخرافية السحرية.»

قالت: «أتوقع أن بيكي ستتعلم تدريجياً بأن الزواج يعتمد على إثنين يقبلان ببعضهما البعض.»

«أتوقع أنها ستفعل ذلك، ولكن هذه مفاجأة غريبة كلياً عن عالم قصص الأطفال كما نعلم جميعاً. من الأفضل اللحاق بها الآن فانها تمضي بعيداً أمامنا.»

سنحت الفرصة الأولى لاليكس لترسي دعائم نظرية «ارتباطها الآخر» عندما اقترح ماركوس أن يقودها إلى محل لتناول الشاي والحلوى عشية يوم الأحد، عندما قالت فجأة، وهي تعرف أن بيكي تنظر إليها: «سأبقى هنا، إن سمحتم لي، علي أن أكتب رسالة إلى أمبروز.»

سألت الطفلة على الفور: «ومن يكون أمبروز هذا؟»

قالت: «صديقي.»

قالت بيكي غاضبة: «إني لا أحب اسمه.»

حذرها ماركوس بحزم قائلاً: «هذا قول فظ، يا بيكي.»

قالت: «آسفة. هل لي أن أرى صورته؟»

كانت اليكس مجبرة على القول: «أخشى أن ليس معي صورة له، فلم يكن هناك متسع لها في حقيبتي.»

ساد الصمت لحظة قالت بيكي بعده: «لِمَ لمْ يأت معك؟»

قالت لها: «لا يسع الأطباء دائماً أن يأخذوا عطلة عندما يريدون ذلك.»

أجابت بيكي: «ألم يطلب منك الانتظار حتى تسنح له الفرصة ويأتي برفقتك أيضاً؟»

هب ماركوس لنجدتها قائلاً: «بيكي، ان استمريت في

طرح الاسئلة طويلاً، لن نحصل على الحلوى ولن يحصل أمبروز على رسالته.» أمسك يد الطفلة وقادها بحزم نحو الباب، ونظرة عينيه تقول لاليكس، ألم أقل لك ذلك؟

تلك الليلة لاحقاً، بعد أن أوت بيكي إلى فراشها، طرح موضوع دفع أجرتها، الأمر الذي أغضب اليكس لأنها تقدمت بعرضها للمساعدة فقط وليس تمديداً للعمل الذي تتقاضى أجراً عليه. قالت، وقد شعرت بالندم للكلمة التي قالتها: «عرضت المساعدة كصديق.»

قال: «أنت تعرفين حق المعرفة اني لا أسمح لك أن تفعلي ذلك.» بدت كلماته وكأنه يشير إليها كم هو مستحيل بالنسبة إليه أن يعتبرها كصديقة. توردت من شدة الإرتباك. وقالت له بنزق: «إذاً، ادفع لي ما تعتبره مناسباً لخادم.»

استهل كلامه قائلاً: «بالطبع، إني لا أنظر إليك كخادم...»

قاطعته قائلة: «لا أريد الخوض في هذا الموضوع. صمم الرأي طالما أنت افتعلت هذه المشكلة ولا تتوقع مني أن أفاوضك كعامل في دكان.»

«أرى أنك قررت أن تكوني صعبة للغاية.»

قالت: «صعبة فقط لأنك تجبرني على أن أكون كذلك.» وخرجت هذه المرة وقد صفقت الباب وراءها بقوة.

كان لها ما أرادت، فقد كان لدى ماركوس أسبوع حافل بالعمل. ولم تره إلا قليلاً. كان يتناول طعامه خارج الدار ويعود في المساء بعد أن تكون قد أوت إلى فراشها.

في يوم، وفيما كانت جالسة في غرفة مكتبه، وجدت على طاولة مكتبه صورة ضمن إطار فضي جميل، تضم الزوجين الباسمين والديّ بيكي.

وقفت اليكس تنظر إليها حزينة لِما آلت إليه هذه الإبتسامة التي فارقت الحياة. على الأقل انهما يرقدان وهم على ثقة أن هناك من يحسن العناية بابنتهما. ليس هناك من عم لديه هذا الشعور الصادق مثل شعور ماركوس تجاه بيكي. ومهما كان ما تحمله اليكس ضده، فانها بالتأكيد لا تنكر عليه ذلك.

لقد أحبت الرجل. فقد كانت تمضي الساعات الطوال تقوم بالمهام الصغيرة والتي هي خير دليل على ذلك، من وضع الزهور على مكتبه، وتقديم صينيات العشاء والتي كانت تعود إليها في الغالب دون أن تمس، اضافة إلى غسل ملابسه.

سألت نفسها باحتقار عندما تيقنت مما كانت تفعله تلعبين دور الزوجة اليس كذلك؟ أيتها الغبية! الخائنة والحمقاء التي لا تعرف الخجل! لذا تعمدت ليلة الأربعاء ألا ترسل له صينية العشاء.

دخل عليها بمكابرة قبل أن تأوي إلى فراشها وأرغمها على أن تعد له شيئاً قائلاً: «إن كنت لا تمانعين أمر سهل، أن تحضري لي شيئاً للأكل.» ورمى بنفسه على الكرسي وأدار جهاز التلفزيون ليشاهد الأخبار، فيما هي مضت نحو المطبخ لتقطع بعض الخبز وتضع في داخله لحم الدجاج.

عندما سكبت له القهوة وحملت فنجانها لتأخذه معها إلى فوق. قال لها: «إبقي هنا واشربيه معي.»

قالت: «حسناً. فقط لعدة دقائق.»

سألها: «هل بيكي بخير؟»

قالت: «إنها بألف خير، تغط في نومها الآن.»

قال: «سأزورها عندما أصعد لاغتسل من غبار المدينة. هل أنجزت فروضها؟»

قالت: «لقد ساعدتها قليلاً في ذلك.»

«عادة يوم الاربعاء يوم سيىء. يا لبيكي الطيبة.»

استمعا لبرهة إلى الأخبار وعندما نظرت إليه اليكس وجدت عيني ماركوس مغمضتين. بدا متعباً جداً. كان ما زال حاملاً فنجان القهوة في يده وقد مال على نحو خطر. نهضت وحاولت أن تأخذ منه الفنجان بلطف.

هفهفت الأهداب الطويلة وانفتحت. وارتسمت ابتسامة دافئة وصادقة غير متوقعة مما جعل قلبها يخفق شوقاً.

قال: «آسف. لقد كان يوماً عصيباً. إنه لأمر غريب أن أفتح عيني وأجدك هنا وليس لائقاً أن أدعهما يغمضان.»

قالت اليكس بهدوء: «ان تكون لائقاً ليس امراً يظهر بقوة على جدول الأعمال بيننا، اليس كذلك؟»

امسك معصمها وقد اختفت الابتسامة ولمعت عيناه بخبث قائلاً: «أنت لا تدعين شاردة تفوتك، اليس كذلك؟»

ركزت على ألا تتأثر بلمسته وقالت: «لا استطيع الا ان اكون واقعية. هل ترغب بالمزيد من القهوة؟»

اطلق يدها وقال: «سأتدبر أمري عندما تغادرين المكان.»

سألها حالما وصلت إلى الباب: «هل اتصل احدهم؟»

أجابت: «لا، اجريت اتصالاً واحداً مع أهلي.»

قال بتوتر: «ليس عليك أن تقدمي تقريراً عن كل اتصال تجرينه، هل اخبرتهم عن مكان وجودك؟»

قالت باقتضاب: «لم ادخل معهم في التفاصيل.»

«ألا تتمنين لو أنك توقيت الحذر تجاه مالك؟ ففقدان المال لم يجعل الحياة سهلة بالنسبة لك.»

قالت: «أو أنت، على أي حال، من قال أن الحياة سهلة؟»

قال: «خبرتي حتى الآن لم تبرهن انها هكذا.»

كما في كل مرة، لم يتوصلا إلى اتفاق طوال الوقت الذي يقضيانه سوية.

توجهت اليكس في اليوم التالي إلى ايستبورن وحصلت على مجموعة من اعلانات للوظائف حول طبيعة عملها. كان عليها ان تفعل شيئاً لتحول تفكيرها تجاه مستقبلها الحقيقي بدلاً من العيش مع أسطورة مستحيلة. أخذت اوراقاً ومغلفين معها وجلست في مقهى يطل على البحر لترسل طلبي توظيف.

دخل ماركوس تلك الليلة قبل أن تمضي بيكي إلى فراشها. كان يحمل كيساً من الورق وقد وضعه بين يدي الطفلة وهو يقول: «اعتقد، ان في داخله شيئاً تتمنينه.»

فتحت بيكي الكيس برغبة وأطلقت صيحة من الابتهاج فيما سحبت بيجاما عليها رسم فأرة.

قالت مستغربة بفرح شديد: «آه، رائع، يا عمي ماركوس! انظري يا اليكس، تماماً مثل بيجامتك!» نهضت متعثرة ورمت ذراعيها حول ماركوس قائلة: «انها رائعة! شكراً لك سأرتديها الليلة، الآن.»

صعدت السلّم بأسرع ما يمكنها، فيما احضر ماركوس كيساً آخر ووضعه على الطاولة امام اليكس قائلاً: «هذه لك. دليل تقدير، ان احببت.»

فتحت اليكس الرزمة بقليل من التحسب. لتخرج منها

غلالة من الحرير والدانتيل المخرم، خضراء اللون، الأكثر اغواءً قد يتمنى اي شخص ان يراها. لكن اليكس حدقت فيها وكأنها حيّة رقطاء تخرج من الكيس.

تطلعت بعينيها اللامعتين احتجاجاً نحو ماركوس وقالت: «ما هذا؟»

أجاب دون مبالاة: «تعبت من رؤيتك وتلك الفأرة اللعينة تزحف فوق صدرك لقد كنت ترتدينها منذ غادرنا الكامارغ. لقد حان وقت غسلها.»

قالت اليكس بطريقة مؤذية: «بالطبع، قد غسلتها، لدي منها زوجان متشابهان.»

قال: «إذاً، حان الوقت المناسب للتغيير، اليس كذلك؟»

وضعت الثوب، في الكيس ودفعته على الطاولة نحوه.

سألها: «ماذا أفهم من تصرفك هذا؟»

ارتفع صوتها قائلة: «بأني لا اقبل هديتك. كان عليك ان تعرف كم هو غير لائق أن تعطيني شيئاً كهذا.»

قال مستغرباً: «توقفي عن التفكير بطريقة سخيفة لقد رأيت الاثنين في واجهة المحل واشتريتهما دون تروٍ. ولم يكن هناك من معنى وباعث خفي وراء ذلك.»

«لقد قطعت مسافة طويلة اليوم خارج المدرسة لأصحح ما قالته بيكي في وصفي لصديقتها آيما بأني اعيش مع العم ماركوس. ان وصل خبر هذه الهدية إلى المدرسة عندها ستصدق الاشاعة وتضيع جميع جهودي سدى.»

نظر بطريقة مؤذية نحوها وقال: «هل الأمر فعلاً بهذه الأهمية ان تؤثر بعض اطفال المدرسة عنه؟»

قالت: «لا بدّ أن الأمر يعني لك الكثير حتى لو ان طفلاً

واحداً حصل على أفكار خاطئة. إذا كانت بيكي ذكية جداً، ألن تأخذ هدية كهذه بأنها ايماءة حميمة جداً بالفعل؟»

في غمرة انفعاله دفع الرزمة على الطاولة لتستقر في حضنها. وقال: «ما تفعلين به لا يعني لي شيئاً. دعيه يتطاير على سارية علم المستشفى، اعطه إلى عامل التنظيفات.»

قالت اليكس: «لا تتصور أني سأفعل غير ذلك!» امسكت الكيس وتوجهت نحو الباب وكأنها تحمل قنبلة لم تنفجر بعد.

قال لها: «افعلي ما بدا لك. لقد ارتكبت غلطة. لم ادرك بأنك امرأة متخلفة ذات عقلية تعود إلى العصر الفيكتوري.»

«فكّر كما تشاء. اني سعيدة لأقول ان آنا قد اتصلت بعد ظهر اليوم وستعود إلى هنا يوم السبت.»

قال: «شكراً على ذلك.»

مضت إلى فوق مصممة على ألا تخرج من غرفتها تلك الليلة. سمعت ماركوس وهو يصعد ويتحدث إلى بيكي في غرفتها، ثم يعود ليقفل على نفسه داخل المكتبة. عندها فقط شعرت بالارتياح لتبدأ بترتيب الاشياء التي لن تكون في حاجة إليها ثانية، لوضعها في حقيبتها.

كانت قد غسلت شعرها وجففته وعلى وشك ان تخلع ثيابها وترتدي عباءة النوم الخضراء وتندّس في الفراش، عندما سمعت قرعاً ناعماً على باب غرفة نومها.

اسرعت اليكس إلى اطفاء النور وحبست انفاسها.

قال ماركوس بصوت ناعم: «ليس امراً جيداً التظاهر بأنك نائمة، لقد رأيت النور، هيا يا اليكس.»

www.elromancia.com

مضت ببطء نحو الباب وفتحته وقالت: «كنت على وشك ان آوي إلى الفراش.»

«اسمعي، كان ذلك جدالاً سخيفاً. لا يستحق الذهاب إلى النوم من أجله. لقد اعددت الشاي. تعالي وتناولي كوباً.»

قالت ببطء: «حسناً، إذاً.» وتبعته إلى الاسفل.

سكب لها الشاي ودفع بصحن من البسكويت بالشوكولا نحوها.

قال: «بادرة سلام. لم اقصد حقاً ان اضايقك. ربما كان عليّ أن اختار هدية اقل خصوصية. لقد رأيت قميص النوم في الواجهة وفكرت على الفور أن هذا هو لونك المفضل. ولم اكن اقصد شيئاً غير ذلك.»

فيما التقت عيناها بعينيه الرماديتين، شعرت اليكس أن كل هواجسها قد ذابت. وقالت: «اعتقد أني تماديت كثيراً في ردة فعلي، لا انكر بأنه كان شيئاً جميلاً.» وقد شعرت بأن كلمة «ثوب النوم» كان مستحيلاً عليها قولها وفيها ايحاء مثير على المدى البعيد. ومن شدة خوفها بدأت يدها تهتز وهي تتكلم وكذلك صوتها. وضعت الفنجان واستدارت لتفر هاربة.

وقف قبالتها ومنعها من المغادرة قائلاً: «اليكس...» كان تعبيره رقيقاً. وتأثرت بذلك مما دفعها إلى ان تشهق بصوت عالٍ وتمسح دموع عينيها بكّم روبها.

قالت: «لا اعرف ما الذي يحدث لي. أثور للحظة ثم أنفجر باكية بعدها.»

تراجعت إلى الوراء وقالت: «لكني اتوقع ان الدموع ونوبات الغضب حالة سوية للمسار عندما يجتمع واحد من آل ليوارد وآخر من آل ويكفورد.»

قال: «اللعنة على الليوارد! واللعنة على الويكفورد!»

تغيير تعبيره بدا هزلياً، قالت: «اعتقد أني سأخذ الشاي لاتناوله فوق.» والتقت عيناها اللامعتان بعينيه فيما انحدرت دمعة جرت على خدها واضافت: «قبل أن تتحول مبادرة السلام إلى سلاح للحرب.»

قال بشراسة: «امضي إذاً، اهربي! للحظة واحدة اعتقدت فعلاً أنك كنت ستنسين من أي عائلة أنت.»

«لا أظن ان أي واحد منا قادر أن يفعل ذلك يا ماركوس.»

طوى ذراعيه وراقبها وهي تمضي. عندما وصلت إلى الباب سمعته يطلق ضحكة مرة. «كثير عليك هذا التصرف المثالي.» عبارة سمعتها وهي تصعد الدرج.

بتصميم ملحّ، أخبرها ماركوس في اليوم التالي بأنه مصمم على ألا يفترقا وهما متخاصمان. فهو سيأخذ عطلة بعد الظهر، حيث يمكنهما اصطحاب بيكي من المدرسة ويمضيان في نزهة إلى برلينغ غاب. نزهة صغيرة فقط، لأنه عازم على اصطحابهما سوية لتناول العشاء مساءاً في الخارج. اعترضت اليكس بأنه ليس مضطراً ان يفعل ذلك، أجابها بأنه يعرف هذا ولكنه عليه أن يفعل ذلك. فكرّت في الأمر عندما رحل واعتقدت أنه لا بأس في ذلك طالما ان بيكي ستكون معهما طوال السهرة. فوجود الطفلة معهما سيساعدها كثيراً في السيطرة على نفسها.

كانت النزهة جيدة. مع أن اليكس فكرت أن قلبها كاد ينخلع فيما كانت تراقب ماركوس وبيكي. كانا كلاهما عزيزين إليها... فكرت في صورتهما التي ستبقى في ذاكرتها لتعذبها في احلامها فيما قد تصبح عليه طيلة حياتها.

كانوا يستعدون للذهاب وتناول العشاء في الخارج، عندما جاء ماركوس إلى غرفة اليكس ليقول ان بيكي ليست على ما يرام. فهي تشعر بأنها مريضة وتريد الذهاب للنوم.

اخبرته اليكس قائلة: «إذاً يجب علينا أن نلغي حجز الطاولة لهذه الليلة، فهناك لحم في البراد.»

قال: «لكن بيكي لا تريد ذلك. في الواقع لقد اتصلت بالسيدة آرلتون حتى قبل أن تخبرني بأنها متوعكة وطلبت منها أن تحضر وتجلس معها. وهي تقول انها لا تريد أن تفسد علينا الأمسية.»

أخذت اليكس على حين غرة بهذه المبادرة. وقررت بعد لحظة قائلة: «لا أبالي اطلاقاً في البقاء هنا.»

قال لها وهو ينظر إلى ثوبها الأسود، فيما الشال الايطالي يتدلى من يدها: «لكن بيكي تبالي كثيراً جداً، لا، أنت على أهبة الاستعداد. اعتقد ان علينا ان نمضي قدماً فيما خططنا له، فليس من خطب ينال بيكي حتى وإن يكن ذهابها إلى النوم باكراً لن يشفيها.»

قالت: «إن كان فعل ذلك يسعدك...»

قال وهو يستدير لينزل إلى الأسفل: «لست سعيداً تماماً بأي شيء. إنما الأمر هو الاختيار بين أهون الشرين.»

زادت شكوك اليكس حيال دوافع بيكي عندما دخلت إليها لتودعها. وقالت لها عندما رأت الثوب الأسود: «عمي ماركوس سيحب ذلك! إنه عاري الكتفين اليس كذلك؟»

قررت اليكس ان لا جدوى من قول أي شيء. فغداً سينتهي كل ذلك وستعود بيكي لتستقر ثانية بين يدي آنا.

لم يجد كلاهما هي وماركوس بأن الامسية سهلة. فالكهف الذي كانا يجلسان فيه كان معداً للجلسات الحميمة.

لكن، بدا ان كليهما لم يكونا في هذا الوارد. فالمحادثة السطحية كانت أفضل ما توصلا إليه. كانت اليكس تجد صعوبة كبيرة في تناول طعامها على الرغم من أنه كان طعاماً شهياً. وكلاهما اعتذرا عن قبول الحلوى من صينية ضخمة جلبت إلى طاولتهما.

لقد بذلت جهداً كبيراً لترفع كأسها وتقول: «هذا نخب مستقبل خالٍ من المتاعب يا ماركوس.»

رفع كأسه بايماءة ظاهرية وقال: «سأشرب ذلك، لكن دون إيمان كبير بحدوث المعجزات، مهما كان حجم ما يفعله ذلك بالنسبة إلى طفلة مثل بيكي ورجل لديه الكثير من الأعمال ليقوم بها.»

أخفضت اليكس عينيها وسألته: «هل فكرت يوماً أن تفعل ما تريد بيكي منك ان تفعله، الزواج؟»

شعرت ان الصمت أصبح مهزاً للمشاعر، وان يكسر جداره تحطم كأس ماركوس الفارغة في يده المشدودة عليه. بدا وكأنه غير عالم بما فعله. قالت بصورة واهية: «لقد عنيت فقط أن الأمر سيكون اسهل بكثير عليك، فإن بيكي محقة في ذلك.»

قال بقوة: «هل هذا ما يعنيه الزواج لك؟ الحياة سهلة؟ ولا وجود للمتاعب اطلاقاً؟»

قالت: «أنت تحرّف سؤالاً بريئاً تماماً.»

قال: «إذاً دعيني أجيب عن سؤالك البريء برد تهكمي. لقد تعلمت بسرعة ان جنسكن بعيد عن العيون الحالمة عندما يأتي الأمر إلى الزواج. فرجل يملك منزلاً جميلاً ولديه ابنة اخ تحتاج إلى عناية اكثر مما يحتاجه الطفل العادي، أمر

غير مرغوب فيه. ولأعيد عليك ما قلته أنت حرفياً، حتى ولو كانت «فدية كبيرة» لن تجعل عرضك قابلاً للتنفيذ. تحمل ذلك لاسبوع هو أقصى ما يمكن لأحدهم أن يتقبله. مواجهة واحدة او اثنتان من هذا النوع من التصرف تجعلان الرجل يتخلى سريعاً عما يسمونه الجنس اللطيف. فأنا وبيكي سنتدبر أمورنا على طريقتنا. لكن كفانا حديثاً عني. دعينا نتكلم عن واحدة قد احسنت تنظيم حياتها جيداً. أخبريني كيف حال ايلين هذه الأيام؟»

اصيبت بالذهول عندما سمعته يذكر اسم اختها بهذا القدر من السخرية. جاوبته باختصار: «إنها بألف خير.»

«واحدة من المحظوظات في أن تجد شريكاً مناسباً؟»

«أجل، ولقد سبق وعلقت على ذلك. لا اعتقد أن هناك شيئاً تكسبه من وراء مناقشة أمر أختي، أليس كذلك يا ماركوس؟»

«اني سعيد لأعرف بأنها سعيدة. من المؤكد أنك لا تجدين خطأ في ذلك؟»

قالت اليكس باهتياج: «سعادة ايلين توقفت على أن تكون امراً يعنيك منذ وقت طويل.»

قال وقد التقت عيناه بعينيها رافضاً ان يدعها تنظر جانباً: «ومع هذا يبدو أنك ما زلت تحملين ضغينة تجاهي لما حدث منذ أكثر من سنتين. إني اجد ذلك امراً غريباً.»

ارتفعت حدة غضب اليكس، مما جعل الشرر يتطاير من عينيها وقالت: «أمر غريب؟ لو أن تلك الأمور لم تحصل بينكما أنت وايلين، لكانت بقيت في هذا البلد. كيف تتوقع ان يكون شعورنا؟ إنها اختي الوحيدة وبالكاد استطيع رؤيتها. فوالداي لديهما حفيد ولم يتعرفا عليه بعد.»

قال: «الواقع أن ايلين شعرت أن هروبها كانت غلطتي. إذا لم تستطع أن تقوى على ما حدث. فالأمر عائد إليها. فأنا ما زلت هنا.»

قالت بهدوء: «لست بصدد مناقشة ما حدث بينك وبين ايلين. ارغب في العودة إلى المنزل يا ماركوس.»

قال: «الا تعنين أنك تريدين العودة إلى شاستس؟ حسناً. هذه الليلة كانت غلطة. وهذا الاسبوع برمته كان غلطة. والغلطة الأكبر من هذا كله هو انسياقي وراء الفكرة بأنك يمكنك أن تأخذي مكان ليز.»

نهض واقفاً ليسحب كرسيها إلى الوراء. فقالت: «اوافقك الرأي. على أية حال، شكراً لك على هذا العشاء.»

«العشاء في زنزانة منفردة قد يكون أفضل من هذا.»

فيما نزلت من السيارة في شاستس. تعثرت اليكس بحصاة على الأرض مما اتلف كعب حذائها. فسقطت على ماركوس. ولم تكن هذه الملامسة الفجائية امراً يمكنها استدراكه... وبدا ان كليهما لا يستطيعان استدراكه.

قال بوحشية: «لا تتكلمي! ما فائدة الكلام بيننا؟ فالكلمات لا تفعل شيئاً سوى التفريق بيننا خصوصاً عندما اعرف ان وراء كل هذه الكلمات يكمن هذا...» انحنى وقبلها وأحست بنيران التجاوب تتأجج في داخلها. كانت شفتاها، يداها وجسدها في شوق إليه كما هو حاله نحوها.

دفن وجهه في شعرها وقال: «منذ البداية لقد دفعتني نحو الجنون. لقد حاربتك وخدعتك وأقنعت نفسي بأني اكرهك. لكن تحت كل هذا لم اطلب شيئاً من ذلك. وأنت ايضاً تشعرين بذلك يا اليكس. ليس في إمكانك ان تنكري. فإني

ارى ذلك واضحاً في عينيك، واسمعه جيداً في صوتك. واشعر به كهالة حول جسدك عندما اقترب منك.»

قالت بصوت مخنوق: «ماركوس...» دفعت صدره عنها مستخدمة كل قوتها وتابعت: «لا فائدة من الأمر. فالكلمات موجودة هناك سواء قلناها أم لا. والسبب الذي فصلك عن ايلين كامن هناك كما هو الحال بيني وبينك الآن. هذا ليس سوى جنون وعندما يختفي هذا الجنون، ستكون الكلمات في انتظارنا حتى نسمعها جيداً. فما من شيء سيتغير.»

حكمت ذراعاه الطوق حولها وقال: «كيف يمكنك قول هذا، الآن، وأنت قريبة مني إلى هذا الحد؟»

سألته بانكسار: «وما الفارق ان قلت ذلك أم لم اقله. فالوضع الذي يفرقنا لن يرحل عنا. وكلانا نعرف ذلك.»

في تلك اللحظة فتح الباب بقدر ما تسمح له سلسلة الأمان المتصلة به ملقيا الضوء في الممر وقد انبعث صوت السيدة آرلتون وهي تقول: «هل هذا انت يا سيد ويكفورد؟»

تراجعت اليكس وقالت مرتعبة: «لا استطيع مواجهتها.»

استعاد ماركوس سيطرته على نفسه وقال بهدوء وهو يتجه نحو الباب: «أجل، يا سيدة آرلتون. فقد ذهبت اليكس لتوها لتتفقد الجياد هل كل شيء على ما يرام؟ وهل انت جاهزة لأوصلك إلى المنزل؟»

سمعت اصواتهما تختفي تدريجياً داخل المنزل ودفعت نفسها نحو الشجيرات. ولم تتحرك ثانية حتى خرجا من المنزل ودخلا السيارة وشقا طريقهما في الظلام. ثم دخلت المنزل بصمت ورأت صورتها الشاحبة في مرآة الصالة

وهي تصعد السلم إلى غرفتها. كان عليها الرحيل، وان لا تعرض نفسها لمزيد من العذاب مع ماركوس.

انهت توضيب امتعتها. بعد ذلك، جلست اليكس عند النافذة في الظلام تذرف الدمع ببطء على خديها وهي تعرف أنها لن تغفو ولو للحظة، منتظرة بزوغ الفجر في الأفق. وما أن شق الضياء طريقه في السماء. مضت بحذر إلى الطابق الاسفل. لم يسمعها أحد. وتركت ملاحظة لماركوس تشرح له فيها أنها لم تجد وسيلة اخرى توصلها إلى المحطة، وتقول له انه يمكنه أن يجد السيارة متوقفة عند موقف السيارات في المحطة. وكتبت ملاحظة أخرى لبيكي تقول فيها انها تكره لحظات الوداع، ووعدتها أن تكتب لها عن قريب، رسالة إلى بيكي فقط مرسلة لها فقط.

مع نظرة أخيرة نحو البيت القديم الحبيب، انطلقت راحلة. وألم الفراق خلف الدموع، خلف الكلمات وقد جعل قلبها ثقيلاً وضخماً بحجم صخرة في صدرها...

الفصل التاسع

دخلت اليكس البيت بعد ما دفعت اجرة التاكسي التي أقلتها إلى منزل والديها وهي في طريق عودتها إلى كنغستن عن طريق البحر. لم يكن هناك أحد. لا بد أن والدها يمضي وقته بلعب الغولف بعد ما حثه الطبيب أن يلعب بحذر مرة واحدة في الاسبوع، وحدث تدفق الماء في الطابق الأعلى جعل الأمر واضحاً بأن السيدة ليوارد في الحمام. كانت اليكس سعيدة بأن لديها الوقت الكافي لتشرب فنجاناً من القهوة قبل أن تقول لوالدتها ان كل شيء على ما يرام.

رنّ جرس الهاتف بينما كان ابريق القهوة يغلي على النار. التقطت السماعة وكررت رقم الهاتف تلقائياً.

سمعت صوت ماركوس يقول: «إذاً، أنت هناك.»

رمت السماعة جانباً وكأنها قد التقطت أفعى عن طريق الخطأ. لا يمكنها التحدث إليه. وادارت المجيب الآلي للهاتف، في الوقت المناسب، حيث رن جرس الهاتف ثانية. وبعد رنات ثلاث جاء صوت ماركوس هذه المرة هادئاً وقال: «اليكس، من الواضح أنك وصلت إلى المنزل بأمان، مع أنه كان من الأفضل أن تطلعينا على ذلك. عليّ أن اتحدث معك بشأن المال الذي ادينه لك. من فضلك تناولي سماعة الهاتف. كل ما اريده هو رقم حسابك في المصرف.»

المال... هذا كل ما في الأمر. كان ألماً يفوق التصور أن يكون المال فقط هو ما تبقى بينهما لتسويته. اقفلت المجيب

الآلي. إن كان يريد التحدث عن المال. فيمكنها تقديم رأيها حيال هذا الموضوع. وبهدوء اكثر، التقطت اليكس سماعة الهاتف عندما رن ثانية وسمعته يقول: «هكذا أفضل...» قبل أن تقاطعه قائلة: «لا أريد أن اتحدث معك بعد الآن يا ماركوس. لا بد أنك تعرف كم هو غير لائق أن تتصل بي في منزل اهلي. كما وأنني لا اريد مالك. هناك بعض الأشياء التي يمكن تعويضها ببساطة عن طريق المال. والأسبوع المنصرم كان واحداً منها. ارجوك لا تتصل ثانية.»

عندها، ودون أن تعطيه فرصة ولو لثانية واحدة بأن يجيب اعادت السماعة إلى مكانها لترفعها من جديد وتتركها تتأرجح في الهواء.

القت السيدة ليوارد نظرة واحدة على وجه ابنتها الشاحب عندما نزلت السلم وهي تتثرثر بارتياح فيما كانت ترتشف قهوتها وتقضم بدون شهية قطعة من الخبز المحمص، سألتها أمها برفق: «هل كان اسبوعاً قاسياً؟ لا تبدين تماماً وكأنك عائدة إلى المنزل بعد تمضية عطلة جيدة.»

قالت اليكس: «قاسياً فقط لأنني لم أتفق مع الرجل الذي كنت أعمل معه. كان صراعاً ثابتاً بين طباع مختلفة وليست هذه الظروف بالأمر السهل.»

سألتها السيدة ليوارد غير مقتنعة: «إذاً، لماذا وافقت على البقاء لمدة اسبوع آخر بمجرد عودتك إلى انجلترا؟»

قالت: «لأني تعاطفت مع مشكلة الموظفين التي كانت بانتظاره. ولم ارغب أن ادعه يقوم بذلك وحده. اضافة إلى أن الفتاة الصغيرة التي كنت اعتني بها كانت جميلة للغاية. على أية حال. لقد انتهى ذلك الآن. دعينا ننسى الأمر.»

كانت السيدة ليوارد تعرف اليكس جيداً وكانت متأكدة أن هناك أكثر مما كانت ابنتها ترغب في الافصاح عنه، لكنها تيقنت من نبرة التصميم في صوتها ولم تسألها أية أسئلة أخرى.

عندما عاد السيد ليوارد من نادي الغولف وقد بدا أفضل بكثير، رأى اليكس وكان جل اهتمامه منصباً على تعنيفها لأنها لم تدعه يعرف شيئاً عن متاعبها المالية في الكامارغ. أخبرته اليكس بانها لم ترغب في أن تقلقه، وذكرته بأنها اصبحت كبيرة كفاية لتحل مشاكلها بنفسها ثم انتقلت في حديثها عن بحثها عن وظيفة جديدة.

خلال الأيام التالية تدبرت أمرها ظاهرياً وفي وضح النهار لكن في الليل كانت الكوابيس تنتابها واحدة تلو الأخرى. وكانت كلها لها صلة بماركوس ويكفورد.

في ليلة راودها كابوس كان الأسوأ. رأت نفسها عند حافة هوة عميقة، والتي كانت تتسع وتكبر باستمرار وكان على الجانب الآخر يقف ماركوس والهوة تدفعه بعيداً عنها كلما كبرت الحفرة الفاصلة بينهما. وشعرت بالأسى المطلق عندما رأته يختفي وراء الظلال وتيقنت كم كان الأمر مستحيلاً بالنسبة إليها أن تصل إليه ولا تستطيع لمسه.

لا بدّ أنها صرخت في أثناء نومها، لأنها عندما عادت إلى رشدها وجدت المصباح مضاءاً قرب سريرها وقد انحنت والدتها فوقها.

سألتها بكثير من الود والاهتمام بعدما جلست إلى جانبها: «اليكس، ما الذي يسبب لك هذه الاحلام المزعجة؟ ليست هذه المرة الأولى التي تصرخين فيها وأنت نائمة. هل هناك أمر تشعرين أنه من الأفضل اطلاعي عليه؟»

ساهم الليل والكابوس في جعلها سهلة التأثر. فبمجرد أن تأكدت ان والدها ما زال يغط في نوم عميق. أفضت اليكس بكل ما تعرفه لأمها وقد وجدت في ذلك عزاءاً مؤقتاً في مشاركتها معرفة ما كان يضعها في حلقة من العذاب اللاواعي. اصغت السيدة ليوارد بصمت لعدم تصديقها المبدئي بأن ماركوس ويكفورد واليكس قد التقيا سوية بتلك الطريقة الغريبة، وبدا وجهها هادئاً، عطوفاً ومهتماً حتى نهاية القصة. وخلصت اليكس إلى القول بكلمات متعثرة: «لا بد وأني الأكثر حماقة في هذه الخليقة. لم يخف امتعاضه عندما اكتشف أني شقيقة ايلين. لم يدعني لحظة واحدة أشعر بأنه يمكن أن ينسى بأني واحدة من عائلة ليوارد التي يكرهها، ومع هذا اصريت ومضيت قدماً في ألا يكون هذا عائقاً بيننا.»

قالت السيدة ليوارد بهدوء: «نحن لا نختار من نحب، إن وقعنا في غرام شخص ما وكان مناسباً، بغض النظر ان كان اهلاً لذلك، وإن بادلنا الحب ذاته فعندها تكون، معجزة المعجزات، ونكون حقاً أناساً محظوظين.»

ردت اليكس: «لكن احدهم قد تسبب بمرض والدي!»

قالت أمها بثبات: «ليس ماركوس ويكفورد الشخص الوحيد الذي يقع عليه عبء هذه المسؤولية، فايلين قد شاركت في اللعبة وخسرت. ووالدك قد أنذر مراراً من قبل طبيبه، ومنذ عدة سنوات، أن لا يأخذ الأمور على محمل الجد، لكنه مضى يعمل فوق طاقته. مع أنه يمكن القول ان ردة فعل ماركوس عندما اكتشف خداع ايلين له قد اطلقت عقال تلك الأحداث البالية والمزمنة التي كانت تهدد العائلتين على

مر السنين. لقد آن الاوان بأن تلك النزاعات القديمة قد نسيت. فقد سببت ضرراً كافياً على مر السنين.»

قالت اليكس بتعاسة وهي تمسح وجهها الرطب بمنديل: «حاولي اخبار ماركوس بذلك فهي دائماً حية وجاهزة في تفكيره. لكن الآن وقد حملتك وزر هذا السر المخزي، ربما يمكنني أن اعوّد نفسي على نسيانه. لقد حصلت على مقابلة نهار الغد. وهذا أمر جيد في أن اتطلع إليه.»

قالت أمها مقتنعة: «أمر واحد من عدة أمور، يا حبيبتي.»

حصلت اليكس على الوظيفة. بديلة مؤقتة مكان شخص ما يتعافى من جراء جرح اصابه أثناء ممارسة رياضته، لكنه كان شيئاً تقوم به، شيئاً يستحوذ على أفكارها حتى تجد وظيفة دائمة لها.

تبادلت بضعة رسائل مع بيكي، وهي تخبر نفسها بأن تلك المراسلة سوف تموت طبيعياً من جانب الفتاة بعد وقت قصير. وكانت رسالة بيكي المليئة بالاخطاء الاملائية تدور في مجملها حول أخبار ميسترال والمباريات القادمة والذين هم اول من يشارك بها. كان هناك إشارة واحدة عن ماركوس الذي وصفته بيكي في لغتها بأنه «مشتغل جداً.»

كان هناك العديد من الناس يرغبون في صداقتها في عملها الجديد في المستشفى وقد قبلت اليكس معظم الدعوات الاجتماعية التي تلقتها.

في ليلة، بينما كانت في المنزل، تفاجأت عندما ردت على الهاتف وسمعت صوت بيكي على الخط الآخر.

قالت اليكس: «بيكي! كم هو جميل أن اسمع صوتك!»

كان لدى الطفلة مطلب، وقالت مباشرة: «يا اليكس، إن

عرض الالعاب والمباريات يبدأ يوم السبت ولدى عمي ماركوس اجتماع عمل سخيف. اريد شخصاً يعرف ميسترال جيداً ليراقبنا. هل يمكنك الحضور؟ أرجوك!»

سمعت اليكس النداء الملح، وتصورت كم ستكون خيبة أمل بيكي لأن عمها لا يستطيع رؤيتها وهي تركب الجواد.

سألتها بحذر: «هل عمك موجود معك الآن؟»

قالت: «لا، إنه هناك يعتني بالجياد. اريد شخصاً يهتم بي هناك. ارجوك يا اليكس.»

قالت اليكس: «اعتقد أن آنا ستشجعك، اليس كذلك؟»

قالت: «أجل... لكنها لا تعرف ميسترال حقاً. ليس مثلك أنت. إنه عرضنا الأول يا اليكس.»

قالت اليكس بلطف: «اعتقد أنه ليس عليك القيام بذلك، مع انني افهم خيبة املك.»

قالت الطفلة: «في استطاعة أي كان الحضور. تدفعين ثمن التذكرة عند البوابة. صدقاً انها لا تكلف الكثير، وهي ليست بعيدة عنك كثيراً. أليس كذلك؟ لقد رأيت ذلك في الخارطة.»

الّح الصوت المرتعش قائلاً: «أرجوك... لقد حصلت على موعد دخولي ثانية إلى المستشفى.»

قالت اليكس: «ربما فقط هذه المرة، بما أنها المرة الأولى بالنسبة إليك...»

قالت الطفلة: «آه، شكراً لك يا اليكس. ستقام المباراة في حقل إلى جانب الطريق وستكون هناك يافطة كبيرة.» ودخلت معها في تفاصيل مثيرة حيث مكان اقامة العرض بالتحديد، مشددة على الوقت وجداول مواعيد الاحداث الرياضية وأقفلت الخط بعد ما امطرتها بوابل من الشكر.

لامت اليكس نفسها على تصرفها غير العاقل. لكنها قامت به الآن، ولن تتراجع في كلمتها.

كان يوم السبت مشمساً. ارتدت اليكس ثوباً قطنياً وانتعلت حذاءاً ملائماً لأرض الملعب، وقد عقصت خلف شعرها المتوهج شالاً ذهبياً مخططاً باللونين الأسود والنحاسي. كانت الأرض حيث تُقام المباريات تعج بالمتبارين وهم يتحضرون لتقديم عروضهم عندما وصلت واوقفت سيارتها الصغيرة في الموقف. جالت بين حشود الأهالي، والأحصنة الصغيرة تبحث عن ميسترال.

رأتها أخيراً عند نهاية الحقل. كانت بيكي في سترة الركوب. وسروال الركوب المعد خصيصاً لها قد غطى «رجليها الاخرين» كما كانت تدعو المسماكين. كانت تضع اللمسات الأخيرة على ناصية ميسترال المثالية فيما كانت تراقبها سيدة وكأنها أمها والمفترض أن تكون آنا، وقد ظهر على وجهها مسحة صغيرة من القلق انتابتها حين فكرت ببيكي في حال سقطت عن الجواد.

نادتها بفرح: «مرحى، أيها الفارس!»

استدارت بيكي ورمت نفسها بين ذراعي اليكس. وقالت لها بحرارة: «شكراً لك على قدومك.» ثم قالت بلهجة منخفضة على عجل: «لن تصابي بسوء أليس كذلك؟»

تساءلت اليكس للحظة ما الذي قصدته من وراء هذه التحية الغريبة، لكن عندئذٍ، ومن فوق كتف بيكي حصلت على التفسير. هيئة رجل طويل القامة مألوف لديها كان يتقدم عند زاوية عربة الحصان، رجل له شعر اسود لامع، وعينان رماديتان تنظران إليها وقد بدت عليهما عبارات الصدمة

الكلية. وشعرت اليكس وكأن الدم قد تجمد في عروقها.

كانت بيكي ممسكة بيدها قالت وقد ساد صوتها قليل من الارتعاش: «نسيت أن اخبرك يا عمي ماركوس، اني قد طلبت من اليكس أن تأتي وتراني اليوم.»

قال ماركوس بطريقة تنذر بالشر: «غريب أن تنسي.» لكنه مدّ يده تجاه اليكس وقد ضبط اعصابه قائلاً: «طاب يومك يا اليكس. هذه مفاجأة.»

ماذا حدث للاجتماع الذي كان من المفترض أن يكون حائلاً عن عدم حضوره إلى هنا اليوم؟ نظرت في عيني بيكي ورأت فيهما بريق الشعور بالذنب، اللعنة، لقد غُرّر بها على يد فتاة في السابعة من العمر.

كان ماركوس يسألها بطريقة ناعمة ليسّهل عملية التعارف: «لم تلتق بآنا من قبل، أليس كذلك؟»

قالت آنا الوحيدة بينهم التي كانت حقاً على سجيتها: «لقد سمعت الكثير عنك. فبيكي لم تتوقف في الحديث عنك منذ رحيلك. كان جميلاً منك أن تأتي وتلبي الحالة الطارئة.»

قالت اليكس: «كيف حال اختك الآن؟ لا بد أنها قد مرت في وقت عصيب جداً.»

«انها تتحسن باستمرار. سأزورها في الغد لأتأكد من ان كل شيء على ما يرام.»

دوى صوت عبر مكبر الصوت يدعو المشتركين في المباراة الأولى إلى التوجه إلى نقطة الانطلاق. وانسحبت بيكي شاكرة وقد تبعتها آنا التي قالت انها تريد التحدث مع والدة آيما صديقة بيكي. وخفق قلب اليكس استحساناً كقرع الطبول لفكرة أن تبقى بمفردها برفقة ماركوس.

قال ماركوس فجأة: «ما كان عليك الحضور. ما قصدك من وراء ذلك؟»

أجابت اليكس بفظاظة متساوية: «هل تعتقد أني كنت قمت بذلك لو عرفت أنك ستأتي إلى هنا؟»

قال: «ليست بحاجة لكثير من التخيلات لتعرفي أني بالطبع سأكون موجوداً لمشاهدة ابنة اخي تركب الجواد الجديد في أول مباراة لها.»

قالت: «لقد أوحي إلي بأن لديك اجتماع عمل مهم اليوم.»

قال: «كذلك أنا. لقد فعلتها ثانية تلك الطفلة اللعينة، اليس كذلك؟ الكثير من التخطيط والكثير من الفضول العابث. لكن، لم يكن عليك أن تكوني حمقاء بهذا القدر لتقعي في هذا الشرك.»

قالت: «هل تعتقد أني لا اقول ذلك لنفسي؟ لكن عندما قالت لي ان لديها موعداً لدخول المستشفى...» وشكّت اليكس فجأة بذلك ايضاً وقالت: «هل هذا صحيح؟»

قال باختصار: «على الأقل هذا أمر صحيح.»

«أنا هنا الآن. سأراقب بيكي في ركوبها، ويمكنك أن ترتاح وانت متأكد بأني سأرحل بعد ذلك. فليس لدي رغبة لأطيل عمر تجربة بدت واضحة انها غير مستحبة لكلانا.»

ساد الصمت ثانية فيما كانا يحدقان في الاطفال الذين يركزون بقوة على حث الجياد الصغيرة التي تجري على حلبة السباق.

قالت وقد الحّت عليها الحاجة أن تبرر نفسها: «كل ما اردته أن لا تشعر بيكي بخيبة الأمل في ألا يكون هناك أحد يعرف ميسترال جيداً ويشاهدها وهي تمتطي صهوة الجواد.»

قال: «وهل تعتبرين نفسك بأنك تعرفين ميسترال جيداً؟

هل هذا صحيح؟» وبدت السخرية واضحة في صوته. وقبل أن تجد جواباً لترد عليه مضى قائلاً: «دعينا نركّز على السباق. نحن نحوّل انتباهنا إلى امور غير مستحبة.»

أنقذت آنا الموقف بعودتها والانضمام إليهما. وبدأ سباق بيكي. راقبوها بانتباه، وقد تناسوا الأمور الشخصية وهتفوا بقوة عندما حلّت بيكي في المرتبة الثانية، وبأمان.

قالت اليكس وقد رمقت ماركوس بنظرة هجومية: «أمر يستحق القدوم من أجل مشاهدته، لكني أخشى بأني يجب أن اذهب الآن. فلدي اعمال أخرى لانجزها اليوم.»

قال: «لا يمكنك المغادرة الآن فما زال هناك سباق فاصل يحدد ترتيب الرابحين. في إمكان بيكي أن تبذل جهداً إضافياً وتحتل المرتبة الأولى. فلا جدوى من حضورك اليوم إلى هنا إذا لم تتابعي المباراة حتى نهايتها.»

أضافت آنا باقتناع حار وصادق: «آه، اجل. ابقي معنا وشاهدي تقديم الجوائز ايضاً.»

بقيت اليكس لترى بيكي وقد حافظت على مرتبتها الثانية بشكل نهائي، شعرت أن قلبها يكاد ينفجر زهواً، عندما رأت الطفلة الصغيرة تمضي قدماً لاستلام جائزتها.

أخبرت بيكي عندما عانقتها: «لقد كنت رائعة!»

قالت: «لا، بل هو ميسترال.» وربتت على عنق الفرس وأضافت: «ألست سعيدة يا اليكس لرؤيتها ثانية.»

قالت: «بلى، لكن عليّ أن اذهب الآن.»

نسيت بيكي السباق وارتعبت عندما رأت مخططاتها تنهار، وقالت: «ولكن هناك شاي في الخيمة الكبيرة!» ثم صاحت: «عمي ماركوس اجعل اليكس تبقى معنا لتناول

الشاي!» نظرة ماركوس الحازمة ابدت عدم رغبته في تلبية طلبها. قال: «لدى اليكس مشاريع أخرى اليوم. قولي لها وداعاً الآن، وبعد ذلك تذهبين إلى الخيمة الكبيرة برفقة آنا فيما اوصل ضيفتك إلى سيارتها.»

عرفت بيكي أنها وصلت إلى حدود التصرف المسموح. عانقت اليكس وهمست لها قائلة: «أنا آسفة يا اليكس.» عرفت اليكس أن هاتين الكلمتين عنت بهما الإشارة إلى الدعوة، وليس إلى خيبة أمل الطفلة لأنها ستتركها.

أجابتها اليكس هامسة: «لا تقلقي. لكن ابقي على مشاريعك المستقبلية لميسترال، اتفقنا؟»

مشى ماركوس إلى جانبها في صمت فيما اتجها نحو موقف السيارات. قالت اليكس بغضب: «هذا أمر سخيف! هل عليك أن تبدو وكأنك تدفعني إلى خارج المبنى؟»

قال: «لا تكوني سخيفة. فسيبدو الأمر فظاً إذا لم اوصلك بأمان إلى سيارتك.»

«ألم تحدث معك بأني قد افضل ذلك النوع من الفظاظة على هذا العرض من الاخلاق الحسنة الذي لا معنى له؟»

«لم يحدث واقلقت فكري بما تفكرين فيه الآن.»

وعندما وصلا إلى السيارة. وضع يده على باب السائق ليمنعها من الدخول إليها. وقال: «اتمنى أن تكوني قد تيقنت مدى التهور ان حاولت تكرار ما حدث اليوم.»

قالت اليكس بعصبية: «لا تقلق. لن تكون هناك محاولة أخرى، فلن تجرني الجياد البرية في هذا الاتجاه ثانية.»

قال: «لا تثقي ابداً بالجياد البرية. فاثنان من هذه المخلوقات قد اوصلانا إلى هذا الوضع المؤسف.» تنحى

جانباً عن الباب مما جعلها تجلس في مقعدها وهي تسعى يائسة للهروب منه.

دار المحرك مرة، ثم رفض ان يظهر أي إشارة تدل على أنه يعمل على الرغم من محاولات اليكس العصبية في إدارة المفتاح. لعنته في سرها وحاولت ثانية. قال ماركوس: «لا جدوى من وراء ذلك. ستفرغين مخزون البطارية فقط.»

قالت: «على الأقل قد اتفقنا حول امر ما.» خرجت ثانية من السيارة واقفلتها ثم مشت لتقف عند حافة الطريق.

سألها: «إلى اين تعتقدين أنك ذاهبة؟»

قالت: «لأجد مرآباً لتصليح السيارة.»

قال: «ليس هناك مرآب على بعد اميال من هنا. ولن تحضري احداً لا يعرفك ليأتي معك عشية يوم السبت.»

«إذاً علي أن امشي، أليس كذلك؟»

امسك ذراعها وقال: «توقفي عن التصرف كحمقاء. سأذهب واخبر آنا بما حدث، ثم اجلب السيارة واصطحبك إلى شاب اعرفه والذي على الأرجح سيأتي معك لأجلي.»

قالت: «كم هو رائع أن تكون لديك كل هذه السلطة!»

قال بحدة: «توقفي عن ذلك يا اليكس، فكلانا لا يريد ما حدث دعينا نقوم بما هو أفضل.»

مشى بخطوات واسعة نحو بوابة الملعب وبمجرد ان غاب عن الانظار، تهاوى غضبها.

بعد مضي عشر دقائق كئيبة، وقفت الرينج روفر إلى جانبها. قالت بائسة: «لا يمكنك أن تغادر المكان وتترك شخصين وجواداً حتى تقلني معك.»

قال: «هيا اصعدي. بالطبع لن اتخلى عن آنا وبيكي. لقد

تدبرت الأمر مع والد آيما لكي يأخذ ميسترال معه في مقطورته. فهم يعيشون بالقرب من هنا. لن يستغرق الأمر اكثر من خمس دقائق حتى يوصل متاعه إلى منزله ثم يعود ثانية لي. سوف أرد له الجميل يوماً، لا شك بذلك.»

جلست اليكس صامتة فيما كان ماركوس يقود، لكنها قالت يائسة اخيراً: «اني آسفة بشأن ذلك يا ماركوس. كانت غلطة كبيرة مع أني قمت بها مدفوعة بنوايا حسنة.»

قال بقساوة: «دوافعك تلك هي التي لا يمكنني فهمها، لماذا التظاهر بأنك تهتمين بأمر بيكي؟ لماذا لا تكوني صادقة في مشاعرك؟»

قالت محتجة: «لكني فعلاً اهتم بأمر بيكي! كيف يمكن لأحد أن يعرفها ولا يهتم بها؟ لماذا تتهمني بذلك؟»

قال: «كل هذا هراء، يا اليكس، نسيت بأنك لم تخفي سراً حول شعورك تجاه بيكي في ليلتك الأخيرة في شاستس. ومع هذا فما زلت تحتفظين بهذا الرياء نحو بيكي نفسها. أية نية حسنة تخفينها وراء هذا العرض السطحي؟»

قالت: «ما الذي تعنيه، أنا لا أخفي اسراراً عن حقيقة مشاعري تجاه بيكي؟ ولماذا تتكلم عن التظاهر؟»

قال: «أنت قلت ان السبب وراء الانفصال بيني وبين ايلين ما زال قائماً. لا شيء اكثر وضوحاً من ذلك.»

«هذا صحيح. ولكن ما علاقة هذا الأمر مع بيكي؟ إنها ليست غلطتها ان تخليت أنت عن واحدة من آل ليوارد وكأنها محراك نار عندما عرفت من تكون، ومن الصعب عليك ان تنكر بأنك شعرت نحوي تماماً نفس الشعور.»

داس برجله على الفرامل بطريقة مفاجئة، كادت تؤدي

بها إلى التطاير خارج زجاج النافذة الأمامية لو لم تكن تضع حزام الأمان.

قال لها: «اعيدي ذلك ثانية.» واستدار في مقعده، ثم امسك ذراعها وقال: «تقولين اني تخليت عن أختك.»

قالت: «هل تنكر ذلك؟»

«هل تعتقدين حقاً أن هذا ما حصل؟»

«كلانا نعتقد ذلك، أليس كذلك؟»

«هل أخبرتك ايلين بذلك؟»

«كانت مضطربة جداً حتى تقول أي شيء. رفضت التحدث عنك كلياً، في الواقع. لكنها لم تكن في حاجة لذلك. كانت ترتعد خوفاً لأنها أخفت عنك حقيقة هويتها. كان من الواضح أنها فقدت كل اهتمام منك في اللحظة التي اعترفت لك فيها بأنها من عائلة ليوارد.»

قال: «هل هذا هو ما تعتقدينه؟»

قالت بحرارة: «هذا ما اعرفه، وامامنا المحيط يفصل بيننا لتبرهن لك ايلين صدق ذلك.»

قال: «إذاً عندما قلت ان السبب الذي فصل بيني وبين ايلين ما زال قائماً ليفصل بيني وبينك، كنت حينها تشيرين إلى حقيقة الأمر الذي تعتقدينه بأني تخليت عن ايلين لأنها من عائلة ليوارد؟»

قالت: «كم مرة علي ان اقول لك ان كلينا نعرف ذلك؟ لا يمكنك اعادة التاريخ يا ماركوس.»

قال: «ربما لا استطيع ذلك بقدر ما يعنيك الأمر. لكن أختك اللعينة يمكنها ذلك!»

بنفس السرعة التي اوقف بها الرينج روفر. أدار المحرك

وانطلق ليعود في طريق مختلفة وقد زعقت دواليب السيارة لشدة سرعته. سألته بخوف: «إلى اين نحن ذاهبان؟»

قال: «عائدان إلى شاستس.»

قالت والرعب يملأ صوتها: «لا يمكنك فعل ذلك!»

«لماذا يا اليكس؟ لأنه مؤلم بالنسبة اليك؟ أو لأنك تودين أن تكوني هناك ولكن لا تحبين ان تتذكري ذلك؟»

قالت اليكس بحدة: «ماذا اصابك لتصبح حسن الطباع الآن؟ توقف ودعني أخرج يا ماركوس فأنا لا اريد أن اعرف ان كنت اصبحت مجنوناً.»

«سأخبرك ماذا سنفعل. سنجري اتصالاً هاتفياً مع اختك.» داس على الفرامل مرة ثانية وسألها: «هل تعرفين رقم هاتفها؟ هل تحملينه معك الآن؟ لا تقولي لي انه ليس معك.»

قالت اليكس: «أنت مجنون.»

قال: «أنا أكثر عقلانية الآن منذ وقعت عيناي عليك.»

قالت: «لا يمكن ان تكون جاداً في الاتصال بأختي وتكون عاقلاً في نفس الوقت.»

«سنرى. هل معك رقم الهاتف؟ اجيبي يا اليكس.»

«أجل، ولكن...»

قال: «ليس هناك من لكن.» وانطلق ثانية على الطريق وقد تمسكت اليكس جيداً بحافة مقعدها.

كان مفتاح المنزل في يده في اللحظة التي خرج فيها من السيارة وجرّ خلفه اليكس ليدفعها إلى الجلوس على الكرسي في الصالة. وضغط على الزر الخاص في الهاتف الذي يتيح لهما سماع صوت المحدث على الطرف الآخر. أمرها قائلاً: «اعطني رقمها.»

قالت: «نحن لا نعرف كم هي الساعة الآن هناك.»

قال: «محاولات تأجيل فاشلة يا اليكس. انه صباح السبت وليس هناك سبب على الأرض يمنع اختك من تلقي اتصال هاتفي منك. هيا.»

طلبت اليكس رقم اختها وهي تشعر بالخجل وقالت: «لن تتكلم معك...» وعندما توقف رنين جرس الهاتف سمعت صوت ايلين. قالت لها: «يا ايلين، معك اليكس.» وابتلعت ريقها دون أن تعرف ماذا ستقول بعد ذلك. تدخل ماركوس وقال: «معك ماركوس. كيف حالك يا ايلين؟»

تلعثم صوت ايلين وقالت: «ماركوس؟ ماركوس ويكفورد؟ ما الذي يجري؟»

قال: «الكثير. اريد منك ان تفعلي شيئاً لأجلي. اريدك ان تخبري أختك عما حدث بيننا تماماً منذ سنتين. فقط قبل رحيلك إلى الولايات المتحدة ان اردت انعاش ذاكرتك.»

قالت: «يا ماركوس، لا أفهم لماذا كل هذا. ولماذا أنت واليكس سوية؟»

قال: «ستفهمين ذلك. حقاً. لكن الآن لست في حاجة إلى ذلك. اريدك أن تخبري اليكس تماماً لماذا افترقنا انت وأنا. الحقيقة الصادقة يا ايلين؟»

قالت ايلين: «إنها قصة قديمة الآن، اليس كذلك؟»

قال: «لا. الأمر في غاية الأهمية. صدقيني.»

قالت ايلين: «يا اليكس؟»

ردت عليها اليكس: «اني هنا.»

قال ماركوس بثبات: «ولدي أمور ملّحة عليّ مناقشتها معها. لذا، ارجوك يا ايلين قولي الحقيقة المجردة وسأقول

لك من اين تبدأين. عندما أخبرتني بأنك واحدة من عائلة ليوارد. اكملي من عندها.»

جاء صوت ايلين المشوش قائلاً: «لا اعرف لماذا عليّ قول ذلك ولكن هذا ما جرى. لقد ضحكت. لقد ضحكت فعلاً.» واتسعت عينا اليكس وهي تحدق في ماركوس. وأضافت أختها: «وقبل أن نقول شيئاً آخر. رن جرس الهاتف فقد كانت الشرطة على الخط الآخر يخبرونك عن الحادث المروع الذي اصاب أخاك وزوجته... كان عليك الذهاب في الحال. وانتظرت انا في شقتك. ولكن قبل أن تذهب قلت انك لا يهمك كثيراً أمر اسمي، لكن إن اردت البقاء معك بعد الآن، علي أن اتذكر من الآن وصاعداً بأنك لن تكون لي وحدك، بل أنت وابنة اخيك. وكان على من تختار أن تكون شريكة لك أن تعد نفسها لتأخذ على عاتقها ايضاً طفلة معاقة يبلغ عمرها خمسة اعوام. وجلست وحيدة في شقتك واعترف بذلك صراحة بأني لم ارغب ان افعل ذلك. وجعلني ذلك، ادرك اني عدت إلى الأعيبي ثانية. لقد ارتكبت حماقة، في زواجي الأول. واستمتعت في أن اكون عابثة معك. كان عليّ أن انضج. ولم اشعر بالخجل من نفسي في حياتي قط. لقد اخبرتك ذلك في الملاحظة التي تركتها لك.»

قال ماركوس بهدوء: «احسنت فعلاً يا ايلين. سنتركك الآن لأني يجب أن اتحدث مع اختك، لكن سنبقى على اتصال بك. واسمعي يا ايلين. لاضغينة من أي نوع. فنحن اكبر من ذلك. وقد تخطيناها.» ضغط على الزر الذي يقطع المكالمة. وامسك يدي اليكس بيديه وجذبها لتقف على قدميها.

حدقت اليكس فيه وقالت: «ايلين تخلت عنك؟»

قال: «تماماً كما اخبرتك.»

قالت: «وأنت لا تكرهني لأني من عائلة ليوارد؟»

نظر إليها بطريقة لم تعتقد قط انه سينظر إليها بها وقال: «هل يبدو عليّ حقاً بأني اكرهك؟» كان هناك رقة ودفء وكل شيء تمنت رؤيته في تينك العينين الرماديتين البراقتين وتلك الرقة المتفهمة في تعبيره.

قال: «لدي سؤال واحد فقط يا اليكس. عندما تحدثت عن السبب الذي يبقينا منفصلين هل كنت تعنين بيكي بذلك؟ فكري ملياً قبل ان تجيبي.»

قالت دون تردد: «بيكي بالنسبة إليّ هي علاوة مكافأة. علاوة على شيء مثالي اصلاً.»

جذبها نحوه، وقال: «آه، ياليكس! كفاني اسئلة كفاني انتظار كل ما اريده هو أنت.»

كان عناقه رقيقاً يؤكد مشاعر الحب التي رأتها على وجهه.

قالت وهي تتساءل وتضحك في آن معاً: «أنت لا تكرهني إذاً؟»

قال وقد ضغط وجهه على شعرها: «وهل أبدو كذلك.»

«يلزمني الوقت حتى اعتاد على هذا النمط من الحياة.»

قال: «لا تقلقي. سأعطيك الكثير من الوقت!»

قالت: «اعني طريقتك في النظر إليّ...»

قال: «آه، يا اليكس. الا تعرفين أني كنت مغرماً بك وكنت أخفي عنك ذلك. منذ اللحظة الأولى التي دخلت فيها بطلّتك المشرقة إلى المكتب في ماس. لكن في البداية بدا الأمر صعباً تصديقه على الفور. لكن بعدما عرفت حقيقة من أنت، بدا لي الأمر مستحيلاً. والآن...»

«والآن انها حقيقة... يجب علينا أن نخبر اهلي.»

قال: «سيلقون نظرة واحدة على وجهك ويصدقون كل كلمة تقولينها.»

قالت: «وماذا عن ايلين.»

قال: «ايلين سعيدة في زواجها. واكون أكثر سعادة لو تزوجت أنا. وما المشكلة في ذلك؟»

«هل عنيت حقاً عندما قلت انه لا ضغينة بعد الآن؟»

قال: «يا حبيبتي. ان ايلين مرحة وجذابة، ولكنها لم تكن تساوي جزءاً من مليون مما اصبحت الآن أنت في حياتي. المرارة التي شعرت بها نحوها كانت ببساطة لأن اختك عمدت إلى تفريقنا وبدلت رأيك لتفسد حياتنا. لكن الآن انتهى كلى شيء. انها شقيقة الفتاة التي تحبني!»

أحكمت اليكس ذراعيها حول عنقه وقالت: «لو أنك اخبرتني ان هذه ليست هي الجنة فاني لن اصدقك.»

كان هناك محرك عربة تقف قرب البيت. خرجا نحو الباب وقد تشابكت يداهما.

نزلت من السيارة فتاة صغيرة ووقفت عند الممر، وقد ظهر اليأس على وجهها.

سألها ماركوس: «هل يمكننا أن نفسح مجالاً لهذا الملاك الصغير أن يدخل إلى جنتنا؟»

خرجا سوية ليضيئا عالم بيكي.

تمـــت